

الأعمال الشعرية

١٩٦٧ - ١٩٨٧

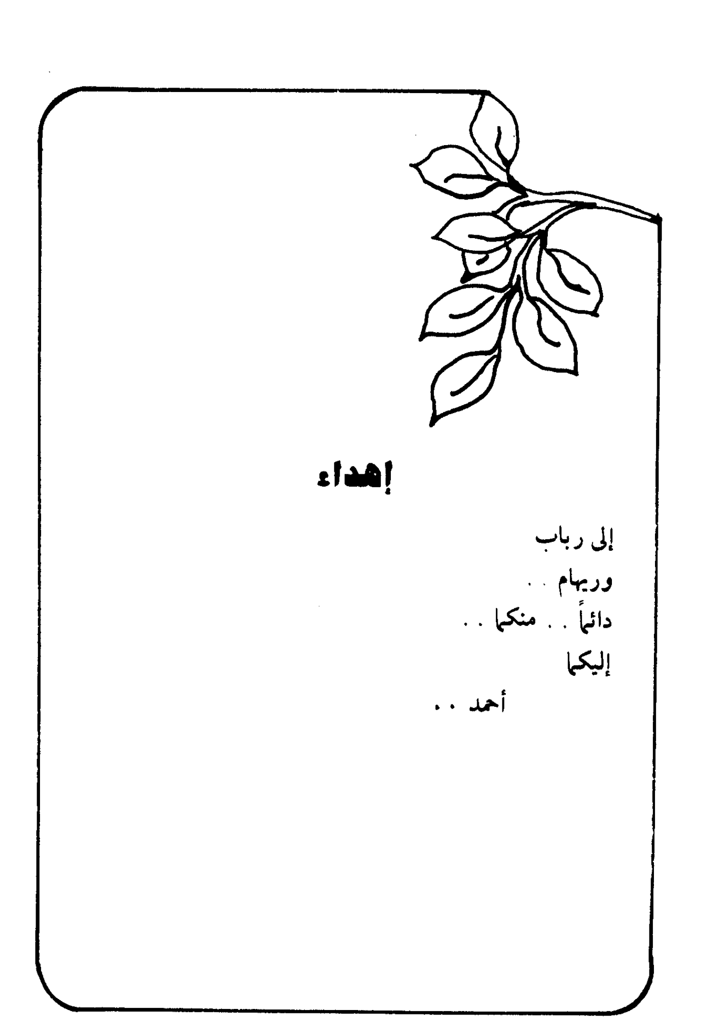
أحمد سويلم

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٢

●● تمثل القصائد فى هذا المجلد أعمال الشاعر التى صدرت خلال الفترة من ١٩٦١ ــ ١٩٨٧ فى الدواوين الآتيه :

ــ الطريق والقلب الحائر ١٩٦٧
ــ الهجرة من الجهات الاربع ١٩٧٠
ــ البحث عن الدائرة المجهولة ١٩٧٣
ــ الليل وذاكرة الاوراق ١٩٧٦
ــ الخروج إلى النهر ١٩٨٠
ــ السفر والاوسمة ١٩٨٥
ــ العطش الأكبر ١٩٨٦
ــ الشوق فى مدائن العشق ١٩٨٧

● الغلاف : سعيد المسيرى
● الإخراج الفنى : سوسن سالم



إهداء

إلى رباب

وريهام . .

دائماً . . منكما . .

إليكما

أحمد . .

●●● تقديم

لا يزال عالم الشعر الحر يجذب إليه كثرة من الشعراء فى أقطارنا العربية ، ولنفر منهم دواوين متعددة ، وتلك ثمانية دواوين أهدانيها صديق لى منهم هو الشاعر المعاصر أحمد سويلم ، وهى تدور ـ مثل كثير من دواوين هذا الشعر ـ حول الإحساس بالضياع والبؤس والضّنك والظلم والطغيان وفقد الحريات واحتلال الموارين . ويلقانا ذلك منذ الديوان الأول : الطريق والقلب الحائر ومنذ القصيدة الأولى فيه (الظمأ) إذ نراه يشكو الحرمان مع ظمأ لا ينتهى ومع شىء من التمرد ، ومع ازدراء من يمرِّغون الحياة على الأعتاب غير جانين سوى هوان كما يقول الشاعر فى القصيدة الثانية ، ويمضى فى الديوان مؤثراً للظمأ غير مبالٍ بانغلاق الأبواب فى وجهه ، فنفسه لا تنكسر أبدا ، ويذكر ـ هملت ـ ومأساته

الفادحة والأسى يصرخ فى أعماقه وكل ما حوله يتكسّر ، ويطبق عليه اليأس ، ولا يملك سوى صبر مر المذاق !

نفس المعانى تلقانا فى الديوان الثانى : **الهجرة من الجهات الأربع** ويلقانا معها شعور واضح بقضايا وطنه ، منذ القصيدة الأولى وصياحه فيها بأن الشعر لم يعد تقريظاً للطغاة ، إذ أصبح صوت الملايين الثائرين ، ويمضى الشاعر فى الديوان مستعيناً فى التعبير عن مشاعره بالرموز المعاصرة والتاريخية : من صراع الثيران بمدريد ، إلى صراع طروادة ، إلى نبوءة نيسابور ، وقصة قابيل ، وقصة سيزيف ، وقصة إيزيس وأوزيريس ، مع خمس صلوات فى المسجد الأقصى . . وجميعها تغلفها المشاعر العصرية المضطرمة .

وفى الديوان الثالث : **البحث عن الدائرة المجهولة** يحس الشاعر كأنه حبيس مع أهل الكهف والظلام مطبق من حوله ، ولا أمل فى السلام ، ويحاول الفرار ، ويجرى – مع المنبوذين – فى طرقات موحلة محترق الوجه ممزق الصدر ، ويغوص فى أعماق البؤس واليأس والعفن والمرض والجهل والجوع والهزيمة والأوجاع المريرة ويوظف كثيراً من القصص لتصوير هذه الأعماق ، من مأساة هيروشيما ، إلى قيس وليلى

وشهرزاد والإسكندر الأكبر وأبى الهول وآشور ومدائن بابل وشهريار والعبد الأسود وسليمان الحكيم ويوسف الصـديق وقبائل الهكسوس التى تقْضم اللحم حتى العظم ولا يبقى منه باقية .

والشـاعر فى الـديوان الـرابع : **الليـل وذاكـرة الأوراق** لا يزال يخوض فى متاهات الظلام والبؤس والضياع ، ويكثر فيه الأسلوب الحوارى ، مما جعل الأبيات أو السطور تطول فيه حتى لا تتقيد بعدد محدود من التفعيلات ، بل إنها تصبح فِقَراً ، والشاعر لا يتحلل فيه فقط من قيود الأعداد المحدود من التفاعيل فى السطور بل أيضا من قيود الأخيلة المكثفة وقيود الألفاظ الشعرية التى كانت تتراءى فى جوانب من الدواوين السالفة ، وتعود إليه تجوالاته الحزينة ويشاهد أرصفة العُرْى وكيف تصبح الأوجاع طهوراً أو صلاة ، ويمثِّل فى عام الرَّمادة مسغبة الجياع ، وفى شجرة الدر كيف يتحول العُرس مأتما ، وتتبدد أحلام بيدبا فى كتابه كليلة ودمنة ، وشهرزاد فى ألف ليلة وليلة .

وتستغرق مصر الحاضرة بكلِّ همومها **الديوان الخامس : الخروج إلى النهر** وفيه تظل إيزيس على مصر باكية لطول

مـا عانت من محن ، ويبـرق له أمـل فى مستقبلها ، ويتغنى بعشقه لمصر وسرعان ما يتحول عشقة حزناً كبيراً على مادهاها ويستعيد أطرافاً من تاريخ مصر الفـرعونى المجيـد ، ويقدم أنشودة فى معبد الشمس إلى أخناتون ، ويتخيـل فى فَرَاشـة الموت وعودة الحيـاة كما فى أسـطورة وإيزيس وأوزيـريس ، ويتراءى له مـوسى وقصته مـع السامـرى . . وكهنة مصـر السحرة وبلقيس ملكة سبأ ، وعروة بن الورد الصعلوك وديك الجن ، مؤملاً دائما فى خلاص مصر من أحزانها المتصلة .

ولا يزال الشاعر فى الديوان السادس : السَّفر والأوسمة يصور طموحات الوطن ومآسى الواقـع وفواجعـه ، ويتمنى عودة الحياة الرغدة لمصر ، ويلمع له الأمل فى منظومته السفر والأوسمة وتعود إليـه أحلامـه فى قصيدتـه : شهيدة العشق الفرعونى كما تعود إليه فى قصيدته الثقوب كل صور التعاسة ، حتى ليتصور رأسه علبة ليل مثقوبة تهمى بالأحزان والأسقام . ويبكى صديقه « أمل دنقل » ، ويعظم فى نفسه الأمل فى رفاقه من الشعراء ، وإثارتهم للبركان المنطفىء فى أرضهم . ويفزع إلى التراث العربى يتخذ منه رموزاً لأحلامه ، ونلتقى بقيس المتيم بليلى ، وعنتره وسيفه الذى لا يفل أبداً ، والخنساء ،

ووصيتهـا لأبنائهـا فى معركـة القـادسيـة ، ويلقـانـا « دون كيشوت » شاهراً سيفه ينازل الطواحين .

و نقرأ فى **ديوانه السابع : العطش الأكبر** أحلامه وأوهامه متشحة بأخلية مستمدة من النهر والبحر ، ومن ماضى الوطن وحاضره ، مع ما يوصف فى دخائله من التمرد العانى ، حتى لكأنما خُلق من سافيات الريح ومن غضب الآلهة ، ويحس كأنما فُصِل من البحر بكل ما فيه من عناصر مرة المذاق ومن ملح أجاج . ويعاوده الحزن الدفين فى قصيدته العطش الأكبر وهو فيها مغترب ، مهموم القلب ، مختنق الصوت ، يشكو الظمأ والجوع ، ويقول إنه ليس من فرسان الشعر المنافقين ، بل هو من الشعراء المنكسرين المساكين ، وتتوالى قصائد فى حافظ وشوقى ، وصلاح عبد الصبور وفوزى العنتيل ، ويختم الديوان بشىء من تراتيل النيل الموجع الحزين .

والديوان الثامن : الشوق فى مدائن العشق نجد الشاعر فيه عاشقاً لمصر متعبداً لها ، حتى ليمكن أن نقول إن دواوينه جميعاً مناجاة لمصر . فهى محبوبته التى يقدم لها أشعاره ، مستشعراً آلام العراة فيها والجياع والعطاش . وقد اختار

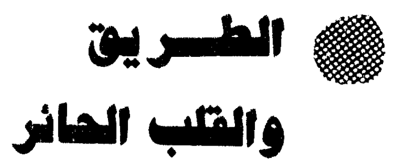
عنواناً لهذا الديوان الثامن قصيدته فيه : الشوق فى مدائن العشق استوحاها من منطق الطير لفريد الدين العطار أحد كبار متصوفة الفرس ، وفيها وميض من الحب الصوفى ، ويتراءى بصيص منه فى بعض الدواوين السالفة . وقد ختم الديوان بقصائد أنشد فيها أبياتاً لإمرىء القيس ، وأبى فراس الحمدانى وابن زيدون ، وهى تلتحم بقصائده ، وكان يجنح إلى ذلك أحياناً فى دواوينه السالفة .

وواضح أن الدواوين الثمانية للشاعر أحمد سويلم تعبر عن شاعرية خصبة ، شاعرية تفسح لرؤية متشعبة شعباً كثيرة ، وهى شعب تجسِّد الواقع النفسى البائس الذى يعيشه إنسان العصر ، وكأنما ألقى به فى كهوف مظلمة أو فى بحار لجيَّة معتمة ، والشاعر يجاهد ويناضل بسهام شعره متمرداً غاضباً ، ويتلاحق غضبُه وتمرده فى أخيلة وأطياف لا يزال يبعد فيها حتى لتستحيل – فى كثير من جوانبها – إلى ضروب من الوهم والرمز عن شتيت من المشاعر والأفكار ، وقد يومض على أجنحتها بريق صوفى ، وسرعان ما يختفى ليفسح الطريق لمشاعر الضياع والبؤس والحرمان .

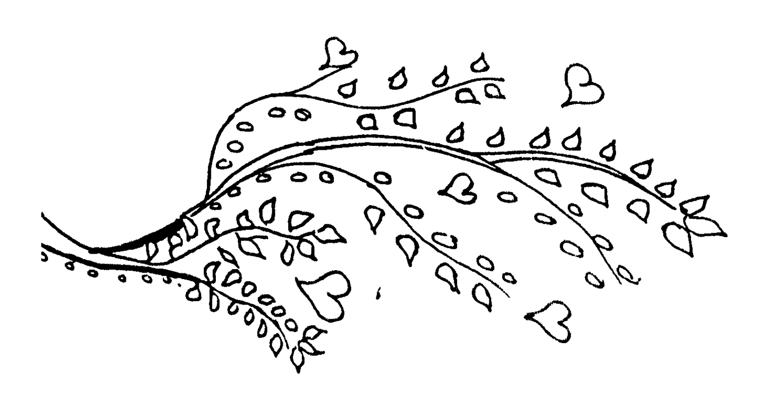
وطبيعى – وقد بلغ التمرد بالشاعر أشده – أن يتمرد على التقاليد الفنية للشعر العربى وأن يصوغ شعره حراً متخلصاً

من قيود القافية ، وهو ما أختلف فيه ــ من قديم ــ مع أصحاب الشعر الحر ، إذ ينبغى ــ فى رأيى ــ أن يتلافوا نواقص الإيقاع الموسيقى فى أشعارهم بعقد صلات حميمة بين منظوماتهم وقصائد الشعر العربى بحيث يعمِّمون فى سطورها القوافى المنِّوعة ، وبحيث لا يطول السَّطر عن ست تفعيلات ولا يقصر عن تفعلتين وبحيث يُعْنَوْن بالصياغة وما ينبغى أن يُكفل لها من النصاعة والعذوبة . . ولا يخالجنى شك فى أن الشاعر أحمد سويلم كان يستطيع أن يحقق ذلك لو أراد ، لشاعريته الخصبة الفذة ــ وما لا ريب فيه أنه يحتل ــ فى عالم الشعر الحر المعاصر مكانة مرموقة وأن دواوينه الثمانية جديرة بالإعجاب .

د. شوقى ضيف



الطـــريق والقلب الحائر



... الظــــــمأ

. . . .
هنيهةً يارفقى :
ألقوا هنا أعباءكم واستروْحوا قليلاً
وأترعوا كئوسَكم عصارةَ الشفق
فدربنا الجديد شاخصٌ بلا حنان
وإننا ـ سوف نبيّت الخطى له على ظمأ
نحمل فيه طيبنا وغرسَنا . .
نمضى له بكل دفئنا
نضىء فيه من حنيننا
مصباحَنا الجديد

* * *

. . ألقوا هنا أعباءكم
وعبّئوا الرحيلَ من جديد
فإنما المدى هنا صقيع

يصرخُ فى جنوبنا ويشتهى الدموع
الليل فيه عتمةٌ وجوع
فمن إذن يُنيلنا الفَتيل
لنوقدَ الشموع . . ؟
من يبعث الخطى من الضياعِ
. . من مذلة الرجوع . . ؟
ليس هناك يا رفاق من يُنيل . !

* * *

جُرُّوا ــ إذن ــ ظلالَ خطوِكم على الطريق
وطوِّفوا السهولَ والرمالَ والوهاد
وجمِّعوا الحصى وقبضةً من الرماد
والظمأَ المحمومَ فى العيون
ففى غدٍ سوف يكون الزيفُ فى أيامنا إزاراً
وسوف نعبر الجسور والبحارا . .
لنمنح الحصى وقبضة الرماد
للموج والحيتانِ والقرصان
للشاطىء الذى يلوح فى المدى على هوان
. . تطلَّعُوا إذن بلا أسى

فالحلم منذ لاح .. فى تثاؤبٍ أليم
لأنه ـ منذ متى ـ على انتظار
وحسبنا أعباؤنا القليلة القليلة
ننفض منها فى مسيرنا البطوله
نحفر منها فى الظلامِ أى ضوء
أما بقية الجراح ..
فحسبنا منها الحكايا والذِّكر ..
ولْنتناس ـ منذ نخطو ـ حقدَنا وحزنَنا
ننبذُ من كئوسِنا الحثالةَ السوداء
ونمضغُ الظنونَ والعناء ...
لأنه الظمأ ...
يَشْرَقُ فى حلوقنا ..
لأنه بقية الشغف ..
تلهث فى طريقنا
لأنه خيطُ رجاءٍ عُلِّقت عليه بسمةُ القلوب
لأننا نودّ ـ كل ما نود ـ ..
أن توقَدَ الكهوفُ بالأمان ..
ويفصحَ الزمان ..
. . . .

٣١ / ١٢ / ١٩٦٥

●●●لن أعيش مرتين

أقسمت فى صباحىَ النضير
وخاطرى يهدهُد الدعاءَ والحنين
ويحمل اليقين ..
أقسمت أن أعود فى المساء بالسلال
حشوتُها أصداف ..
ملأتها سنابل الصفاف ..

* * *

ورحت فى المدى أجوبُ عالم النهار
الشمسُ فى سمائها وحشية الضياء
والسحب فى عراكها لا تمنح المطر
ودربى العنيد يستبيح ذلة الجباه
يروقه تشقُّقُ الشفاهِ بالدموع بالخضوع بالأسى

يروقه أن يُمنحَ الطقوسَ والقربان ..
ويُحرقَ البخورُ فى السنا ـ له ـ وفى الدخان

* * *

وكنت قد أَصغيتُ مرة لبعضهم
وأسمعونى نصحهم :
.. « لكى تعود فى بداية المساء بالأصداف »
.. «لكى تعود حولك السنا وفوقك الظلال »
... « عليك أن تعيّش مرتين »
.. « فمرةً .. أمرّغ الجبينَ فى هوان
لدربى العنيدِ حين يستبيحُ كبريائى
ـ ومـــرةً
أرفع ثوبىَ الذليل .. أستعيد كبريائىَ الجريح
لكننى أقسمتُ فى صباحىَ النضير
أن يخلد الذى يثورُ داخلى
أن أرفع الجبين دائماً ..
.. وأن أسير ..
لأننـــى ..
ـ مواقدى لا تحرقُ الدموع

لا تملك القربان ..
ــ طاحونتى لا تقصف الضلوع
لا تطحن الهوان ..
لا تنهش الجراح
ــ أشواقىَ التى تلحُّ فى خواطرى
تعلم أنى قد أكون واحداً من الضحايا
وأننى ــ إن كنت ــ لن أموتَ ميتةَ المهان
ففى غدى .. أُحشر فى المغامرين
لأننى عشقت يوماً نسمةَ المنايا
وغبتُ مرةً بظلمة الجراحِ
... ثم عدت لاهثاً بلذة العطاء .!

* * *

بوركتَ ياتمردى العنيد
الله .. ياتشقُّقَ النعال
اللهُ يارمادَ قبضتى .. يافتنة المُحال
ــ لقاؤُنا هنا .. عذابُنا .. هناؤُنا
غربتُنا .. جراحنا .. إباؤنا
شحوبنا تغفره أشواقُنا ..

قلاعنا تطرحُها شباكُنا . .
بخورنا تنثره قلوبنا
النجمُ . . لو يضيء مرةً لنا
فضوءُه يشبعنا . .
بوركت يا تمردى . !

* * *

الله يادموعنا . .
إذ نتساقى صبرَنا الأليم . .
ولا نذل مرة ولا نهيم . .

* * *

الله ياعزاءَنا . .
إذ تدمع الجفون فى وداعنا حنيناً
ولا يقال ذات يوم . .
« أولئك الذين يخطئون »
« لأنهم . . نفوسهم تعيش مرتين »
« وتستبيح ذلة الجبين »
. . . .
فلتظمأ الحلوقُ مرةً . .

.. وحسبُنا لحين ..
أن نعشقَ الظمأ ..
ولتُغلَقِ الأبوابُ فى وجوهنا ..
وتُسبلِ البراقِعُ التى على وجوههم ..
فلن نريق نشوةً بريئة تلذ فى المقَلْ
ولن نمد بسمةً وديعة للا أمل
ولن نبوح بالحنين للمجاهلِ الخَصيبة
فنحن وادعون صامدون للحياه
على ضفاف نبعنا البعيد
نعيش مرةً عبورنا ـ ولو يطول ـ
ففى غد قريب ..
خلف الخميلِ فرحةُ اللقاء
تبر بالقسم ..
وتمنح المساء نجمه الجديد .!
. . . .
. . . .

٢٠/١٠/١٩٦٥

...لا تكسر سيفك

لا تلعنْ حظك ..
لا تكسرْ سيفكَ .. لن تخسر
ـ لو يوماً مات العشبُ الأخضر ..ـ
. . . .
فلتبدْع شيئاً أكبر
ولتنبت فيروزاً وخميلاً أنضر
ولأنك أنت الغَارِسُ يوماً عشبَك
فاشحذْ سيفك يبصر ..
أغْمِدْه فى الكلمات الجوفاء
فى وجه العالم لو قطّب جبهته أو أنكر
وادخل ركب الملهوفين ..
وافزع من حيرةٍ أفكارٍ ثكلى ملساء
كالأفعى .. تبحثُ فى كل رماد عن جمرات

تعصِر صيحاتِ الحدِ المغمُدِ فى أجسادِ الغد
تُخفى وجهاً للإنسان .. !

* * *

املأْ كأسك ..
املأها للعالم .. لاتحبِسْ عنه النهر
حتى يرتسمَ الحلمُ على جُدران الفجر
وتَبينَ على ثغرِ الدنيا بسماتٌ خضر
حتى يمتدَّ ربيعُ القلب
حتى تعدوَ من جوفِ الصمتِ الفكرةُ إثر الفكرة
حتى نكتب شَعراً .. !
نقرؤُه نستعذبه .. نحكيه للعشاق
نرشَقُ فى نهديه زهراتِ الشوق ..
ننسى أن العالم مملوءٌ حزناً
يطفح بالرائحةِ التابوتية
تنقلها كلماتُ وداع
ـ نلقيها كلَّ صباحٍ كلَّ مساء ـ

* * *

لا تكسْر سيفك . .
دُقّ التابوتَ بمسمارٍ أعوج . .
حتى لا يُفتحَ قبلَ الموعد . .
وادفنه خلف جدار الصمت
واصنع وجهاً أقوى للإنسان . .
ماذا يعنينا من خطواتٍ لا تتمزق . .
ـ فوق الجسر الممتدّ ـ
. . اختارت ركناً لا تعدوه
ماذا تعنى كلماتٌ تتناقلها الريح . .
لو لم يسمعْها قلبٌ . .
. . . لو لم تتلقفْها آذان . .
سُحقاً للخطوات الخرساء
سحقاً للكلمات الجوفاء
ماذا يبقى منها للزمن العائد بعد الغد
لو أن الزمن العائد فتّشَ عن وجهِ الإنسان . . ؟

* * *

لا تكسْر سيفك . .
لو أن قلوبُ الناس أُعيدت من حجرٍ ورخام

لاستعصى قلبُ الملهوفين . .
ورأينا العشبَ الأخضرَ ــ لما ماتَ ــ
. . يهدهد فيه البرعم . .
والغصنَ الأخضر يومىء للعشاق
وسمعنا أحلى نغماتِ الموال . .
لك حبى يا قلبَ الملهوفين
ياقلبَ الإبداع الأكبر . .
لك حبى أكثر . .

* * *

لك حبى . . ما عاش المزمارُ على شفقٍ
. . . يبدع شيئاً أكبر . .
ما عاش السيفُ يمزقُ أثوابَ الأيام
ليعيد العشبَ الأخضرَ ــ لما مات ــ
فيروزاً وخميلاً أنضر . . !

١٩٦٦/٦/٨

••• هوامش .. يوميات قديمة

ـ ١ ـ

العبور

دعيتُ .. فاستجبت .. فانطلقت
ولذت ـ عابراً جزائرى ـ وعدت ..
أحملُ صُندوقَ الرحيل
ـ أودعتُه زوجينْ .. من مشاهدى ـ

* * *

لا تفتحوا بابَ خزائنى
لا تسلبوا مجدى .. ولا تمزقوا شغافَ لهفتى ..
فمن يوَّد أن يكون « نوحاً » ..
فبعد ألف خطوة يلوذ بالمنال

ـ غابة أحلام بلا أبواب ..
جزائر .. لا تعرف الضباب
لا تطلب الكثير منا ..
تطلّعوا .. تحرّقوا خفافاً
لا تحرقوا فَراشَكم على الشموع
فقد يحطُّ فوق زهرة ..
وقد يدلّكم لحين ..

* * *

هذا أنا ــ أعود بالكثير ــ
لأننى لم أطفىء الشموع
لم أحْرقِ الفَراش
وإنما كان سلاحىَ الوحيد
نصفَ فؤاد غافل ..
ونصفَه بصير
تواعدوا إذن .. تحرَّقوا بلا فتور
قصوّا جناحَ البُومِ والصقور
لا تلعنوا غاباتِكم ..
فسوف تملئونها بلحنِكم .. أطياراً

وتصنعون من غصونها . .
أوتاراً . .
. . . .

ـ ٢ ـ

الكلمات

الكلماتُ لا تبيدُ لا تموت
ـ الموعظاتُ . . والوصايا . . والقُنوت ـ
الشعراءُ يأخذون الدفء ـ من خلودها ـ
والقـــوت . . .
ويشعلون فى ظلام صمتهم . . « قنديْل »
ويذْرعون . . يذرعون ألف ميل
ـ الصيفَ . . والخريفَ . . والشتاءَ . . والربيع ـ
ـ الحبَ . . والفِراقَ . . والمنونَ . . والحياة ـ
ـ مراسمٌ . . يُعوزها التنسيق . . والأناه ـ
لطالما سرت قصائدُ . . ودغدغت طريقها

تصرخ فى القلوب والجباه :
ـ ماذا لو استراحت العناكبُ
فهى تعرّى اللحن فى أوتارنا
فلا تمس الكِلْمةُ الخلود
إلا وفى خطواتها الترابُ والضبابُ والعَرَق
وعقدةٌ من الجراح والفَرَق . .

* * *

ماذا لو استراحت العناكبُ
وهمّت المواكبُ . .
تسير دون غيمةِ الخيوط
تُشبع نزوةَ العطش
تخمد فى القلوب غضبةَ الهوى
تقول للجوعان :
ـ زادك لا يغيب . . ليس ينفدُ
فالكلمات لا تموت . . لا تُبدَّدُ
والشعراء فى قلوبهم
قصائد الخلود . .

- ٣ -

مذاق الحب

قلت :

أذوقُ طعمَ الحب

أجرّبُ الذى يُقال عنه :

« قوتُ كل قلب »

* * *

ـ ياركبىَ البطىء .. لا تجُب قفارا

ومدَّ لى فى عالمى الأنهارا

واكشفْ لىَ الخِمارَ والأسراراً

أعُبّ منها رشفةً وأُطلق المزمارا

أُسمعِ كل الطير ..

أُرقصُ الورودَ والأشجارا

لعل قلباً هائماً .. يفطن لى . !

* * *

لكننى سمعت يوماً :

ـ عن الهوى حين يموت فى الصبا

والقلبِ حينما يشيبُ فى الجليد
والوَلْولاتِ وهى تُخمدُ الدموعَ فى المقل

* * *

ويلى بخاطرى الشتيت
لو أننى لم أستمع لهذه المأساه
لما توقفت على الطريق خُطوتى
تشبثت بالأرض بالصخور . .
تشدُّ فى إسارِها . . المجهول
تقسم ألّا تطلبَ النجاه
تَخفى على الذين يعبرون

* * *

لو أننى — رباه —
مُنحت يوماً سرَّها
لكنتُ قد أقمتُ فوقها مزاراً
وحولها دياراً
لكنت قد أعفيتُكم من التلفّت المخيف

وذقتُ فى رحابكم
غرامىَ الشفيف . .

* * *

– ٤ –

الحلم والواقع

ملأتُ مخلاتى بفتنِة النجوم . .
ورحت أرسلُ الحنين للقمر
لعله يمنحنى خيطَ وتر
أهز فى صداحه جناحَ طائرٍ
. . أو أُرقصُ الزهَر

* * *

يا واقعــى . . لا تنتحر . !
. . . .
ما أنا بالشاعر يلعب الأكَر
بلا هوى . . بلا منى . . بلا ذِكَر
ــ يخلو فؤادُه من الزمانِ والمكانِ ــ

من رحلة الضياعِ والحرمانِ
لا ينشد المنى .. ولا يوادع الأغانى . !

* * *

يا واقعــى ..
غفوْتُ لحظة .. وعدت
برحلىَ الملىء ... ـ ليس بالنجوم ـ
لكنه الحصى .. وحفنةٌ من الرجوم
عفواً ..
أخاف أن تكون غنوتى لعالمى الهموم
ويفقد القيثارُ لهفةَ الوتر
وأفقد الذكَر ..

* * *

يا واقعــى
دعنى أظلّ أسترد ضحكتى من القمر
فإننى أودّ أن أرشّ دربىَ الطويلْ
... بفتنة الزهر
فإن لى قلباً يمتّ للبشر .!
....

— ٥ —

العزاء

يادربى الطويلْ . .
تَسَّاقطُ الأمطار
فى موسم الشتاءِ ــ أغلبَ النهار ــ
تظلم فيك صحوةَ السماء
تَقتل فيك خطْو عَابريك
تذيب من سِلالِهم مفاتنَ الهدايا
كأنها ــ نصفَ زهورها ــ
زائفةٌ الحنين . !
تغُرق مليون رسالة اشتياق
تُسقط راية العناق
فكل قلب ــ واجف لديك ــ
يذبل فيه الحزنُ والفرح
حين يغوص فى العبابِ فى الشتاء

* * *

يا دربيَ الطويلِ
لن أعبرَ الجسورَ فى الشتاء لك
لن أسمعَ النداء . .
فليس فى الشتاء ما يؤمِّن السفر
سأمكث ــ الشتاءَ ــ
عند موسم الهجير
لأننى ــ كعابر أخير ــ
كان عزائىَ الوحيد
أن شتاءَ القلب موتٌ
وأنا عشقت فيك الحلمَ والسَّفر . .

١٢ / ٩ / ١٩٦٦

● ●

... هــملت

(من الذى تسمع السماء أنينه .. وتوشك الكواكب أن تقف
مذعورة لوعيده؟ أنا هملت الدانمركى !) « شكسبير »

سحابة عذراء
ألقت بها الأمواج للسماء ..
عباءةٌ زرقاء تستقر فى صفائها النجوم
تُشيع فى الأحياء :
ـ مات غريب القلب والنداء
فى يده قيثارةُ الدموع
ونصفُ سيفه .. وقبضةُ الإباء
مات غريبُ القلب والنداء
صياحُه العواصفُ الهوجاء
فى وجهِ صانعى الظلام ..

* * *

تآمروا عليه
مَدّوا موائد الطعام

وامتلأت أطباقُهم حثالةَ اللئام
ما عاد فوق المائدة
سوى فراغ واحدٍ تنازعوا عليه
ـ طعام همِلت العنيد ـ
فلتسدل الستار
ولتنزلق سبعةُ نجماتٍ على الجدار
لتعلن المأساة . .
ـ لم يبق غيرُ السم يحصد العناد
ويوقف الإعصار . .
والكلمات والوعود
منغومة ناعمة . . . . كأنها أوتار
تمد جسراً حانياً من الزهور والنضار

* * *

كان عشاؤه الأخير
ترنيمةً من الأسى . . وحفنةً من الدمار
لكنه ـ قبل عشائه الأخير ـ
. . . « أطعم الشحاذَ بالأمير »
وأوقف الألفاظ والديدان فى النحور

وأطلق السحابة العذراء
تشيع فى الأحياء :
ـ لا تُقبلوا على موائد القصور
فالجوعُ لن يطولَ والنفوسُ لن تخور
ـ لا تسمعوا نعومةَ الحديث
فالموتُ فى ألفاظه .. مباح
والليل فيه دون ما صباح ..

* * *

يا إخوتى .. البحرُ ينضُبُ
والدربُ فى أقدامنا يَحْدَوْدِبُ
لا تُزهقوا الخطى
حرفى بكم .. جراح
خطاى ثورةٌ .. ونقمة ولهفة وجوع
لا تنشدوا الرجوع
ما دامت السحابةُ العذراء
فوق رءوسك تحاورُ الأحياء . !
.. .. ..
.. .. ..

١٩٦٦/٩/٧

... قصة اللقــاء

كم قلت يا حبيبتى من قبل أن ألقاك
لنفسىَ الحزينةَ الموزعة :
ــ إن طريقَ الحب موحشٌ عسير
وإننا ــ لو ضمنّا فى حلمنا طريق ــ
سنلتقى فى أول النهار
ــ وكان آنذاك فى سباته النهار ــ

* * *

لكننى شددتُ رحلىَ الثقيل
إلى طريق غُربتى وقلبىُ الكسير
وحولى التساؤلُ الذى تمصّه الشفاه
وسخرياتُ أعينِ المودعين
تكسرت على الضفاف
حين تراءت فى المدى بشائرُ الصباح

* * *

.. لكم توهّموا بىَ الجنون

.. لكم تعجبوا حبيبتى
من شِقْوتى فى رحلتى الموزَّعة
ما مرَّ أىَ عابر على ديارهم
إلا أفاض عندهم أشواقه
فكيف بى – فى ظنهم –
أطلب درب دمعتى .. ؟
وكيف لى أُذلّ للشقاء خطوتى ..
وتلكم الديار فى عيونهم
تغصّ بالمراح .. ؟

* * *

لــكننى
سمعت فى مشارف الطريقِ
... زهرةً تصيح
– لم يستمع لها سوى فؤادىَ الكسير –
تقول .. أين عاشقُو الحياه ؟
وأين من يباركون فتنةَ الصباح ؟
أدركتُ حينها وداعةَ الحنين

وأن عند زهرتى لقاءنا الكبير
وأننى ما كنت وحدى أقطعُ الطريق
وحولىَ التساؤلُ الذى تمصّه الشفاه

* * *

تقدمى حبيبتى
وجففى جبينَكِ الرقيق
فإنه لقاؤنا
وإنها بشائرُ الصباحِ حولنا
تقاسمت مع القلوب حبنا
فى قصة اللقاء . !
. . . .

١٩٦٥ / ٧ / ٧

•••من أجل من تضىء ياقمر ؟!

ـ ١ ـ

من أجل مَنْ تُضىء ياقمر
تظل فى أبعادنا على سفر
تؤرجحُ الزمانَ فى كفّيك .. والبشر .. ؟
واقسوتى .. !
نسيتُ رقتك ...
فأنت وحدَك الذى سهِرتَ تحملُ الذنوب
وأنت وحدك الذى غفرتَها لنا ..
وأنت وحدك الذى تعشَقُ أن نعيدها
لكى تظل باسماً رحيماً
لكى تعيش حولك القلوب ..

ـ ٢ ـ

كان الزمانُ خطوةً تورّث الضجر
حارت به قلوبنا .. وساءلت :

ماذا تود أيها الزمان .. ؟
فإننا ..
شقٌ على خيالنا ــ منذ اصطحبناك ــ
... استعادةُ الطريق
لأننا سرنا بحبنا
نختصرُ المسافه
نسرعُ فيه خطْونا ..
ما ضرنا أن نلتقى على مشارفِ الغروب
ــ والبسمةُ الصخرية الصفراء
تلوح فى سماءِ دربنا كأنها ترسُم فى عيوننا المصير ــ
لأننا بحبنا النضر ..
بما يضىء فى قلوبنا وندخر ..
.. كنا نتابع القمر ..
نمنحه أبعادنا ..
ونرتضى لخطونا المسافة الضئيلةَ ..
نهدهدِ الحنانَ أينما نسر ..
ونخنقِ المدى ونرفع القناع ..
.. اليوم يا رفيقتى ..
لا تسألى ..

«من أجل من تضىءُ ياقمر» . .
فإنه لنا . . بنا يواصل السفر . !

- ٣ -

لو عاد بى جناحُ غربتى
ـ للشاعر الوليد ـ
ما كنت يومها أعود
فإننى أخاف أن أحار ـ يومها ـ
فى دربىَ الذى أريد
لكننى . . لو كان يومَها الخيارُ لى
ما كنت أرتضى الحياةَ دون ما وتر
ودون ما أشعار
ـ فليضرب الذين يضربون
ولينتقل فحيحُهم عبر الجدار
فسوف ينتهى إلى رماد . .
فما أنا الذى يطاردون وحدى
ـ حتى يعودَ بى جناحُ غربتى على انكسار ـ

وإننى ـ لا أشتهى هوانى ـ
حتى أُفيقَ من تلفُّتى
أغور فى الأزقة الضريرة
أضحك كالعتاة كالسكارى
يسبقنى فى ليلىَ الرثاء . .
. . لكننى فى جعبتى السقاء
فى جعبتى الكثيرُ من نبوءتى . .
مُنِحْتُها يوم هممتُ بالمسير
أجوب كل مقطع حزين
من أحرفِ الضبابِ والغمامِ والحقيقه
لعلنى حين ألاقى مرفأ النبوءه
أقتصدُ الكثيرَ من خُطاى
أنذرها للعابرين بعدى
ليكملوا بقية الخطى بلا أسى
ويومها لسوف تعلمين يا رفيقتى نبوءتى
لسوف تدركين . .
لمن يضىءُ ذلك القمر
من أجل من . . يواصل السفر . !

■ ٤ ■

أساى يارفيقتى الوحيدةَ
حياتىَ البديدةَ
ففى غدٍ سينتهى الطريق
سواءٌ استراحتِ الخُطى .. أو ضمَّها الشرود .
أطوف أسأل الشفاه :
عن بسمة تذوب فى تشقق الجباه
وضحكة خفاقة اللهيب
أود لو ألمح فى العيون سرَّ دمعها
أودُّ لو تجيب ..
أودُّ لو أرى الوجوهَ ذات يوم
لا تعلن التساؤلاتِ والقنوط
لكنها ــ واحسرتى ــ نهايةُ الطريق
تصرخ فى أعماقِنا بلا انكسار
تسرع كالتيار دون ما انحسار
كأنها الأصابعُ الثقيلةُ البليده
تعصر من جفوننا بقيةَ الندم
تمزج فى أقداحنا حثالةَ الألم

تستلُّ من قلوبِنا ممزقَ النغم . .
ويومها . .
يدب فى قلوبنا الأسى
وتُخنقُ الأبعاد . .
وينطفى فى دربنا القمر . .

- ٥ -

رفيقتى . . لا تسألى
لا توقظى الجراح . .
لا تطفئى الشموعَ لا تمزقى الوشاح
وحسبنا القمر
يظل فى أبعادنا ويعشَقُ السفر
فلننطلقْ إليه فى حنين
فهو الذى يضىء فى أيامنا
ليمنحَ اليقين . . !

١٩٦٦/١/١١

••• الطريق والقلب الحائر

يا إخوتى المخاطرين ..
الباسمين الوادعين رغم عثرةِ المسير
يا إخوتى .. والحبُ فى شفاهِكم نغم
والجرحُ حين تبسمون يلتئم
يا إخوتى .. هذا أنا على الطريق ..
.. .. ..
لقد نذرتُ أحرفى لكم
بكل ما حمّلتها من البكاءِ والضحك
بكل ما جمّعتُه من الغيوم والشفق
وكل ما أسقطتهُ من النجوم ساعةَ الغسق
بكل ما يَبينُ أو يغيبُ فى فؤادىَ القَلِق
يا إخوتى المسافرين ..
نذرتها لكم

* * *

الله لو تُهْدونها مراحكم
الله لو أذوِّبُ الأشواقَ فى ظلال دربكم
لو أعصر النجومَ والشفق
ولو تقلص الطريق
لتبلغَ الخُطى نهايةَ المسير
لألمحَ الحياةَ فى خواطرى « بريق »

* * *

الله لو تُهدونها مراحكم
إنى أخاف أن أغوصَ فى وسائدى
وليس لى فى وحشتى رفيق
يزيل عنى لوعةَ الأسى
وظلمةَ الغد السحيق
أخاف أن أهيم فى مخاوفى
فأملأ السلالَ من بقية الشغف
وحسرةِ الهوان والأسف
أخاف أن ألملم الأحلامَ دون ما صدى
وتجحد الحياةُ باقتى . .

* * *

الله لو تهدون أحرفى مراحكم
أصوغها بفرحتى .. ولهفتى ..
من بسمةٍ على فمى تودُّ لو تباركُ الحياةَ
من نبضة مشبوبة تعمِّقُ الحنين
من خاطر يود لو يغافلُ الزمن
فلا ينال من كئوسه نصيبَه المرير
يود لو يزولُ عنه سكْرهُ
وينَشُدُ المواكب المسافره
وينشُدُ العبورَ دون ما تلكؤ وشِقوة انتظار
يود لو يرى الحياةَ وهى سافره
تفُتِّحُ المغالق الثقال
وتنثر الظلالَ فى الترحال ..
لذلك المعذب المهان
لذلك الإنسان ...

* * *

كأننى بذلك الإنسانِ لا يموتُ فى خفوت
.. إنسانُ ذلك الزمانِ
.. حانقٌ معاند شريد

إنسان ذلك الزمان شاخصُ البصر
يحار فى ضوضائه المجهولة الصدى
سكرانُ فى بكاه
ظمآنُ فى مسيره
أسوانُ فى هواه ينهش الظنون
ولهانُ بالأشواق وسط واحة الجليد
عريانُ تلفح السماء جرحه الأبيد

* * *

. . . .
معذرة يا إخوةَ الزمان
فإنها مخاوفُ الطريق
أتيتكم وفى يدى وأدمعى ومهجتى بريق
لو تمنحون أحرفى مراحكم
لأستظل فى نعيم دربكم
لأننى سقيم
لأننى سقيم . . !
. . . .

١ / ١٢ / ١٩٦٥

... معارك الزحام

أُساق إليكِ رغم غِشاوة العينين
ورغم تلوْلب الكلمات فى الشفتين
أتوق إليك
رغم تعثر الخطوة
ورغم قصورِ أحلامى ورغم البيْن
وأسمع من خلال الخطو أناتٍ ترابيةً
تأوّه بينها قلبٌ .. من الأوجاع
وأشهد زحمةَ الأقدار فى دربى
تواعدنى ..
تناوشُنى .. وتسلُبنى ظلالَ الشوق
.. ولـكنى .. برغم حسابىَ النجما
ورغم قراءَتى الأقدارَ والوهما
أُساق إليكِ أشربُ صوتَكِ الهدّار
ألملم فيه أيامى .. ووجهَ غدى ..

وسحرَ الحب والتذكار
وأربطها بخيط القلبِ حتى يعرفَ المجداف
بأن الموج ــ رغم تباعد الشطآن ــ
سيسقط فى جِدارِ القاع
وحتى يعرفَ المجداف
بأنى كلما أُبعدتُ يوماً عنك
أساق إليك .. رغم تباعد الخطوة
فماذا عاد يكسرنى على شطآن هذا الموج
وكيف تلوح فيها ظلمةُ الأقدار
يطاردنى نداء العجز ..
يُغْوِلُ فى تباريجى
ويصرخ فى لهاثِ الخاطرِ التواق .. باللعنات
وبالدمع الذى أجرى خطوطَ الصمتِ فى الخدين
وبالعقم الذى يكسر حد الشوق للنصفين
وباليأس الذى يجهل أنى لم أعد وحدى
أصارع هذه المأساةَ
.. أمسكُ فى يدى المجداف
وأنى لم أعد وحدى
ــ حملتُ القيدَ فى كفٍ .. وزهرَ الحبِ فى الأخرى ــ

أسابق زحمةَ الأقدار . .
وأنى رغم آلامى . . وأوهامى . . وليلَ البيْن
أساق إليك . . رغم غشاوة العينيْن
ورغم تلولبِ الكلماتِ فى الشفتين
ورغم تناثر اللعنات من حولى
تُحرّق أصبعَ الشفقِ المندّى بالأمانى البيض
وتطفىء نجمةَ الأشواقِ فى دوامةِ الأسر
وتخفى نشوةَ القمر . .

* * *

أساق إليك رغم غشاوة العينين
فمدّى كفْك السحريةَ الأحلام
إلى عينىّ . . يصفو الحلم فى عينىّ
وردى للفؤاد الشوق بالإلهام
فإنى لن أتوق لغير إلهامك . !

١٠ / ٤ / ١٩٦٦

...عيناك والقمر

عيناك دمعتان للقمر
سابقَتَا إلى الهوى تلفّتى
لتنثراً فى دربى البعيدِ فتنةَ الزَّهَر
لتنقشا ابتسامتى على الحجَر
لتُبعدا مخاوفى من الصِغَر
لتُطلقا إلى ضفاف خُطوتى
بعضَ فَراش الحبِ والربيع
يُسمعنى تحيةَ اللقاء . . .

* * *

عيناك عالمى الذى رضيت فيه
. . أن أعيشَ أن أموتَ أن أجوع
عيناك صمتىَ الذى تضيئه الشموع
غداة أنشر الشراع

ـ وفى المدى تحملق العيون باللهيب بالصقيع ـ
لكنما عيناك تهمسان لى بِدِفْئِىَ الوديع
أحس فيهما حرارةَ الخطى ولهفةَ السفر
أنظر فيهما الحنين للقاء
أدرك فيهما طبائع القمر . .
حين يكون بدراً . .
وتارة هلالاً . !

* * *

فمرة . .
أجوب زرقةَ السماء فيهما
وأعبدُ السمر
وأمكث الحياةَ فى فضائىَ المنوِّرِ الوسيع
أوقظ فيه أعين الشفق
وبالهوى نواصل السفر . .
. . . . . .
ومـــرة
تجفُ فى شفاهىَ الحروف
حين أرى عينيْكِ تكتُمان سراً . .

وتُلغِزان للحنين أمراً . . .
أُطرِقُ رأس حيْرتي على أسى . .
لكننى سَرعان ما أُفيق
لأسمع الزمانَ يومها . .
يقول عن طبائِع القمر . .
حين يكون بدراً . .
وتارة هلالا . .

* * *

ياويلتى . . لو أننى نسيتُ مرةً طبائعَ القمر
ورحت أبكى شاردَ البصر
ــ وفى المدى تحملقُ العيونُ باللهيبِ بالصقيع ــ
لأشْمَتَ الزمانُ فى هوانىَ العيون
وأشهرتْ كئوسَها الظنون . .
ويومها أهيمُ فى مخاوفى بلا صدى
وأرتمى فى ظُلمتى بلا متاع

* * *

حبيبتى . . .
متى تكف تلكم العيونُ عن طبائع القمر

إنى أخاف ياوحيدتى
ألا يذكِّرَ الزمانُ قلبىَ الحبيب ذات يوم
بقصة القمر
أخاف أن أحار فى النسيان
أخاف أن يقودَنى تلفتى
وأنتهى لعالم
أضل فيه غاية السفر . !

* * *

١٠ / ١٢ / ١٩٦٥



●●● باسم القرن العشرين

ـ حتى لو ألبستَ العالمَ ثوبَ مهرج
وأمرت بأن يمتدَّ الخيطُ على الأعناق
ـ حتى لو أخفيتَ شراعاً بين الموج
ورفعتَ بوجه الريح المجدافين
ـ حتى لو شيَّبت الصبيةَ
لو أطلقت لحاهم
وصففتَ الناسَ وفى أيديهم خفقُ الموت
ـ حتى لو صليتَ وكان وضوءُك ماءَ الزهر . .
. . لن تُسكتَ فى أعماقك
آهاتِ القرن العشرين
لو لم تكسرْ كأساً تَلقى منها السكر
لو لم تَجمع بين إطارٍ . .
صورةَ عالمك المنثور
فلقد نهشَت بعضاً منه مناقير

ولقد أخفت وجهاً منه صخور
ولقد شربت فى صحَّة أكذوبتهِ
جُرذانٌ وصقور
ــ باسم القرن العشرين . !
وتقول تسيرُ . . وأين تسير ؟
وجوادُك ــ من خشب ــ لا يملك خُطوة
نخِر السوس جوادَكَ . . ياولهان . .
من ينفخُ فى وجه الثعبان
من يقطعُ رأسه
لو زحزحتَ الصخرَ . . وفجرتَ الأنهار
من يسرق من نَسرٍ كسرة
تخمد جوعاً لفقيرٍ حانت ساعته
حتى لا يلعنَ أيامه !!

* * *

طفحت يا هذا كأسُك
لكنك لا تُسقط منها قطرة
اشرب ما شئت . .

لن تَفرغَ كأسك
لن تترك لك
حتى أن تتنفسَ أن ترضى .. أن تتعقل
وامكث فى حيرتك وفى نار الآهات
لا تسألْ عن شيء ... لا تطلبْ أن تقتات
لا تطلبْ أجنحةً فوق الأسوار
ـ فنسوُر العالم لا ينقُصُها منقار
ماذا ـ اليوم ـ فعلت بماضيك الدوّار
ماذا ـ اليوم ـ فعلت بآشور
بأهرام الفرعون
برياح سليمان .. بمصباح علاء الدين
بملايين .. ملايين الفرسان . ؟
.. لا شيء .. سوى آهات القرن العشرين
.. لا تحملُ « شكاً » .. لا تختار « يقين » ..
« ما كنت » .. لديك .. « تكون »
« الصحو » .. بقلبك .. فى عينيك « جنون »
ضوضاؤك صامتة بلهاء
وتقول : القرن العشرين .. !

ما ذنب القرن العشرين . .
صدِيء سلاحُك . . طفحت كأسُك ياظمآن
فرميت العالم والأزمان
ونسيتَ . . نسيت ملايين الفرسان !

١٩٦٦/١٠/٩

● ●

... الصمت عـــاد ..

(إلى كامل الشناوى)

- ١ -

قيل لمن يموت قبل أن يموت ..
« مأساةُ هذا القلب .. أنه صمت »

* * *

لكنما الذين يصمتون ..
قد يُبعثون بعد موتهم
محدِّثينَ .. بائعى كلام ..

* * *

يا صاحبى ..
لو كان صمتىَ الذى أصابنى
من هذه المأساة ..
فإننى أوثر أن أموتَ بعدما أموت

فيما أَود ــ بعدما أَعود ــ
أن ألتقى ببائعى الكلام . .
وأن يُقالَ يومها :
« كانت له مأساة » . . . !

ــ ٢ ــ

الصمت عاد الآن من غيابه الطويل
عاد يسومُ دربنا العذاب
ويسترقُّ خطوَنا
هذا أنا يا صاحبى . .
كأننى ما عاد فى توثّبى انطلاق ! .
ــ وما اقترفتُ أىَّ ذنب يغلق السماء ــ
لكنها . . ألفاظىَ الممزقه
مصلوبة على جناح صمتى الكئيب
كيف إذن أعيدهُا رقيقةً منمقةَ ؟
كيف إذن أعيدها ؟
والصمت عاد شيئاً . . !

* * *

قد ينتهى الحديثُ قبل موعده
.. فلا تمل ..
لن أكملَ السطورَ لك ..
كعادتى ...
فقد غمستُ فى الدواةِ ريشتى بلا مِداد
كأنما شيء من البلاء
طاف على بابى هنا .. فأخرسَ الأشياء
وجفّت القَرَنْفُلَاتُ فى الإناء
واستيقظ الذى ينام عن خواطرى
.. استيقظ الشيطان ..
يمد لى تفاحَةُ الرطيب
يمزجه بالطيب والأنداء ..
يمنحنى حذاء ..
يقتحم الأبوابَ والجسورَ والسُّتُر .
يرفع لى مظلةَ المطر ..
فوق موائد النجوم والقمر ..
يا طول ما أغرى بنا الشيطان .. !

لطالما يدق فى فؤادنا الطبول
لنوقف الرحيل . .
لطالما ينيلنا الكئوسَ . .
والظمأ
يُوقَد فى حلوقنا وينطفىء . .

* * *

هذا أنا يا صاحبى عجبتُ للشيطان
إلى متى يظل بيننا يمتلك الزمان . .
يطعمه . . يسقيه
يبيعه . . ليشتريه
عجبتُ للسلطان . .
له من العبيد والإماء . .
وعنده من الرفاقِ حاشية . .
وعنده الأشياء . . . !
ياويلتى . . . لو كان صمتنا . .
من هذه الأشياء . .
يروقه أن يخلد ــ الزمانَ ــ
فى إمارة السلطان . .

أخاف أن يكون . .
فالصمت عاد شيئاً . . !

- ٤ -

أخفيتُ وجهى عنكَ . .
. . أعترف . . !
وبالأسى مددتُ راحتى
وأقفرت من السنا حقائبى
. . ما حيلتى . . ؟
هذا أنا . . تغامزت علىَّ خصلةٌ من الظلام
وبالهوى الجريحِ همتُ فى تمزّقى
ما كانت المدينةُ المضيئة . .
غير دماء النور تلفحُ الوجوهَ والنفوس
تُسكت فى الحلوقِ صرخةَ الجريح . .
ما كانت المدينةُ الرحيبة
غير صياح ضائع . . ولفتةٍ بلا قرار
غير عراءٍ يسقط الجليدَ فى المداخن الكئيبة
كأنه يثأر للشتاء . .

والوعى . !
حتى مدينتى . .
أدركها الشيءُ الذى جهلتُهُ
أدركها الصمتُ . . وعادت الثلوج
تنقُر فيها البُومُ والصقور . .
أدركها الليلُ الذى يمده الزمانُ دون ما نجوم
كأنه يثأر للأيام . . ؟

* * *

فلْأعترفْ يا صاحبى . .
أخفيتُ وجهى عنك طيلةَ اللقاء
لأننى محيَّرٌ سقيم
فالصمت عاد شيئاً
الصمت عاد شيئاً . !
. . . .

٢٦ / ١ / ١٩٦٦

●●● الزمن الأخير

كان علاءُ الدين .. كان
يُسَخِّرُ المصباحِ ..
كان يحيل ليلةً .. صباح
المستحيلِ ـ فى يديه ـ خاضعٌ مسخُر مُباح
والكلماتُ .. أمرُه المطاع
كان علاءُ الدين .. كان . !

. . . .

أغمدْ معى الحديثَ فى الرمال
حطِّم معى المصباح
أو .. دَعْهُ فى الصباح
لمن يطوف تحت شرفتى
يبحث عن نفايةِ الأركان
ولننسَ ما كان بغابرِ الزمان
فإنما زماننا ـ اليوم ـ زمان

الموتُ فيه من ملامح الحياة
والليلُ فيه قِبلةُ النهار
والجوع فى ظلامه شِبَع
وأنت .. قد تمر بالطريق أو يدوسُك السباق
فابحث معى إذن ..
عن ذكرِك الذى يلوحُ فى الدروب
لاذكر لك . !
لا شيء باقٍ منك عبر خطوتين
لو كان تبقى ــ بعدُ ــ خطوتان
ينطفىء البريق كلَّ لفتةٍ ويخفتُ اللسان
ولا يشيّع المواكبَ المسافرة
غيرُ عزاء واحد معاد :
ــ إنا بنو موتٍ وضيفان حياةَ ! ــ
ويُنثر البخور ــ بعد ــ فى أسى وفى أناه
ويذرع الطريق من جديد . !

* * *

لكننى مكثتُ غيرَ عابىءٍ بجوعىَ المرير
لأُحصىَ المسير ..

مكثتُ حتى ضاق بى انتظارى
يصيبنى الجنون تارةً .. فعالمى خواء
وتارةً .. أذوب فى أصدائه الخرساء
فهى تمر عبر شاطِئى
كأنها الأشباح لا ترى ولا تقول شيئاً ..

* * *

مدينتى ..
ليس لها وجهٌ ولا عينان
ميلادها مجهول ..
تصبغُ شيبَ رأسِها بالقهوةِ السوداء
سدًى .. تمدُّ فى نفوسنا الأوهام
مدينةً بلا قناع ..
من يا ترى يمزِّقُ القناع .. !
من يا ترى يجرؤُ أن يحطم الأكواب ؟
من يُهرقُ الشراب
ليَفضَحَ المشيبَ فى رأس مدينةِ الضباب ؟
من ينبُش المجهولَ ـ فى الرماد

لنعرف الميلاد . . . ؟
فلا أكاد أعقلُ الحياة فى مدينتى
وليس يولد الجدارُ فى عمى من العيون
ـــ وعمره سنون ـــ !
فإن مصباحَ علاء الدين
ذاب فتيلُه وبيعَ فى الصباح
وأفسدت أسحارُه الجسور والأسوار . .

* * *

وكان منذ كان . .
طاليسُ كان . .
يفلسف الزمانَ والمكان
يطّوع الفؤادَ واللسان
يبذ فى البيان . !
اليوم . . طاليسُ يُدان
اليوم . . قد تمزق الإنسان . .
أمات فى قيثارِهِ الألحان
أطاح بالريشة من يديه

وذاق غضبة النهار من ملاعق الهموم

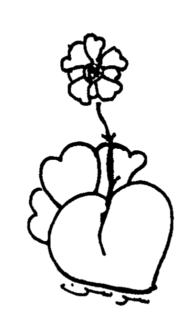
وقال كِلْمة الجحود للنجوم

. . . .

كأنما لم يبق بعد شيء
فالليل ــ فى سرابه ــ أحزان
وآخر الزمان
ليس له فى وجهه عينان !

. . . .

١٩ / ٩ / ١٩٦٦



... الدرب الشهيد

لنحترقْ فى ذلك المضيق

ولْنتَناثرْ فوق موجه .. ولنفقدِ الطريق

ما عاد لاشتياقنا مطاف

ولنكسرِ المزمارَ .. ولنمزقِ الشغاف

فلم تعد أفواهُنا تنفخُ عذبَ لحننا

وتؤنسُ المرافقين ..

ولينطفىء مصباحُنا ..

ولنمنحِ الزيتَ لمن يواصلون .. والفَتيل

فإننا يَقْرُبُ من حياتنا الأفول ..

لأننا لم نتعشَّقْ أمسِ أن نقول

ما يبعث الرجاءَ للحزانى

وما يخفف السآمة ..

ما يوقظ الخواطرَ الحبيسة
من غفوة الأوجاع . .

* * *

ماذا جنى غرامُنا الدفين
لم نعرف المِراح مرة . . فى دربه السحيق
لأننا سرنا به نختزنُ المراح . .
ليوم نفقدُ النسيم والحنان . .
لم نطلب الذى تذاءبت عليه أعينُ العشاق
لأننا . . كعاشقيْن وادعيْن
الكأسُ كانت عذبةَ المذاق فى شفاهنا
وهى تضىء القلب بالأمان والسلام
نحمل فى طريقها صفاءَ بسمة
. . ورقةً من الألم . .

* * *

لنحترقْ إذن . .
ما عاد لاشتياقنا مطاف
لأننى أريد أن أنامَ فى سلام

أريد أن أخلُدَ للفراغ من تزاحم الخُطى
أريد أن أُغمضَ عينى مرةً بلا دموع
لألمح الملائكَ المجنحةَ . .
تهبط من سمائِها . .
تمسحُ صدرى بالحنان . .
لألمحَ القمرِ . .
يكف عن تَجواله لأنه حزين
يكف عن إطعامه القلوبَ والعيون
فِضَّتَهُ الشهيةَ الشفيفة
ـ فلم يعد هناك من يذوقها . . ! ـ

* * *

أريد أن أكسرَ قَلْعى وشباكى
لأن تلكم البحار جفَّ ماؤها
ولست أدرى . .
هل سأنال اليوم مثلما جنيْتُ منذ حين
ـ أصدافَها . . مرجانَها . . قيعانَها البيضاء ـ

* * *

يكفى لنا رفيقتى التذكار . .
قلبى حزين . . رحلتى بلا قرار . .
يروقنى أن أستيعدَ الآن أولَ النهار
حين حملتُ القوسَ واللثام . .
وقلت للعالم : « ها أنا المغامرُ الهمام »
نسيتُ أن قوسىَ التى حملتها
كنتُ بها أوقِّعَ الحنينَ والأشعار
ـ لكنها ليست بها صلابةُ الميدان ـ
هزأت بالمدربين بالدهاءِ بالسنان

* * *

فلنحترقْ فى ذلك المضيق
نهدى صحائفَ الدموعِ والسلام
نكتب للدربِ الشهيد . .
أسطورةَ الأيام . .
بحرفِنا المعذب الهرم :
ـ الحب زحفٌ صامت بلا قَدم
ـ الحب شىء كان . . كان فى القِدَم . !
. . . .

٢ / ١ / ١٩٦٦

••• كبرياء

الصوت

لن تُخلفوا الظنونَ يارفاق
فسوف تذكرون قصتى ذاتَ صباح
ستوقِدُون آهة الفِراق
ستدركون فى الغدِ القريب
أنى عبرتُ من هنا والحبُ كان وجهىَ الوحيد ..
كان حديثاً رائقاً على الشفاه
يكِسر صمتَ خاطرى ويسكبُ المنى بكبرياء
فديتُهُ بالقلب والحياهَ
لأننى علمتُ عنه منذ أول الزمان ..
أن السماءَ باركت حروفَه إلى الأبد

* * *

معذرة . . إذ أُوثر الفراق
ــ فليس غيرَ جوع خاطرى رويْتْ
ــ وليس غيرَ موت كلمتى أبيْتْ
حتى إذا أثرتُ فى وجوهكم رمادَ كبرياء
خلعتم البراقعَ الشوهاء . .
لتمسحوا عنها الرماد
وبانت الوجوه . .
يومها . . أمسيتُ بين غربتى السوداء
كأنما الأمسُ لحاضرى هباء . .
. . لكنَّ لى قبل الرحيل كلْمةً مطمْئنه
ــ لا ترهقوا نفوسَكم
ــ لا تخلعوا البراقعَ المزيفة
فليس لى فى أرضكم مقام
ولست ذئباً جائعاً يناصرُ اللئام
أتركُكم لعالمٍ بلا قرار
أحمل فى طريقىَ المجهولِ حرفىَ الذى أبيتموه
لأنه ظل يقول عن حقيقة الوجوه . .

* * *

وصيتى يا إخوتى المودعين
ــ قولوا لمن يسأل يوما عنى :
.. لقد أقام بيننا غريباً
وآثر الرحيل عن ديارنا غريباً

* * *

التذكار

أُتخمتِ الحقيبةُ الكبيرةَ
يبقى معى بضعةُ أشياء عزيزةَ
تعيد لى إشراقةَ التّذكار . . .
ــ من عنده إذن حقيبةٌ صغيرة
تلذ فيها هذه البقايا : ــ
(أنفاسُ ذكريات
بعضُ خطابات مضيئةٍ بأحرفِ الغرام
وصورةٌ فى بسمةِ القمر
نایٌ حزين عمقُه ذِكَر
بعض هدايا الحب :
جوربٌ .. نظارةٌ .. مِنديل

أوشمةٌ حسناء . .

ربطةٌ جيد فوق مِشجبى

قفـــاز . .

وزهرتان بين دَفَّتَىْ كتاب . . !)

ــ من عنده إذن حقيبةٌ تضم هذه البقايا ؟

لا تبخلوا علىّ يارفاق . .

مهما خلت دياركم

فانها تغصّ بالبراقعِ القديمةَ

لا تبخلوا ولو بواحدٍ

. . أصنع منه هذه الحقيبةَ . !

* * *

الضباب

لربما ألقاكَ يوماً أيها الشراع

فالبحر أمواج على سفر

يسوقها التيار . .

ليس لها فى شاطىءٍ قرار . .

* * *

أعلم أن الدمعَ بين أعين المودعين
غدٌ قريبٌ . . ياصحاب
. . ستنطفى الدموعُ حين يزحفُ الضباب
لكننى . . لو أننى مكثتُ يوماً واحداً . . هنا
لسوف يكشف الكثير عن وجوههم
يطاردون وجهىَ الوحيد
ليسْلبوا كسرةَ خبز فى حقيبتى
أودعتها زادى وأُنسَ وحدتى
معذرة يا إخوتى . .
فإننى على عجل
وإننى لمّا أعدْ أصمدُ فى النِزال للمراوغين
فرحلتى مجهولة المطاف
ــ أسلحتى أغمدتُها منذ قليل
أنثر فى المدى ابتسامة السلام
وفى يدىّ أحمل الحقيبتين . !

* * *

لا تسألوا عن وحشةِ المسير
لا تسكبوا العزاء . .
فلن أذل للطريق
ما دمتُ أحملُ انتصارَ حرفىَ الحبيب
لكننى أُنْكِرتُ من دياركم
حين مددتُ القلبَ بالحنين

ليلتقى بروعة العيون . . !
عفواً . . فما قصدتُ أن أعيدَ هذه الرواية
لكنها أنفاسُ كبرياء . .
إعشوشَبت فى غابة الدماء . . !
. . . .

ـ فداك يا حرفى الحبيب
فداك يا أسطورةَ الخلود
أنت الذى تصيد نجمتى . .
لو أنها كانت بعيدةً بألف ميل
لنلتقى على نغم . .

أنت الفتى تحصدُ أجملَ السنابل . .
من قبل أن يزورها الخريف
فنحصد البوار . .

* * *

طوفان حرفى ياصحابتى غزير
أحمل منه شارةً تسكب حبى للوجود
تُبعد عنى وحشة المسير
ولو أبى الوجودُ ذلك المصير
فإننى أنشد عالماً جديداً
يخلد فيه ذلك الرجاء . .
ـ بابى هنا . . ومن هنا . .
لى ألف باب . .
شباك عالمى مضىء . .
أجنحتى محلقة . .
أحيا بجوع غربتى . . بكبريائى
. . . .
لكننى بعد قليل سوف أُغَلقُ الأبواب
فالحب عندى سَيدٌ يملُّ كثرة الحنين

والشوقُ ياصحابتى كالنار
تَحرِقُ ثم تحترق
أخاف أن يجفُّ يوماً عودُ لهفتى
لو أننى أطلت فى انتظارى
أخاف يوماً أن تذلَ كبريائى
ويُحملَ الحرفُ على محفة احتقار . !
.. .. ..

٢٣ / ٦ / ١٩٦٦

● ●

... العجز

دعْنى ... دعْنى
لا تبحثْ عنى ..
لا تسترحِمْنى ..
قلبى عارٍ خلف مرايا الصمت
جرّدتُ العالمَ منه حتى لا يزحمه بالخفقات
. . . .
لن تكسر أبداً عندى ليلَ الصمت
حتى لو حطمتَ الباب الأول منه
فالليل له أبواب .. !
قلبى المغلقُ لا أدرى كم باباً يفصلنى عنه ؟
لكنى لن أعطيكَ ولن أعطىَ أحداً مِفتاحَهْ
فلقد أغلقتُ البابَ وطوحتُ المفتاح ..

* * *

دعنى .. لا تقربْ منى
لن تصنعَ شيئاً يُرجعنى زمنَ الأحلام
لن يقبل سجَّانى أن تتوسل
فله وجهٌ ينفر من غلظتِهِ كلُ جسور
وجهٌ يلعن هذا الزمن المجهد :
ـ ظلماً ـ كتب علينا فيه ألا نغفَل ..

* * *

فى هذا الزمن المجهد يا هذا
لا يطلبْ منا أحدٌ أكثرَ من طاقتنا

هذا زمُن العجزِ الفاضح
لا شيء هنا لم نعِجز عنه
حتى الحب ..
أصبح شيئاً كالأحلام .. يُنال
لا تجدى فيه الكلماتُ الحسناء
لا يجلبُه الجوع
لا يخضعه إلا حدٌّ السيف . !

* * *

آه . . . ! إن الزمنَ الغابرَ كاد يعود
يطلب منا ثمنَ الحب الدامى . .
لكن أين الفرسان ؟
من منا يصبرُ حينا فى الميدان . . . ؟
من يصنع سيفاً لا يُكسر ؟
من ينهض من كبوته يطلب عودة . . . ؟
من يَمْلِكُ عمراً للميدان وعمراً آخر يحيا به
ـ والساعة فى معصمنا أفعى تأكلُ نصفَ العمر ! ـ

* * *

عذراً . . إنى لم أتأهب . .
دعنى أحيا خلفَ الصمت
أنحت عمرى الضاربَ فى الجدران وحيداً . .
لا تبحث عنى . . .
عش فى ذكرى حب كان . .
حمّلتُ صداه عمقَ الزمن الرحب
حتى يخلدَ يوماً فى وهمى كالسر
أُلقيه فى أى ظلام . . يكسره . .
يصنع منه وجه الفجر

لكنكَ أنت . .
مزقتَ الألحان جميعاً
أطفأتَ شموعَ الفجر
ألقيتَ على وجه الأيام الزيتَ الحارق
أقفلتَ عيوناً لم تأنسْ إلا بالضوء
. . . .

ماذا يبقى عندى اليوم
حتى لو أنك عدت ؟
فالعالم من حولى سُلبت منه الأحلام
. . . . . .

يكفينا شيءٌ من تذكار . .
أما أن تبحث عن قلبٍ أوّاه . .
عن حب ـ دون رجاءٍ ـ ضيعناه
فالزمن يضيق . .
ـ والساعة فى معصمنا أفعى تأكل نصف العمر ـ
والعالم لا يقبل منا التجريب . .
ولأنا نحن البشر الخطّاءون . .
فليخطْىء كلٌ منا وحده

وليسلكْ كل منا درباً وحده
أنا فى صمتى العاصف أغمض عين الضوء
أما أنت .. فعذراً ..
دونك هذا العالم
لا تبحث عنى بعد اليوم
فلن ألقاك !
.. .. ..

٢٥ / ٦ / ١٩٦٦

● ●

... وجه الأيام

أيقظْ جفنى . .
لن يأتىَ ليلُ الرابع عشر
لن يكتملَ البدر . .
ـ والأيدى تُخفى ـ ظلماً ـ وجهَ الأيام . .
تستعذبُ أن نحلُم ـ زيفاً بالفجر
توحى أنا مازلنا فى أول أيام العمر
لن تُكْمِلَ سيمفونيةَ هذا العالم
ـ والصمتُ الخانق فى الأفواه
والصمم الساخر فى الآذان
. . أرهف أذنى
لا تطلب أن يكتملَ اللحن . .
والقلبُ خَواء . .
والأيدى صِفْرٌ من أنداء

وزجاجاتُ الظمأ الصارخِ فارغةٌ صدِئه
سقطت ــ أمس الأولَ ــ آخرُ ورقه
فلنحرقْها . .
لن نبحثَ يوماً عن باقى الأوراق
حتى لا نحصد قبض الريح . .

* * *

يا قلبَ خريف العمر . .
أسكِتْ ما بقى من الهمساتِ السكرى فى الأفواه
واصل صرخاتِ الأبواق
حتى لا يُحتضرَ العالمُ فى أحزان الناى
ــ فالرعد الجاثم فوق ربيع الكلمات
يكسو بالشيب العاجلِ رأسَ الهمسات
فاسأل مهما تسألْ . . ماذا نجنى ؟
ماذا نقتات . . . ؟

* * *

أيقظ جفنى
أرهف أذنى . .

كى أنظر زيفَ الأبعاد
كى أسمعَ صوتَ شِواءِ الأجساد
كى أنزعَ من جوف خريفى بعضَ الأنداء
كى لا أحصدَ قبض الريح
ولأحرق آخرَ ورقة
سقطت منى أمس الأول .. !
.. .. ..

٢٠ / ٨ / ١٩٦٦

● ●

... لعنة الأزمان

كأن الصمتَ فى أعماقنا
خفقٌ ورِثناهُ
كأن الليلَ فى أحداقنا
جَفنٌ مُنحْناهُ
كأن السُّكْرَ فى الأفواه
نخبٌ قد شربناهُ

. . . .

وتمضى لعنةُ الأزمان تنهش لهفةَ الإنسان
فتحترقُ المنى فى كفِّهِ .. آهاتِ ملهوفٍ ..
.. وتصرخ ألفُ حشرجة
ـ هتافاً .. جُرِّحت أوتارُه ـ
.. صدِئَت على القيثار ..
وتعثُرُ خطوةٌ بيضاءُ فى الأوحالِ فى الأمطار

وتُنجب لعنةُ الأزمان لُعناتٍ من الصمتِ
من الليلِ .. من السكرَ ..
ولا ندرِى .... !
إلامَ تحملُ الأعناقُ ذنباً .. ليس يُغتفرُ
وتزحم ـ كلَّ دربٍ ـ أعينٌ تَخْفَى .. وتنصهرُ
وتُخْفِى الموتَ فى لحظٍ .. وتَنتصرُ ؟
فمن ـ ياقلب ـ يسبقنا .. يخلِّصنا
ويمضى فى هجير العالم الممدودِ .. ظمآناً
يريدُ الماءَ .. يخبِطُ جبهةَ الصحراء
يثورُ .. يدورُ ...
يرفضِ كل معلومٍ ومجهول
يتابعُ حيرةً خرساءَ .. حتى الموت
حتى ينُطق الموتى .. ؟

* * *

ويحفر فى غدٍ .. مجرى سفائن ذلك الإنسان
ينَقبُ فى نفايات الأسى والصخر والأزمان ..
لعل تميمة تُغنيه ـ بعد اليوم ـ أسفارَه
وتكشف زيفَ عالمه .. وأسرارَه
وإذ تَدمى أصابعه ...

يلوّنُ رايةً فى شاطىء النظرِ
وينقش تحتها الويلات
ــ حصادَ الكفّ والعينين والخُطْوات ــ
ويبعثُ ضحْكَةً تهتز فى الآفاقِ .. تنتشرُ
تجوبُ .. تذوبُ .. تصعدُ .. حيث تنفجر
ضباباً .. يحتوى الماضى ..
ونوراً .. دائم الومض ؟
ويكفى ذلك الإنسانَ أوهاماً من الضجرِ

* * *

فمن ــ يا قلبُ ــ يسبقنا .. يخلّصنا ؟
وأين سنابلُ النصرِ ..
خرافاتٌ .. !
أباطيل .. !
أم الصمتُ الذى يحدو ..
وذاك الليلُ .. والسكرُ
ورثناها .. منُحناها .. شربناها .. !
فكانت لعنةُ الأزمان
تنْهشُ لهفةَ الإنسان .. ؟

١١ / ١٠ / ١٩٦٦

●●● الجوع والسؤال

الخرافة

... ...

أجَل .. !

علامةٌ أخرى على الطريق

دقّاتُ أجراسٍ تشق صمتَنا العميق

.. خرافةٌ جديدة .. !

لا تحسنوا بها الظنونَ يارفاق

ليست هى العلامةَ الأخيرة

نضرب فى ظلالها الخيام

وتوقف المسير ..

ليست هى الأجراسُ وهمَنا الأخير

نرفع فى ضوضائها الكئوس

فى صحة المأساةَ . .
فى صحة الجوع وحيرةِ السؤال

* * *

ـ أكذوبةٌ علامةُ الطريق
لطالما لاحت على طريقنا بألف ثوب
وألفِ بسمةٍ مزيفهْ . .
تَسفَحُ بعض خطْوِنا
تأكل نصفَ زادنا . . تراوغُ الفُرسان
« من يشترى منها الخطى الوفيره » ؟
ـ « من يشترى الجياد ولأميرة » ؟
« من يرفع الكئوس . .
فى صحة المأساهُ » : ؟
خرافةٌ تلك الخطى « الوفيرة »
شابت على طريقنا وعمرت بألف ثوب
حذار يارفاق . .
أن تُسْكِنوا أنفاسَكم هنا . .

أن تُرهفوا آذانكم .. وتنفقوا الخُطى سُدى
حذار يارفاق ..
أن تحسِنوا الظنون
فليست الخرافةَ الأخيرة ..
ولا نهايةَ السؤال . !

* * *

السؤال

الثلجُ فوق دربِكَ الطويل
يا دفئَنا الأخير ..
الثلجُ موتٌ يسحقُ السؤال
ـ يذوبُ .. يَقشعرُّ منه .. يَجْمُدُ
حتى الذى يسأل إحسانَ العباد

أصبح فيه يزهَدُ . !
فالدفءُ كلَّ يوم .. يبرُدُ ..
حتى إذا ما أخطأت أيامُنا وأقبلَ الربيع ..
لا نُفسحُ الطريقَ له ...

ـ لأننا .. تجمدت أطرافُنا على الثلوج ..
وأنه لن يمكثَ ـ الزمان ـ
لأن أيامَ الزمان يا رفاق ..
تُخطىء كل عام مرة واحدة
ويقبلُ الربيعُ .. ثم ينطفىء
من قبل أن يبلَّ بالندى .. أى الصدى
وحينما نُودِّع الربيع ..
كانت ثلوجُ دربنا أولَ من يودعه
.. جراحه .. فراشه العقيم .. أدمعه ..
جامدة على إناء ..
ـ هدية الثلوج للربيع يوم أن تودِّعه .. !

* * *

يا دفئنا الأخير ..
لطالما غنيتُ للربيع وهو يشرب الدموع ..
لعله يعيش فى قلوبنا تذكارَها الحبيب ..
لكننا نموت فى الخريف ألف مرة ..
ولا نموت فى الربيع ..
وحسبنا فى موتنا ..

نأكلُ فى جمودنا قلوبَنا .. خشيةَ أن تجوع ..
نلوذُ بالسؤال دائماً .. ويجمدُ السؤال
فالدفء كل يوم .. يبرد !
. . . .

الخلاص

نبحثُ عنك منذ أوْمضَ الطريق
ياحبَنا ..
ياوجهَنا .. يادفئَنا المجهول
أين إذن تكون يا مخلِّصَ القلوب ؟
نعلم أنك الحياة أنت أولُ الحياة
وأنت أنت منتهى الحياة
لن يُنفخَ الصورُ ولنْ تقومِ ساعتُه
وبين قلب واحد نبضُ خِداع
أو نطفةٌ ملوثة
بظلمة الأحقاد ..
لأن يومَنا البعيد ..
لا يَقْبَل الذين يحقدون أو يراوغون ..

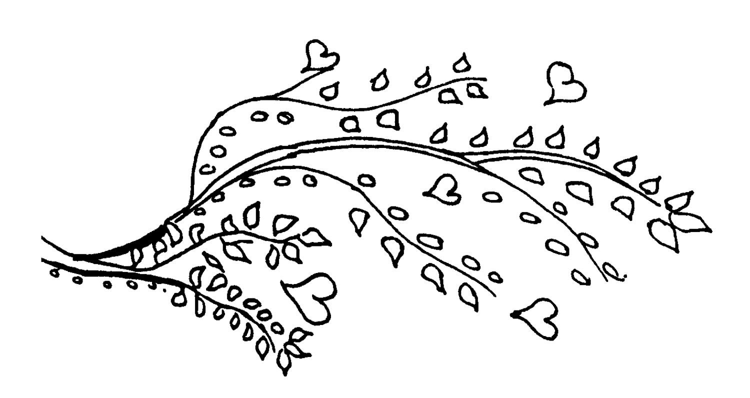
لو تَستطيعُ يا خلَاصَنا الوحيدَ . . أن تبدّل القلوب . .
فإننا لا نستطيع . . .
انكفأت قلوبُنا على الأسى
فالنارُ فى دمائنا سوداء
الطفلُ لو يفتح عينيْه على ضياء
تلقف الرذاذَ والغيومَ والأنواء . .

* * *

يا حبُّنا . .
يداك رحمة السماء . .
عيناك . . بسمتانِ فى أشواقِنا
ونجمتانَ للحياة . .
نبحثُ عنك منذ أومضَ الطريق
فلا تضنَّ بالحياةِ بعد موتِنا الطويل
يا وجهَنا الوحيد . !
... ...
... ...
... ...

١٩٦٦ / ٧ / ٣١

الهجـــرة
من الجهات الأربع



...صوت الشعر

عند أبوابِ دمشق
وعلى أسوارِ بابل
وبطيبة . .
وعلى رملِ الصحارىَ الشاسعات
وبقلب الزمن الدفاقِ من عهدِ يسوع
يهدر الشعرُ بأنفاسِ الجِراح
وأغاريدِ الصباح
وبدمعات على العينِ لقديسٍ حزين
.. ..
كان ليلُ الشعر فى كل زمان
يتهادى بين أحضانِ الهوى . . والمهمهات
والأسى . . والدمعات
.. ..

ـ يا رفاقَ الكلمات
نحن أسرعنا إلى حافةِ شوقٍ لجديد
نحن فى عصرِ الضحايا . . والرُفات
والجراحِ المثخنات
نحن فى عصر اقتحامِ العاديات
ـ يارفاقَ الكلمات
نحن لا جدوى لنا من كلمات
تتمطىٌ . . تتهادى فى موات
تطرق الأبوابَ أو ترجعُ تحكِى الحسَرات
شاهت الكِلمةُ لو صارتْ جليداً . .
شعرُنا ليس رخاماً . . وهُياماً
شعرنا لابد أن يصنعَ فى الدنيا سلاماً
ووجوداً . .
كلماتُ الشعر ليست فى أماسينا قياناً وعبيداً
وأساطيرَ تُغنى . . ووعوداً . .
شعرنا لابد أن يُصبحَ شيئاً
شعرنا لابد أن يُطْلِعَ وجهاً . . .
أن ينال الشمسَ . . يَعْرَى . . يتمزق
ينثر الضوءَ لركب الحائرين

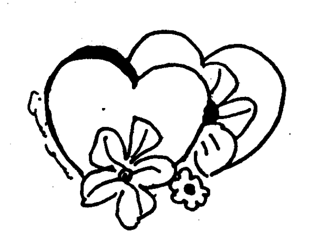
يحمل المِدفعَ والنصرَ وأحلامَ اليقين
ويغنى للحزين . .

. . . .

شعرنا لم يعد القديسَ فى محراب أمسه
لم يعد ترنيمة الرق ولا زيفَ الحوار
شعرنا صوت الملايين . . وفكر الثائرين
وهو شوق لجديد
وهو يلقى الموت كى يُبعثَ حياً
وهو يحيا ليقود
ثورة الشمس على أرض الجليد . .

. . . .

١٩٦٩



... أين المفر

(البحر من ورائكم .. والعدو أمامكم .. وليس لكم والله
الا الصدق والصبر) طارق بن زياد

- ١ -

ريشةُ بيكاسو على الخليج
تذوبُ فى نشيج ..
ثيرانُ مدريدَ بلا مصارعين
تسابقَت تناطحُ المضيق
فالعباب ..
مُلاءةٌ حمراءُ وسْط حَلْبةِ الرمال
ليست معى عصا تشقُّ ذلك العُباب
فليصمتِ المنجمُ الكذّاب
البحر من ورائكم ..
والموت .. لو يذلنا التيار
وذلك العدو من أمامكم ..
يمد فى حصونهِ مأدبةَ المكابره

من ذا الذى ينيلُنا الملاءةَ الجديده
والكرَّ . . والإقدام . . والمغامره
من ذا الذى ينيلُنا سواعد انتصارنا
غيرُ الذى تقوله سنابك الخيول
لا وقت للخيال . . والمقامرة
لا وقت للمفاخره . .
الجبلُ العريقُ فى سيناءَ لن يُدَكَّ مرتين
ولن يكون فى زمانِنا نبىّ . .
يرفع كفَّ الأمن والضراعة . .
فليصمت المنجِّمُ الكذاب
وليطوه العُباب . .

ـ ٢ ـ

عزَّ علىَّ أن أنام
ولا مفر من توعُّدٍ . . ومن صِدام

ـ ٣ ـ

حكيتَ لى كلَّ الحكاياتِ القديمه
حكايةَ التتارِ والمجوس . .

والسقطةِ النكراء فى طروادهْ
قفزتَ بى أسوارَ بابلَ الحصينة
وجزتَ بى طريقَ ذى القرنين
فمرةً .. كبُرتُ فى انتصار
ومرةً .. رجعتُ بالهزيمه
لكنها جميعَها .. حكايةٌ معادة
جذورُها شمعيةٌ .. ممضوغةُ الحروف
ماذا إذن تُجدى بنا الحكايةُ المعادة
والبحر من ورائنا يثور
والمعتدى العنيدُ .. فى حلوقنا توعدٌ مرير ..

.. ..

أغمدْ إذن حكايةَ الفِرار من حديثنا
لكى نلبى هاتفَ المضيق
ونصحبَ الصدى على الطريق
يذيُق كأسَ الموت والحريق
يصارعُ الثيرانَ دون ما عصا ولا مُلاءة
لنمسح الحزنَ عن السماء
ونستعيدَ فى زماننا النهار

ونجعَلِ النصر على شفاهنا
قصيدةً .. وصيحةً .. وثار
ويومها .. نحكى معا حكايةً جديدة
لا تقبل الفِرار !
.. ..

٢٢ / ٨ / ١٩٦٨

● ●

...خمس صلوات
فـــى المسجد الأقصى

- ١ -

لن تسألَنى أرضى يوماً
ــ من أنت ؟ .
لن يسألنَى أمسى . .
لن تسألنى المئذنةُ الشاهقةُ الهامه
فأنا ما جرجرتُ الساقين لها فى تيه الغربه
ما ارتعدت أطرافى وأنا ألهو فوق روابيها . .
ما سقطَ سلاحى وأنا أدفعُ عن شُرفات النور . .
أدرى كم حبةِ رملٍ فى أرضى
كم تاريخٍ يخلُدُ فوقَ الجدران
كم صوتٍ أذَّن . . كم ناقوسٍ دق . .
. . . .

تعرفنى أرضى العذراء
تكمُن فيها تسبيحاتى .. أنفاسى .. خَطْوِى اللاهث
تذكرنى وأنا أحبو بين حدائقها
وأنا أحملُ خُضْرَ بيارِقها
وأنا أبنى ــ فى حب ــ هيكَلَها ..
وأنا أقفو النورَ الصاعدَ ذات مساء
وأنا أدفع عنها كلَّ غزاة العالم ..
كى تبقى أرضَ الحب وأرض السلم !

ــ ٢ ــ

تسكننى أرواحُ القديسين الشهداء
تتوعدنى أيدى القتله ..
أتنوَّرُ فى قلبى .. فى عينى .. فى أنفاسى ..
أترك دمعى اليابس يسقطُ فى أقدمى
أسمع صوت الزمن الدافق :
ــ (يا فارس أرض الحكمة
لا تتركْ أيدى القتَله

تحرق وجهَ الأرضِ الفاتن . .
وتغير من قسمات الحب . .
لا تترك أقدامَ القتلة
تعبث . . تلهو فى طهر ترابك . .
وتمد الليل على جدرانك !)
ـ هأنذا يا صوتَ الزمنِ الدافق
أقبض من أرضى العذراء
قبضة ثأر وعناد . .
أقسم فيها بالإسراء
أقسم فيها بالشهداء الأحياء
وعلى هَدْىِ ابن الخطاب
وعلى درب صلاح الدين . .
لم تمت الدعواتُ بسيفى
لم يتجمدْ قلبى فى قارورة وهم . .
لم تخمد أنفاسى فى ليل الهم
لم يتساقطْ فى أقدامى إلا الدمعُ اليابس . .
لكنى . . سرجُ جوادى مصنوعٌ من جلدى
بارودى . . سيفى . . ثأرى . . تتنزى بالرغبة
خطوى . . أنفاسى . . تتوقدُ تحت الشمس

- ٣ -

صلواتى تحملُ كلَّ عهودِ الحب . .
صلواتى فى ظل المِئذنةِ العذراء
لن تغرُبَ عنها الشمس . !

- ٤ -

يترجلُ فى ساحِتكِ الفُرسان
يا شمسَ الليل الصاعدةَ بأشواقِ الأرض
يا ساحةَ عيسى ومحمد . .
يترجل فى ساحتك الفُرسان
تسقط من أيديهم كلُ سيوف الزيف . .
هذا يومُ الكلمة . .
يومٌ يَبْطُلُ فيه سمُّ يهوذا
فلتسقطْ كلُ الكلمات الجوفاء
ولتتحطم كلُ مناقير الغربان
وليحْييَ البحرُ الميت ينزفُ فى الصحراء

ليعيد الصوتَ يهلل بالأسماء

ويعيدَ الضوء الصاعد بالإسراء
ويدقَ على قبرٍ يسوعَ الأجراس . .
. . . .
لن تسألنى أرضى يوماً :
ـ من أنت ؟ .
فأنا لن أدعَ الشيبَ يقنِّع رأسى
لن أدع الدمعَ يلوِّنُ أى جواب
لن أصبح مقهوراً . . مجهول العين
لن أصبح أمساً مقتولاً . سقطاً منسياً . ليلاً مطوى النجم
لن أترك فى أرضى أيدى القتلة
تتوعدنى تقتلنى . . تمحو ما فوق الجدران . .

ـ ٥ ـ

العشاء الأخير

أنتظر عشاءَ الثأر . .
أثأر فيه للشهداءِ الأحياء

أثار فيه للمئذنة العذراء
أدمى فيه وجه القتله . .
هأنذا تحت القبة . . جنبَ الصخرةَ . . عند الباب
أترقب . . أهفو . . أتوعد . .

تخلو الأيدى الا من صرخات السيف
يخلو قلبى إلا من ثأرى المحموم
تخلو أنفاسى إلا من لهفاتٍ نحو النور
لك عهدى يا يومَ الثأر
لك عهدى عهد الله
أن يعلوَ صوتى بالصلواتِ وبالتكبير
أن يحيا البحرُ الميتُ يجرى فى الصحراء
أن أختم صلواتى بضجيجِ النصر
واقطّع أيدى القتلةَ !
. . . .

٢٥ / ٨ / ١٩٦٩

●●● نبوءة نيسابور

الرؤيا

شرِب الشاعرُ حتى أضنى القلبُ هواه
وانسكبَ الليلُ على رؤْياه
نقَّب عن شيءٍ ـ لا يأتى ـ حتى أعياه
أرَخى جفنيه .. وفى شفتيه بوحُ الآه
يا شاعرنَا .. التفتْ ساقُك بالساق
جفَّت كل الأوراق
الحكمةُ بيعتْ بالأعناق
الحكمةُ جزُّت لحية كل حكيم
فادفنْ فى منبت لحيتك الصمت
الليلُ الضاربُ فى أصدافِ حديثك
تنِّينٌ يأكلُ من أطرافك ..
يشرب ـ فى إلحاحِ ـ من أقداحِك

● صحبة مشرقة مع ديوان (الّذى يأتى ولا يأتى) للشاعر عبد الوهاب البياتى

يزحفُ حتى يبلغ عينَ الشمس
حتى يُخمدَ عينَ الشمس
ينحرُ ألفَ جواد ـ قرباناً ـ يشويها فى كهف الموت
الليلُ الضاربُ ـ يا شاعِرَنا ـ
سدَّ علينا حتى بابَ الموت
ألفُ سلام « يا خيام »
ألفُ سلام يا « نيسابور »
ضاعت منكِ الحكمةُ حتى وقَفَتْ فى حلْقِ العصفور
تحكى الرؤيا .. تصعدُ بالحلم الموتور
الطيرُ المجهدُ يُذبح فوق السور
خضَّبَ أرضَ الحكمةِ .. أطفأ فيها النور
عُلِّق فى بابٍ مسحور
مرَّ به زمنٌ شاهَده الموتى قبل الأحياء
فروُّا منه بحيلةِ صياد
فالشيءُ الضائع ـ يا شاعرنَا ـ
مهما تبحثْ عنه .. ضياع
لا تشرب كأسَك بالمجان
لا تقرأ وِردَ الليل .. فليس هناك مكان
يدَّخرُ الأورادَ ليومٍ يضربُ فى الأزمان

يكفى أن شاهتْ جبهتُك البيضاء
بخطوط الصمتِ المائجةِ السوداء
حتى يأتىَ شىءُ لاَ يأتى
حتى يبُعثَ وهم . . مات . !

(التمرُّد)
أخفيتَ الخنجرَ تحت ثيابِك ـ يا قابيل ـ
حدَّثتَ الأرضَ . .
فأنبتَ ظلُّ الموتَ جداراً
نثَّرَ صوت جريمتك النكراء
فى سمعَ الأزمانِ البكماء
ليثُارَ سؤالٌ ـ كَلَّ صباحٍ كلَّ مساء ـ
« من منَّا ماتَ . . ومن أغفى . . من جاء . . »
« من جاعَ . . ومن يبكى . . من يقتات . . »
« من يَعْرىَ . . من يُكسى . . من يلَهُو بالأهواء »
ـ ثرثرةٌ . . بُعثر فيها لبُ الأشياء
رفعت فى صيحتها الأهداب
شخِصتْ فيها الأعينُ . . ضاقتْ فيها الجبهة
سقَطَ الشعرُ الأسود . .
ـ لا جدوى من قتْلِ الأفكار ـ

لا تثقبْ ليلَ الأسوارَ . .

« سيزيفُ » توارى . . كانَ . . وليس يعاد
أُجهدَ حتى نخِرتْه الأزمان
عُذِّبَ . . حتى استعذَبَ أوجاعَه
أيقظَ فى الانسان إباءَ الطّاعة
قنّعَ وجهَ الشمس
خبأَ فى الثوبِ السكين . .
. . من يجرؤ يوماً أن يرتد
من يقرع أجراسَ الطاعة
طمعاً . . أن يأتىَ شىء لا يأتى
أن يُبعث وهمٌ . . مات . .

(الأرض العذراء)
ـ قديسٌ ضاجَع قديسه
سلطانٌ . . أطلقَ شاربَه للناس
حتى يضخُمَ فى الأسماعِ حديثُه
رعديدٌ قبّل أقدامَ السيد . .
بتجاعيدِ الشفة الأسيانة
ـ حتى يُمنح بضع دراهم ـ

موتى .. ناموا .. همدوا ..
ولدوا .. عادوا فى الأرحام

« عشتار » كطاووس البستان
أعراسُ البحر تُلاصق أوهامَ الإنسان
عرافٌ يسألُ جوفَ الرمل
يخطُّ الكفَّ .. ينقِّبُ فى الأوراق
حيتانٌ « تولد » أو ذئبان « تضع البيض »
حفارٌ يسبل جفنيه .. ويزيف دمعَه
.. ..
لم يخلد فى عالمنا شىءُ غير الآه
أيكون الإنسان « إله » .. ؟
ــ من يمشى فى قدميه .. يسند أنفَه
أيكون الإنسان « إله » .. ؟
من يعجز أن يطردَ من عالمه الغربان
من يعوى ــ إذ تعوى الذُئبان ــ
من يسلك هذا الليل « مهُان »
.. الشىءُ الضائع ياإنسان
لن يأتىَ رهنَ إشارتِك البلهاء
فتش ــ إذ تبغى ــ عن أرضٍ عذراء

« تلك نبوءةُ شاطئنا المطمُور »
لا تنتظرِ البعثَ الغامضَ فى صحراء
ـ مات الفارسُ فى الكتب الصفراء
تلد الذُّئبانُ .. ولا تلد الحيتان
مات العرافُ .. وحُرِّقَتِ الأوراق ..
ماتت عشتار ..
هطَلَت فوق أساها الأمطار
عارٌ .. منك .. وعار
أن تَحكىَ عن زيفِ الأقمار
فلتغسل هذا العار
وابحث فيها عن أرض عذراء
تجرؤُ فيها أن ترتد ..
تطلقُ فيها صوتَ الشاعر
تملك فيها .. أن تملكَ .. أن تفقد
تملك فيها أن يبتلَّ قميصُ الليل
بالضوءِ .. ولا يسقيك الويل
تطمعُ فيها .. أن يأتىَ شىءٌ لا يأتى
أن يُبعثَ وهم .. مات . !

٢٦ / ١١ / ١٩٦٦

...أبو نواس يعود

- ١ -

الكأس

أسميتَها بأحسن الأسماء
أثنيتَ بالآلاء
أدرتَها على الرءوس طائراً من الطرب
حتى بكى من الطرب
حتى تَعب
ومجلسُ العشاق والندامى
يُغرقه فى ليلهِ الدُّوار
وقيلَ ما يُقال
عن الذين يندمونَ .. يغرقون
فى سُكرهم لغصةِ الأعناق
وقلتَ ما يُقال ..

عن الذين يمقتُون لذةَ الشراب . .
ـ ودونها الحجابُ والستر ـ
« ألا فاسقنى خمراً . . وقلْ لى هى الخمرُ »
أدرتَها كما تلذُّ فى المذاق
كأن رأسَك الذى يدور
يجدُّ فى متاهةِ السباق
يهدهد العشاق
يُمزقُ الحجَاب والأستار
أردتَها الإناء . .
أردتَها عاريةَ الحياء
ورحتَ تغنِمُ المنى . .
وتُطلق الأسماء
تجدُّ فى السباق
. . . .

ـ ٢ ـ

القلب

أفنيتَ كل أحرفِ العبادة
كابدتَها باللوْم والبكاء

ضمخْتَها هوىً .. وكبرياء

« كلما انقضى سبب

منك جاءنَى سبب »

سابقت فى الهوى .. تذوب

تعطيه ثلثىْ قلبك الرحيب ..

و« الثلثُ » للكأس وللنُّدامى

ولا عليك بعدُ فى بقية الأمانى

فالناسُ دونك استقاموا ..

صديقُهم .. عدوُّهم .. سواء

بعيدُهم .. دونك .. كالأدانى ..

والبصراءُ منهموُ عميان

حدثتَ أكثر الحديثِ ــ فى الهوى ــ

وأصدقَ البيان

سخرتَ باللوام قرَّت القلوبُ والعيون

وهدْهَدَتْ حنينَها وشوقَها الكتوم

ولا عليك من (جِنَان)

فهى هواك .. والمنى .. وشوقُك الكتوم

لها تشفُّ كلُّ أحرفِ العبادة

ويُبذل الحنين ..

- ٣ -

زهديات

« ما كان »
كم تودُّ لو يغيب
يأخذُ فى ردائِه الذنوب
عُدْتَ .. ولم تَكنْ بدأت
تأخذُ فى مدارِ كونِك الفَلْك
- « إلهَنا .. ما أعد لَكَ
لبيكَ قد لبيتُ لكْ »
كأنما الإلهُ .. قلبَك امتلكْ
فهل يعود - بعد - للذى سَلَكْ
الطائرُ - الذى يرفُّ رأسه من الطرب
حمامةً بيضاء
تزف توبةَ السماء ..
وهل يُغير الندامى
أثوابهم كحرمة العروس
.. ..

لكنها يا صاحبى
ألفاظُنا الجوفاء

تذوب فى حثالة الإناء
لنستعيدَ همسَها فى أذننا الصماء
فالطائرُ الذى يرفُّ فى سمائنا
لو عُلِّم الغناء ــ رائقاً
لطاف بالسلامة
لكنه يوماً سكر . .
منقارهُ يغوصُ فى الكئوس
ــ كلَّ زمان ــ كى ينُقِّرَ الرءوس . . !

١٦ / ٨ / ١٩٦٧

● ●

... تصاصلت ليل طويل

ـ ١ ـ

فى حضنِ شُجيرة ..
نام القديسُ العاشقُ يحلُم بالضوء ..

ـ ٢ ـ

فى طيات الليل الممتدة
سرقت خطوتَنا أجراسُ الغربة
صبغت لهفتَنا ألوانُ الظل ..
وتدحْرَجنا .. كالنجماتِ ــ بلا خطوات ــ
نتمردُ .. نُلقى أفلاكَ العتمة
نُخطئُ ــ عن قصدٍ ــ فى حُسبان الزمنِ القابعِ فوق التل
ونغافله ــ فى خطوات الغد ــ
ــ حين تكفُ الأجراس .. ويمُحى لونُ الظل ــ

- ٣ -

تَسْوَدُّ بكف الليل شقوقُ الضوء
ويصيح الطفلُ ـ وأشباح الليل السكرى تملأ عينيه ـ
وتحيلُ العينُ القديسَ الحالمَ
شيطاناً يقبض فوق الأعناق
وعيوناً يقفز منها الموت . .
. . الطفلُ ملاكٌ يخطو نحو الظل
لكنَّ الليلَ الأسودَ أخفى وجهَ الظل
وأحال الضوءَ الموعود
أوهاماً تعثر فى الطرقات .
. . . .

هامش ١

آلافُ الأجنحة الفولاذية
تسَّاقط فى سحُب الحزنِ الأسود

هامش ٢

كل الأحرف نابعةٌ من جوفِ الليل
من يحرسْ عين الليل
يملكْ سرَّ الأحرفِ والخطوات . .

- ٤ -

لن أبكىَ غير الموت
لن أبكى غير الحرفِ المظلم
وقصاصاتِ الليل المنثورة
لن أبكىَ غيرَ الخُطواتِ الشاردةِ الخرساء
ـ لا تطعنُ قلبَ الليل ـ
لن أبكىَ غيرَ القلبِ الأعمى عن عينِ الليل
غيرَ الزمنِ القابع فوق التل . .
ـ وهو يطيلُ اللومَ . . ويسخرُ باللوام ـ
لن أبكىَ غيرَ القديس الحالم
وهو يطيلُ الحلمَ الأجوف
فى حضنِ شجيرة !

١٢ / ٧ / ١٩٦٩

... كتابة فوق ورق البردى

ـ ١ ـ

آلافُ الخُطُواتِ الحيرى تعبُر منف
تسأل عن زهراتِ اللوتس فى الشرفات
تسأل عن آمون الرَب
عمن أنزل صورتَه من فوق الجدران
وأقام الذكرى فى تابوت الليل
كهفاً صخريَّ العينين . .
يقطع قلبَ اللهفةِ للنصفين . .

ـ ٢ ـ

فى ذات مساء كانت إيزيس
ساهرةً . . يجرى من أدمعها ماءُ النهر
تغزل شعرَ جدائلها الرقراق . .

تصنع منه حبلاً .. يعبر شطَّ الحزن
ويلملمُ أشلاءَ الموتى الأحباب ..
.. ..
كانت إيزيس تغنى لحنَ الثأر
وتفك القيدَ الملعون ..
تغرس فى تابوت الذكرى وردةَ حب
فاذا الموتى أحياء
واذا أشلاءُ الموتى
خطواتٌ تعبر شطَّ الحزن ..
.. ..
فى ذات صباح ضحِكت إيزيس
وتراقَصَ فى أعينها النهر ..
تغسل فيه شَعْرَ جدائلها .. تغرسه فوق الشاطىء أشجاراً
و منارات
تُجرى من أعينها دمعَ النشوة ..

= ٣ =

يهْوِى فى قدمىْ آتون
آمونُ .. وأوزوريسُ .. ورع

فلتهجر كلَّ الأشجارِ الناحلة الظل
ولتسنُد جنبك ــ ما تهوى ــ للشمس

واسحق ــ ماشئت ــ الجِرْذان
فالليل ملء بالجرذان . .
الليل سراديبُ للحزنِ الأعمى . . والخوف
للمطرِ الساقطِ فى فصلِ الصيف
للغربةِ . . وهى تدوِّى فى صحراء الجوع . .
تقتلُ ما نملكُه من أحلام الغد . .
اسند جنبك ــ ما تهوى للشمس
آتون أذابَ الصخر . .
أوقفَ ــ عند القدر الأعمى ــ خطْوَ السكر
كى تبصرَ ــ فى غدها ــ الخطوات . .

ــ ٤ ــ

« لن تَسْقُطَ فى الأيدى منف »
« لن يسرىَ فى خطوتنا مطرُ الصيف »
أوراقُ البردى تفصح فى الشط الآخر
لم تتمزقَ فيها الحكمةُ والأسرار
. . . .

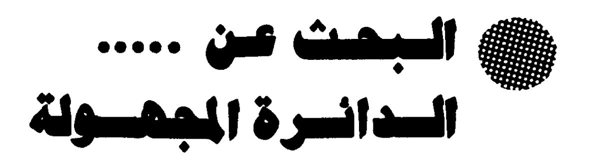
تلك خطى إنسان العصر
باتت تعرف سر الدرب الممتد
باتت تسبق شمس الغد . .

الشجرُ الأخضرُ فوق الشط
أحلامٌ لا يخطؤها القلب
زهراتُ اللوتس ليست فى الشرفات :
ـ فهى حدائقُ باتت فى أقصى الدرب
تدعونا أن نتسابق رغم الموت
كى نصنعَ من زهراتِ اللوتسِ عِقْدَ الحب
ونقدمُه للشمسِ الوادعةِ القلب

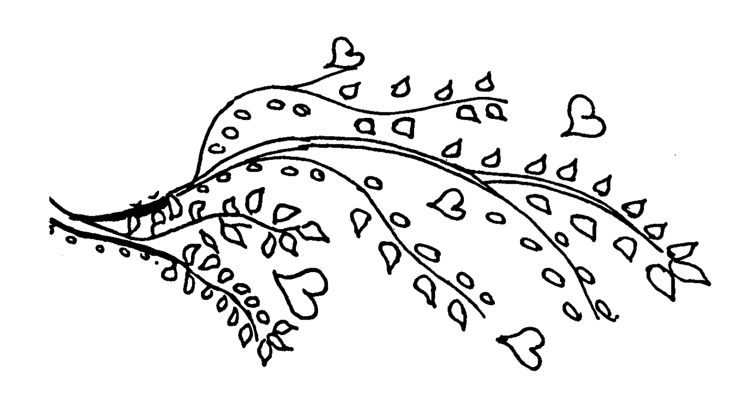
. . . .

لن يُقطعَ قلبُ اللهفة للنصفين
ما دامت أوراق البردى فى الشط الآخر
لم تتمزق فيها الحكمةُ والأسرار !

٢٠ / ٧ / ١٩٦٩



البحث عن ..... الدائرة المجهولة



● كتبت قصائد هذا الديوان ما بين عامى ١٩٧٠ و١٩٧٣ ـ وصدرت فى أبريل ١٩٧٣ . !●

••• إليكم

يا صحبةَ هذا الزمن الغارقِ فى الألوان
صَفُّوا أعينكم من نظرات القتل . .
صُبُّوا كلماتِ الحب على قلبِ الشيطان
يصبحْ قلب إله . .
فالحبُّ اللونُ الباقى فى كل الألوان
الحب قديم قدَم الدهر . .
لكنْ . . لن يبلغَ سنَّ الرشد
ليظلَّ الشىءَ الباقى أبد الدهر . .
ليوادعَه الأطفالُ البسطاء
ويظلَّ الخضرةَ فى الصحراء . .

. . . .

. . . .

ما أبعد أن تَدْمَى كلماتُ الحب
ما أبعد أن تدمى كلمات الحب !!

...العودة إلى الجمل المفيدة

لوَّحَ لى بسيفه الحجاج ..
أسقطَ رأسى ـ لم يحنْ قِطافُها ـ
فليبكنى الفراتُ بالدماء ..
وليختنقْ حرفى الذى أعلنتهُ فى ساحةِ القضاء
لأنه أسقط كلَّ تهمة مبيَّتة ..
وأسقط الريشَ على أجنحة الصقور
وسار عارياً مغامراً .. فى وضح النهار ..
تعوى الكلابُ خلفه .. ويُطلقُ البَخُور ..
الساحرُ العجوز ـ فى طريقه ـ ويقرأ التمائم :
« يا ملكَ البحارَ والأنهار ..
يا أيها المجهول فى مملكة الأسرار
عشِّش على الأفواه والحروف
وانقر على الدفوف ..
أغنية الزار التى يسكرُ فى دخانها .. اللسان »

لكنما الساحرُ فى حماقةِ الجبان
أخطأ فى قراءة النذورِ والتمائم
ـ فأسقطَ النملُ عصاه ـ وانحنى
عيناه فى هوان . .
ورأسه الأصلعُ يَمْسَحُ الخرائب القديمة
. . . .
يعود حرفىَ الذى أعلنته ـ فى ساحة القضاء ـ
يغسل وجهى بالحنين . . يسدل النهاية . .
على المقامرين بالحروف . والبلاهة القديمة .
. . . .
يعود حرفى من غيابه الطويل . .
يُفسح لى فى عرباتِ الشمس والنهار
ينقل لى وصيةَ الحب الذى عاد من المنفى مع الصباح
ويُسقط الحجاجَ إذ لوَّح لى بسيفه
ـ أقسَم أن أكون واحداً من المحاكَمين ـ
أُكتب فى قائمة اللصوصِ والخُطاة . .
لأننى بحثتُ فى بلاطه عن جملةٍ مفيدة
تصلح أن تعيد هذى الأرضَ للسلام

تصلح أن تهتزَّ من دُوارِها المنابُر التى بكت
من الملال

. . . .

لا تبكنى يا أيها الفرات . .
فالجملةُ الباقيةُ المفيدة
كادت تضيع من لساننا
فاغفر لها هوانَها القديم
ومسحها الثيابَ والحذاء والجدار
وليحفر الحجاجُ فى القفار
قبرَ الدعاة ـ من بلاطه ـ
والجوُفِ والصُّغار
لأن كل جملة على شفاهنا . .
تهم أن تأتى مع النهار!

● ●

...من ليالى أهل الكهف

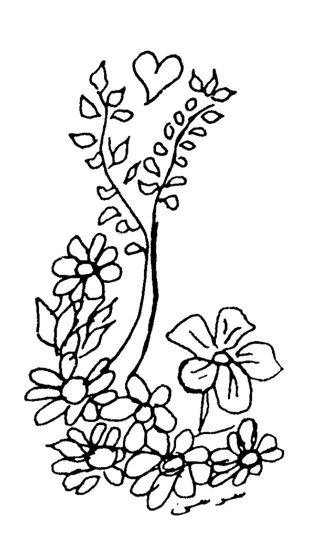
أوفاهم : كان الكلبُ الباسطُ أذرعةَ بالباب
مزَّق ثوبى .. إذ ألقيتُ إليه خبزِى المسْموم ..
ألقيتُ بتاجى ــ أطلبُ صفحاً عن جُرْمى الأسود ــ
ــ كَبَّرْتُ لربى أربعَ تكبيرات ــ
.. وتفرَّس فى وجهى .. يُسقط عنه اللونَ الأصفَر
والشارات
أفسح لى فى مجلسهم .. أغلق خلفى بابَ الرغبات . !

. . . .

كنا .. لا أدرى كم كنا .. إذ كان الليل ..
يتمطَّى من حولى .. من فوقى .. من تحتى ..
والقول ..
يخطُر فى جوف الظلمة خَطْرَ الأنفاسِ المختنقة
صُمنا يوماً .. شهراً .. دهراً ..

صحنا : أن تسقط جدرانُ الكهف الصدِئة
فرأينا أصداءَ الصيحةِ رَدت فى الأفواه . .
عدنا نصرخ . . لكن من يسمعُنا . . من يُخرجنا
. . من يتخطَّى ليلَ الجدران
وصَمَتْنا ـ دهراً ـ فإذا الصمتُ الغاضبُ
يجرى مجرى الدم . .
قمنا نرقصُ . . رقْصَ الجن . .
فلعل السكرَ الجامحَ يُنسينا قَدَرَ الإنسان . .
قلنا : نشعلُ ناراً فى صدإ الجدران . .
تدفؤنا . . أو تحيى فينا ذاكرة النسيان
وسئمنا . . وتساءلنا . . فجهلنا صِدْقَ الكلمات
نمنا . . وتوسدنا زيفَ الكلمات . .
وتحسَّسْنا: ماذا ـ بعدُ ـ يميِّزنا فى ليلتِنا المنسية
فاذا نحن الموتى ـ منذ الميلاد ـ
سكِرَ الليلُ حوالينا . . وبلا حورٍ أو محظيَّات
عانقنا ـ فى الظلمة ـ أنفسَنا
حتى اختلطت فينا الرغبات . .
لا ندرى . . من منا الأنثى . .

نفرغُ فيها هَوَسَ الشهوات . .
ليلتنا شاهت . . وامتدت . . لا ندرى من أين تجيء
ومتى سنودِّعُها ــ دون رجُوع ــ
ليلتُنا طالت لحيتُها . . يطويها النوم . .
لكنَّ الكلبَ الباسطَ أذرعَه فى باب الكهف
ما زال وفيا للجدرانِ الصدئة
لا يَرْضَى . أن يُثْنِيَه . . الموت . !



... عدالة الفرار

بادرتُكم بهمْستين . .
طأطأتُ رأسى . . واختلستُ نظرتين . .
وقلت : لن أبيعَ للظلام وجهىَ الوحيد
حتى لو احترقتُ . . لو سقطتُ . . لو تناثر الرجاء
قلتم : أصابه الجنونُ والدُوار . .
كأنما لم يُدفنِ الحبُ . . ولم يُبعث – على الدوام –
فى حوار . .

كأننى المحطِّمُ الوحيد للجدار . .
قلتم : أصابه الجنون . .
أشحتم الوجوهَ، أنكرتم علىَّ ذلك الفرار
نسيتم الصوتَ الذى حفِرتُه بالأمسِ فى الأصلابِ
وكنت أستحثه بأغنية . .
وكنت أسترده . . بمعذرة . .
ألفُّه ، أبسطه ، أُلملمُه . .

أهمسه حباً ، أفضّه ابتسامةً ، أتمتمه
تأخذنى عيونُه لعالم الميلاد
(عشقت فى لقائها الموتَ غريقاً والحياةَ فى دُوار . .)

ـ أيتها العيونُ فى شواطىء الزحام
أبيْتُ أن أسمع للمكابرين . .
بأن كلِ ما يضىء حولنا قد انتهى
وأن كلَّ خاطر يضج فى قلوبنا
أدركه الذبولُ والجهامة . .
أبيتُ أن أسمع ما يقُال فى الفِراق والسآمة
وأن أراكِ تعشقين نظرةَ القَتامة
لأن ما يعيش بيننا . . أكبرُ من أن يقبل انقسامه

. . . .

هذا أنا أعودُ أيها المكابرون
أبوحُ بينكم بهمستيْن . .
أُشهدكم على نهاية (الجنونِ والدوار)
أُشهدكم على عدالةِ الفِرار

. . . .

موعدنا يجىءُ ـ يا حبيبتى ـ بلا انتظار

لا موعداً لدىّ للسفر . .
لكنه يجيءُ بعد وخشة السفر
يطرح وجهَ الوهم والغربِة والتّرحال
يدحرجُ الظلامَ والأسى ، ولذعةَ السؤال
يوسع للقاء ، للوداع ، للحوار
. . . .
موعدنا لا يعرف الفرار . .
لا يعرف الفرار !!

● ●

... عن الطاعون
والمدينة ذات الأبواب المتعددة

مرويات :

ـ حدَّثنا كلبٌ مسعورٌ .. عن كلبٍ أجربَ عن كلب مذعور

أن الإنسانَ الأولَ حدَّثَ كيف يكونُ نُباحُ الكلب

. . . .

كان الملكُ المخلوع ..

يتنقَّل فى ردهاتِ القصر

حين انتبه إلى ذئبٍ يعوى خارجَ قصره

فتوقف قلبُه ..

وأضاع تعاليمَ الإنسانِ الأول . !

ـ حدثنا حجرٌ طينىٌّ عن حجرٍ جيرى عن حجرٍ رملى

أن الفأس الأولى كانت تضربُ فى الأوحال

أن دمَ الإنسان ..

يجرى فى طرقات الوحلِ الملتوية
حتى صبَّ بعُروةٍ زنجية
كانت ترقصُ فى ملهىً باريسىّ . .
فى أحضان القُرصانِ الأبيض . .
لم تملِكْ جاريةُ القُرصانِ الحبشيَّة
إلا أن تحنوَ فوق الإبريقِ الدامى
وتُنَمِّى من دمهِ ثدىَ الإنسان الأعزل . .
والإنسان المطعونِ القلب . .

روما .. والأفعى :

لم تمضِ على لقيانا ليلة . .
حتى حدَّق فينا الشرطىُّ الحارس
لا أكذبكم . .
طاعونُ الجنس يحرّقُ وجهى ، ويمزق صدرى
ويمطُّ الشرطىُّ الشفةَ المكتظة
ويهذب من شاربه المتفحم . .
روما . . تحملنى فى شفتيها
تسقينى من عينيها . .
تلصَقنى فى ثدييها . .

والأفعى ، خلف زجاجِ الشباك
تثقبه بسمومِ الفتنة . .
تسجن فى عينيْها هاروتَ . . وماروت . .
وتقيم الأسوارَ لبابلَ ـ فى صحراءِ الوهم ـ

أُوشك أن أنسى نفسى ياروما . .
وأنا أقضى الليلَ الطيبَ فى أحضانك
وبحافظتى . . كيسٌ مختوم من عند العطار
طمأننى أنى إذ أحملُه . . يحفظُنى من سُم الأفعى ونُباح
الكلب
فدسستُ بيده كلَّ نقودى . .
ها أنذا ياروما أَسْقُط فى أحضانك
لم يملك شرطىُّ الشارعِ ـ وأنا أصعدُ درجاتِ السُّلم ـ
إلا أن حدَّقَ فى وجهى
لكنّ زجاجَ الشباكِ العُلوى
مازال يضُىء بلون وردى . !

المنبوذن :

أكثر من لافتة تعلُو جدرانَ الساحة
نتوجه حيث تُشير

نصعدُ ، نهبطُ أكثرَ من سُلَّم
كى نأخذَ دوراً فى أطولِ صف . .

. . . .

ـ المنبوذُ الألف . .
يتقدم كى يسمعَ ـ وحدَه ـ
الحكمَ الصادرِ من قاعات العدل
ـ لم أكن المبنوذَ الألف
لم أحملْ رقماً . .
لكنى حين سَألتُ الحاجبَ فى باب القاعة
أوضحَ لى . . ماذا يعنى (الرقمُ الصفرىّ)
أخبرنى أن المنبوذين فئات . .
. . منهم من يحملُ بين يديه موته
. . منهم من يُستأنفُ حكمُه
ـ يحمل توصيةً من أصحاب الشوُرى والسلطان ـ
ـ يُعطَى فيها الرقمَ (الصفرى)
ـ أما من لم يحمل رقماً . !!
. . . .
وهنا . . نادى القاضى فى صدر القاعة

أن يدخل منبوذٌ آخر . .

يرحمنى الله . .
ضاع الحاجبُ لا أسمع صوتَه . .
وهو ينادى المنبوذ التالى . .

ـ لم أسمع منه ماذا ينتظر المنبوذ
لو لم يحمل رقماً . !

الباب السابع والستون :

تثاقلُ خُطواتُ جوادى
فرمالُ الدربِ تغطِّى الباب (السابع والستين)
ها أنذاً أوقفُ زحفى عند الباب . .

ـ كان القمرُ يشيِّعُ أبراجَه . .
فى ليل االعتمةِ حين أغار الطاعون
يُسقطُ أسوارَ الحذَر المجهولة . .
يُدْمى ِ وجهَ الحارس عند الباب
لكنَّ جوادى ـ حين تثاقلَ منه الخَطْو ـ
كان أسرَّ إلىّ بما خلف الأسوار !

. . . .

ــ ها أنذا أوقف زحفي عند الباب
أخلع عن وجهي الحزنَ القاتل . .
وأدوِّي بالطعناتِ المسمومة
أُغمدها في قلبِ الطاعون . .
فلعلي أغسلُ قلبَ مدينتنا من ليل الحزن
وأجففُ دمعَ الأطفال البسطاء
وأقيم على جبل الزيتون . .
بُشْرى الكِلْمةِ . . والميلاد . . !

الحب والطاعون :

يتحدىً الديكُ الأجربُ ــ كلَّ صباح ــ
وجهَ الليل المعتم
يضرب بجناحيه النوْرسُ وجه الماء
كي يبلغَ حُلمَ الشطِ الآخر . .
الحبُ يدوي في الشطِ المجهول
فلتَقِفي عارية أيتها الأحزان . .
وابتعدي عن قلب العشاقِ المأسورين
. . . .
ــ أحببنا أن نحيا عصرَ الموت . .

وتعاويذُ الليل الحُبلى بالضعف
تتقاطرُ صرْعى فى أقدامِ الملهوفين . .
ووصايا الإنسان المولع بالأقمار
تتحرقُ فى نار الكلمات المحمومة . .
الحب يدوى فى الشط الآخر . .
يأبى أن يسرىَ فى قلب جليدِ الأمس
يقتاتُ الموتَ ليحيا فى صيحاتَ الديك
يقوى . . كى يضربَ بجناحيه وجهَ الزيف
يسقُطُ فيه الطاعونُ المحموم . !

● ●

٠٠٠رماد الأشجار المحترقة

اللوحة الأولى :

يُحكى عن المدينة البكماء
(ما مات فيها عاشقُ الميناء
ما قَهَرتْهُ الشمسُ . . ما أسقطَه الشتاء
لكنه حين اشتهى مفاتنَ الثمار
أثارت الفصولُ حوله الغبار . .
وأَحرقت ــ فى دربهِ ــ الأشجار)
ــ حكايةُ الميناء والأشجار
فى كل موقدٍ . . لها . . رماد
فى كل قبضةٍ . . لها . . ضماد
يضيع فيها الحبُ . . والسؤال
يُسفح فيها أثرُ التجوال . .

اللوحة الثانية :

عاد قطارُ الليل يحملُ الخريف
ماتت على طريقه حدائقُ الضياء
وأغنياتٌ ثرةُ الحنين .. واللقاء ..
عاد قطارُ الليل ينفضُ السفر ..
يسوقُ – من أمامه – خطْوَ القدر
يحيلُ أعيادَ القلوب .. أمسياتِ نار

. . . .

تحترقُ الأشجارُ فى دخانِه .. وتَسقط الثمار ..
كأنما الليلُ الأساطيرْ التى تعيدُ ثأر الآلهة
تُشيع زيفَ الثأرِ والخرافة ..
وتوقد النارَ التى تحرق فى الأفواهِ سحرَ الكلمة

.. من يوقف القطارَ لحظةً ..
كى ترفعَ الأشجارُ أعناقَ الثمار
من يوقد الإشارة الخضراء
يبطل سحر الليل والأسطورة

لوحة للغد :

يخدِش صدرَ الأرضِ معولُ النهار
يَحْطِمُ جِسرَ الليل . . يوقظُ العيون . . يوقفُ الغبار
ينقش فوقَ الأرض والجدران . .
حكايةً جديدة للعاشق الإنسان :
(لا يحملُ الرماد . . لا يصيبه السعال
يواصل الغربة ــ دون أن يعيد الليل والخرافة ــ
ــ والنجمة الطريدة المسحورة ــ)
العاشقُ الإنسان ينثر الرماد
فى أعين الموتى التى تراقبه . .
من أجل حبٍ قادم فى وسطِ الطريق
يكفر بالليلِ . . وبالأسطورة
والحِكَمِ الدراسةِ المريرة . .

الحاشية الباقية :

أشجارُنا العتيقةُ المحترقة
تزكم أنفَ الدرب بالرمادِ والسعال

والعاشق الإنسان . .
فى حاجة أنْ يطرح الرمادَ والسعال
كى يحدث الزلزال . . !



...ماذا بعد هيروشيما

(لو أننى أدركت ذلك فى حينه .. لوددت أن أكون صانع أقفال .. أو سمكريا)

أينشتين

. . . .

كفُّ عن الحديثِ واللَّجاج

لا تفضح المأساة .. لا تستأنفِ الندم

فقد حفِرتَ حُفرةَ العدم ..

يضيع فيها الحبُ .. واللقاءُ .. والوَداعُ .. والألم

يثرثر الأمواتُ ـ كالأحياء ـ

روايةَ الغبارِ والسُّموم .. والسأم

كف عن الحديث ..

فإننى ما زلتُ أشهدُ المقامرين

على موائد الشراب يعبثُون بالجماجمِ المشوّهة

ويجرعون الكأس من دمائِها ويلعبُون لعبةَ النهاية

ما زلتُ أشهد المقامرين

تراهنوا : من يملك العبيدَ والمخنَّثين والنساء

ومن تراه يملك الأقدارَ والأشياء .. ؟
رأيتهم يقامرون ..
ويفتكون ــ للصباح ــ بالنهارِ .. والسلام .. والطفولة
ما قيمة البقاء فى زماننا ..
وفى الأنوف ــ ما يزال ــ يسعَلُ الدخان
وألفُ ألف مقبرة ..
تنداح عنها الشمسُ فى اكتئاب ..
. . . .
يا صانعى البقاءِ باسم الموت ..
لترفعوا أيديكمُ عن الضحايا ..
فإنها قد أسكرت زماننا ..
وشوَّهت وجوهَنا .. وأحرقت فى نبضِنا البقايا
لترفعوا أيديكمُ الملوثة ..
وضمدوا جراحَ عصرِنا .. لا تثقلوا عليه
فإنكم تحمّلونه جنايةَ ارتجالكم . !
. . . .
كفَّ عن الحديث واللَّجاجِ ..
أو فاعترف بأننا نحْفُر كلَّ يومٍ

حفرةً جديدةً . .
وأننا هُزأةُ هذا الزمنِ المهزوم
إذ نصنع البقاء باسم الموت
ونطلب العزاء . .

● ●

...إعترافات مهرج معتزل

الميلاد :

وكنت واحداً أهيمُ فى مسالكِ البشر ..
أَقْنَعُ بالفُتات ـ مثلَ إخوتى ـ وبالصقيع .. والمطر
يغمرُنى الليل .. وينكر النهارُ أدمعى .. وينكر المحن
أغوصُ بين الفقر .. والشتاتِ .. والعفن ..
والذلِ .. والأسقام .. والجهالة ..
أفتح فى ثوبى الرقيعِ .. ثُغرةً .. وثُغرة ..
أُنفث منها الحقدَ والجهامة ..

. . . .

وحينما أردتُ أن أكون (شيئاً)
لطختُ وجهى .. وصنعتُ فوقه قناعاً
وانكمشت ملامحى .. وانفرَجت

عن ضِحْكةٍ بلهاء .. عن دُعابةٍ ملفَّقة

. . . .

أصبحتُ فى الساحة مَسْخاً ... ساخراً ..(عملاقْ)
حُملتُ فوق الصدرِ والأعناق
وأسقطوا علىَّ أجملَ الأسماء ..

ـ (المضحكَ الكبير .. والمهرِّجَ الكبير)
رأيتهم ـ كل مساء ـ يهتفون .. يضحكون

ـ منتفخاً ـ كنت أبيت للضحى كأننى (برْميل) ..
أضاجع الأحلامَ .. والنساءَ .. والذهول
رأيتهم بعدُ يزوِّقون صورتى ..
فى الصحفِ الكبيرة ..
رأيتهم يطاردُوننى بساعةٍ من اللقاء والحديث
يفتشون ـ جاهدين ـ عن دُعابتى

ويسألون مشفقين :

ـ (لأى جيل أنتمى ...)

ـ (تاريخى الماضى المجيد .. والمآثر القديمة)

وينشئون هالةً حولى من الإطْراء

أصبحتُ شيئاً خالداً (عملاق)
ألبَس كلَّ ليلة قناعاً . .
أصحَبُ كلَّ ليلة ذِراعاً . .
أسمع كلَّ ليلة حناجراً جياعاً
إلى المزيد من دعابق الملفقة . !

الستار :

لا تسألوا عن مسرحى القديم
فقد بشمتُ وجهىَ الملوَّنَ المهزوم
لا تسألونى : أين . . أين . ؟
ما عدتُ وحدىَ المهرجَ الكبير
فالناس أصبحوا يقدِّسون كلَّ الأقنعة
والمسرحُ الكبير كلَّ ليلة يملؤهُ المهرجون
(المسرح الجديد لا ينقصُه المهرجون . !)
. . الناس ظلوا زمناً يشاهدون . . يضحكون
ليصبحوا فى المسرح الجديد
أقنعة . . وأوجهاً شتى . . ومضحكين . !

... الدعوة عامة

- ١ -

تمر ساعةٌ .. وساعتان
وتلتقى يدان .. أو عينان ..
وينتهى اللقاء .. مثلما بدأ ..
لأن موعداً يهمنا أزِف ..
نحسب كلَّ لحظة جديدة تمر
نطلق فيها خطوَنا .. وفكرنَا المهزوم
نعبر من أماكن العبور دائماً .. ولا نخالف الإشارة المضيئة
وننتظْر ..
أن تأتىَ المركبةُ المطلوبة ..
بلا تأخرٍ طويل ..
ويبدأ اللِّقاء ــ ساعةً ــ لينتهى كما بدأ
وتزحم الخطى شوارعَ المدينة ..

هامش ١

حديثُنا تتبعُه الهوامش
حديثُنا الأقواسُ . . والتقاطعاتُ . . والفواصل
حديثُنا ليست به أماكنُ العبور
لأنه يسيرُ كيفما اتُفق . .

ـ يحدث أن تغيرِّ المشاهدُ الجديدة
حديثَنَا القديم . .

ـ يحدث أن تختلطَ الألوانُ والأصوات
وتدخل الأحلامُ فى تيقُّظِ الفِكَر
ويصبح افتراقُها ضرباً من اللقاء . .
وتزحم الشوارعَ الطويلة
بغير دعوةٍ ولا مشاركه . .

ـ ٢ ـ

بلقيس فى شوارع المدينة المزوَّقة
سيدةُ القصور . . والقلوب . .
بلقيس أسقطت بحبها القصورَ والقلوب

لكى يسيل الجنسُ فى شوارع المدينة
مختلطاً بالمهملاتِ .. بالدخانِ .. بالقُمامة

هامش ٢

الفارس العاشق كان فى بلاطها
يحوم حول عرشها
لكى ينال تَاجَها العظيم ..

ـ عاشق هذا الجيل لا يحوم
فالجنس فى أقدامه يسيل
مختلطاً بالمهملات .. بالدخان .. بالقُمامة

ـ ٣ ـ

حين وقفت فى صفوف المذنبين
صُفعتُ مرتين ..
وحينما مَثُلت وسط قاعةِ القضاء
أدركتُ ما أريدَ من إهانتى ..

هامش ٣

. . . .
. . . .

- ٤ -

دعُيتُ بالبطاقةِ المهذبة
وفى عواميدِ الصحافة العديدة
دعيتُ بالبرق .. وفى مكبراتِ الصوْت
فمرة نسيتُ دعوتى ..
ومرة أبيْت . !

هامش ٤

أخشى إذا أعلنتُ صحبةَ الشوارعِ المزوَّقة
أكون ظلاًّ تابعاً بلا إرادة ..
أضيع بين الموتِ .. والألوانِ .. والقتامة
وأشهد الخطى المبعثرة ..
كالمهملات .. كالدخان .. كالقُمامة !

● ●

•••عن الأوجاع والنمل الأسود

جاءوا فى ليلةِ نصِف الشهر
جاءوا يتلون الصلواتِ العشر . .
يخُفون القمرَ النازفَ فى الصحراء
ويدقون طُبولاً صُنعت من جلد الإنسان . .
ألقَوْا قولاً محموماً . . ثم انصرفوا
وأعادوا القول المحموم . .
أيقنتُ بأنى مسحورٌ هذى الليلة
أو أنى مخمورٌ هذى الليلة . .
أو أن الرؤية أبداً . . لا تكذب . .

ـ يا عراف الحلم الغامض
ماذا تُخفى عندك من رؤيانا المنسية
لم تصدُقْنا أمسُ الرؤيةَ ـ تخشى أن تغضبَنا ـ
وجلستَ إلينا تنبؤُنا : ماذا يفترق الحلمُ عن الرؤية

ــ ورؤوس النملِ الأسودِ تنهشُ فى أطرافِ الموتى

ــ لم تصدقنا يا عرافَ الحلم الغامض
وتوهَّمنا فيك الصدق
فتعثرنا فى الطرقات الجهْمة
واختلطت فى أعيننا الأقوال . .
نُمسى طرقاً . . حاراتٍ . . ظلماتٍ . . كهفاً أسود

ــ كدنا نتحول عن دنيا الإنسان

ــ كدنا نُلصق فى الجدران . .
كدنا يسخَر منا الصبيان . .

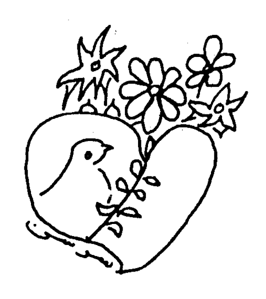
ــ ها نحن الفتيةُ من عمر واحد
جمعتنا اليومَ الأوجاعُ المرة
لنمزق كلَّ الأوراقِ الصفراء
لنحرِّق فى داخلنا القلبَ الموجَع
نصهره نلقيه زيتاً . . بارودأ . . موتاً
نُسقِط فيه مناديل العشاق الخضراء .
والأقمار البيضاء . .

والأهدابَ المغسولة بالدمع

. . . .

ـ ها نحن الفتية نُلقى عن أنفسنا رُؤيا الأمس
لا تعنينا أن تصدُقَ أو تكذِب
فلقد أمست رؤيانا شوقاً محموماً ووصايا عشر . .
أمست قوتاً سلبته أمس رؤوسُ النملِ الأسود

ـ لن نتحول عن دنيا الإنسان . .
(إذ نتبارى : ماذا يفترقُ الحلم عن الرؤية)
لكنا الفتيةُ من عمرِ واحد
نحمل فى كفيْنا الموت
نتقاسم أدوارَ الزحف المحموم
حتى تتحقق رؤيا لا تكذب . !



●●●البحث عن الدائرة المجهولة

ـ فى دائرة الظل . .
تتخفَّى كلُ الأشياء . .
تتلوَّنُ مثلَ الحِرباء !

. . . .

ـ فى دائرة الضوء . .
تلمع كل الأشياء

ـ ما بين الظل وبين الضوء
تسقط كل الأشياء
تبهت فيها كلُ القسمات !

. . . .

ـ أبحث عن دائرة أخرى
تتعرًّى فيها كل الأشياء

أبحث عن دائرة تصدقُ فيهاَ الكِذْبة

لا تَخْفَى فى أعيننا . .
أبحث عن دائرة أكسرِ فيها تمثالَ الضِحْكة
وأراه لا يتجوّف فى داخله الحزن . .
أبحث عن دائرة مجهولة . .
يرتد « أبولونيوس » إليها من تَجواله
تتحرر فيها الأوتارُ . . وتتلاشى الأقطار . .
دائرةٍ لا تخنقُها المنحنياتُ الصخرية
يتنور فيها الظلُّ . . وتجمُدُ فيها الحرباء
لا يحترق الضوءُ عليها . . لا يحترق الحب
أَحرق فيها ثمرَ الكلماتِ الجوفاء
كى يتنفس فيها قاموسُ الكلماتِ المسموعة
والكلماتِ المنظورة . .
والكلماتِ المكنونةِ فى القلب . .

. . . .

عفواً يا أصحابى . .
لن أوقف زحفى فى الليل المخمور
ـ أَسْقط فى وحل الكلماتِ الجامدةِ الوجه ـ
حتى لو رُفعت دونى كلُّ الجدران

ستخطط أظفارى موضعَ رأسىِ فى الجدران
أُنفذ منه كلماتى المحمومة . .

ـ عاريةً من دائرة الظل ـ
عاريةً من دائرة الضوء ـ
أوسع فيها للكلماتِ المسموعة
والكلمات المنظورة . .
والكلماتِ المكنونة فى القلب . !

● ●

•••المواسم ..

إعلان :

سوف يُقام . .
فى الشهر القادم ــ من هذا العام ــ
أسواقُ البيع الكبرى لملايين السلعِ المعروضة

ــ آخرِ ما أنتجه الفن الإنسانى ــ

. . . .

. . . .

. . . .

لافتات :

ــ شاهدْ . . واشهدْ

ــ خفِّف خطوَك حيث تسير

ـ احذر لَمسَ المعروضات

ـ لا تشربْ كأساً بالمجان . .

ـ لا تتحدث فى أمر خارجَ ما تشهده فى الأسواق

لافتة جديدة :

الحريةُ كنز لا يفنى . .
قل ما يحلو لك . .
لا تكتم كلماتِك بين ضلوعك . .

حاشية أسفل اللافتة :

عند النور الخافت فى أقصى الدرب
تنتظرك أشهى مائدة لم تتذوقها قطْ
لكن . . لا تُغفل أن تحمل فى حافظتك
صكا مختوماً من أصحاب السلطان

ـ فالدعوة خاصة ـ

. . . .

همسات للآذان :

أغمض عينَكَ .. واضبِطْها فى الغرضِ الثابت
لا تسأل عن شىء مجهول ..
هَبْ أنك جئتَ بلا آذان
هَبْ أن لسانَك قطعَةُ لحم نيئةٌ عفنة
ـ لا تتبع غيرك ـ

لوحة عصرية :

الكلبُ الأجربُ يتبعه السادة
الذئب الجائع يتبعه الحملان ..
الثورُ الهائج يستعصى ـ لا يصرعُه الفُرسان ـ
الثعلبُ .. يلبَس جلدَ الإنسان ..
(اللوحةُ راعشة الألوان)
كتب عليها بالماء القانى :
(هذا قدُر الإنسان)

خريطة جديدة :

البحرُ الأوسط أمسى فى أقصى العالم
اليابسُ يطغى فى كل مكان

والشمسُ تهلل فى القطب البارد

ـ (مقياسُ الرسم تغير أمسِ الأولَ
والأرضُ انبعجت عند الشرق !)

. . . .

قصيدة جوّانية :

كلماتى أمست مختنقة
كلماتِى قلبٌ يتلوَّى فى آلامه
عقلٌ يتهاوى فى عصيانه . .
كلماتى جسد فى تابوت خشبى
كلماتى تابوت للجسد المنهار
فلماذا كان الشاعر فى أعماقى
ولماذا كان الشعر . . !

الوصايا العشر :

١ ـ لا وقت لدينا للتقديرِ وللحُسبان
أقتل يَخْلُ العالمِ من مائتى مليون !

٢ ـ أسقِط حكمةَ كل الأجدادِ الموروثة
لا وقت لدينا للكلمات المجهولة . !

٣ ـ اضرب بعصاك البحر
واصنع لك ثوباً من جلدِ الحيتان . !

٤ ـ اللون الأصفر أحدثُ ألوانِ العصر !

٥ ـ لا تستخدم كلماتك فى قتل القنفذ
واستخدم شوكك . . !

٦ ـ ذيِّلْ أوراقَ العصيان
بالتوقيعات المجهولة . !

٧ ـ الليل ملاذٌ للأحقاد ولِّلعنات . !

٨ ـ ينتظرك بالشطِ الآخر
القرن الحادى والعشرون
لم يبق سوى بعض الأعناق
أسقطها . . واعصر منها كأس الأشواق !

٩ ـ . . . .

١٠ ـ . . . .

الأبواب :

اخرج من أى الأبواب المفتوحة . .

لكن .. لا تستخدم باباً أكثر من مرة ..

تنويه لابد منه :

. . . .

أتممتُ الجولة فى كل الأسواق
لكنّى لم أنبّئكم بعد
ماذا خلف الأبواب الموصدة المجهولة

– فى موسمنا القادم ..
قد أخبركم ماذا خلف الأبواب . !

. . . .

● ●

... الرقص فوق الحصان الخشبى

ــ لم يكن فى بيتنا نارٌ . . وما أحضرتَ يا قيسُ الحطب . .
لم نعد نسرعُ للصيد . . فأين الدفءُ . . أو أين اللهب
الجيادُ البيضُ والسودُ تمادتْ فى العناد . .
والطواحينُ تنادينا . . وغزلانُ البرارى . . والوهاد
كلما همَّ بنا القلبُ . . توارى فى حواشيه الزناد . .
وانزوى فى دفئه العارى . . كأنْ ذابَ الجليد
وكأنَّ الحبَ عاد . .
وكأن العالمَ المقرورَ . . كالطفل الوليد . .
لا تغشَّى وجهَه غيمةُ ذلٍ . . وشرود . .

ــ ما الذى أسقط من أيديك يا قيسُ الحطب . .
نقتفى خطوَك يا قيسُ . . فهل تعرف من أين تجىء
نقرأ الورْد الصباحىّ . . لعلّ الشمسَ تعلو من جديد
ولعل الدفءَ يسرى فى الجيادِ المتعبة . .

نستردُ الصيدَ من أيدى الذئابِ الغاضبة
طُمست فينا عيونُ الضوءِ والحب . .
فما أوحشَ ليلاتِ الشتاء

ـ عبثا نركبُ فى الليلِ الحصانَ الخشبيا ـ
وتنادينا قبورُ الموت . . والموتى رمادٌ . . ودخان
وكأن الموت فينا لغةٌ تسحَرُ . . تأتى بالبيان
وعلى إيقاعها نرقصُ رقصَ الغانمين . .

ـ نحن يا قيسُ تحرَّقنا لدفءِ العالم المنفىِّ فى سِفر العدم
ولوجه واحدِ للحب . . لا يُقبل من عصر الألم
لمواقيتَ مع الشمسِ . . مع الخضرةِ فى كل الحقول . .

. . . .

نحن لا نملك أن ننبُشَ فى جوفِ الكتب
لم يكن فى بيتنا نار
ولم تحضر لنا ـ بعد ـ الحطب !

● ●

...رحلة فى عالم الطقوس

وجاء من أقصى المدينة
ملثَّما ــ لا بالحديد والدروع
وإنما بورقِ الأشجار

. . . .

لم نتبين وجهَه الغريبَ عن زماننا
كتابهُ المطويُّ فوق ظهره .. ينوءُ بالأسرار

ــ يا أيها الغريبُ عن زماننا
ماذا وراءَ ذلك الدثار ..
وما الذى تحملُ من أسرار ..

. . . .

. . . .

ــ الصمتُ كان سيد الأفكار
حام على رءوسنا .. كأنه البَخُورُ .. والغمامةُ الزرقاء

ـ عنك الكتابَ أيها الغريب . . نحن نُحسن القراءة
(وبيننا من يُحسن التصفيقَ حين يسمعُ الحماسة
وحين يسمع النشيج)
. . . .
ـ بكى الغريب . . خرَّ ميتاً . . أثقله الحديث . !
. . . .
تصارع الرجالُ . . من يفوزُ بالكتاب
ومن يغوصُ ـ وحده ـ فى عالم الأسرار
ـ . . (أنا الذى أفوز . . عالِمٌ بالكف والنجوم)
ـ . . (أما أنا . . أغوص فى البحار . . والأسرار)
ـ (لكننى وحدى وصلت للقمر . .
وجزت وحدى عالم الفضاء)
ـ (بخ بخٍ . . فهذه الأسرار
خفيةٌ تحت عمامتى . . وخلف لحيتى . .
وبين ثوبى الأبيضِ الفِضفاض . !)
. . . .
تصارع الرجال من يفوز بالكتاب

وجثة الغريبِ ـ لم تزل ـ تنهشُها الأقدام . .

. . . .

هتفتُ . . أنصتَ الرجال لى :

ـ لا أقرأُ النجوم . . لا أغوصُ فى البحار
لا ألبَسُ العمامةَ البيضاء
لكننى أرحلُ كل ليلة لعالم بعيد
أعبرُ فى الصباحِ شاطىء السكون . .
أغوص فى الضوضاءِ . . فى الغيومِ . . فى الدخان
وأرقب الإنسان . .
يولد فى النهار مرةً . . يموتُ ألفَ مرة ومرة . . فى الليل
تظل شهر زادُ فى حديثها . . لا يُقبلُ الصباح
ولا يطوفُ النومُ حولها . . ولا النجوم . .
فالعالم المشوَّهُ المحموم
يظل فى خيالها . . تحيلهُ طيفاً من النعيم . .

ـ طرقتُ بابَ شهرزادَ من جديد
لعلنى ـ إذ تُفتح الأبواب ـ
أصحب ليلَ الصمتِ والسكون

لكى يطوفَ ساعةً .. ويقبلَ الصباح !

. . . .

لُعنتُ ـ ألفَ مرة ـ ولذتُ بالفِرار
وظل خلفى الحارسُ الوحشىُّ فى الغابات

ـ نازلنى قابيلُ فى الصحراء
قتلتُه .. عدت بحبى .. فزتُ بالتميمة

ـ هذا أنا الإسكندرُ الكبير ..
أزحزح النجومَ عن مدارِها .. وأُدفِىءُ الشتاء

وأرفع المنارة الشّماء

ـ أنا أبو الهول العظيمُ قاهر العنقاء .
صرعتُها .. تابعتُها ..
أسقطتُ كلَّ نخلة .. أحرقتُها من قبل أن تولَد أو تموت
تخافنى آشورُ .. والمدائنُ المعلقة
أدك فوق الجثثِ المنائر الفرعاء
من أجل أن أبقى إله الأرض والفضاء !

. . . .

لا شىء لى يعيدُنى لشهرزاد

تمنّعت علىّ ألفَ ليلة وليلة
تلفنى ـ كلَّ مساء ـ بالأساطير وبالخرافة
تصيدنى شباكُها .. تقذفنى فى شاطىءِ البكاء

ـ سيدتى الحسناء ..
أطوف حول عرشِكِ الوردىِّ من جديد

ـ فنظرةً لشهريار

قرنى وحيدٌ أسودُ .. وكنت ذا قرنين ..
هزيمتى أنشودتى .. لا أملكُ الخُوار
ولا أخيفُ الصائد الضعيفَ فى القفار
أراه ـ كلَّ ليلة ـ يقيم لى الطقوسَ والقُربان
يمد لى موائدَ العشاء ..
حتى يحلَّ الذبحُ فى بداية الشتاء ..
ـ سيدتى الحسناء
أتيت والقرنُ الوحيد لينٌ ..
أحرق نفسى عند بابك المنيع
من أجل ليلةٍ باقية جديدة
أضيفها لألف ليلة . !
. . . .

يا أيها الغريبُ عن زماننا .. كيف تموت
ولم تحدِّث بعدُ عن كتابِكَ المطويّ

ـ يا أيها الغريب ..
لكم وددت لو أمدُّ فى القِفار

موائدَ الأسرار والأفكار ..
لكنها الإنسان فى زماننا يُشَد للجدار
يدفعه التيارُ .. للتيار ..
يلبسُ جلدَ الثورِ والثعبان .. والعنقاء
ويصعدُ المنائِرَ الفرعاء
من أجل أن يُشارَ فى الصباحِ له
بأصبعِ الإطراء .!



•••يمكننا أن نختار

متوارثات :

ـ نتعوَّد أن ننظُر ما تحت الأقدام
لا أن نطلُبَ ما فوق الطاقة . .

ـ نخشى أن نطرُقَ ـ يوماً ـ أبوابَ الرهبة
مادمنا نسبحُ فى شوق راكد . .

ـ نقلبُ معنى المأثورات . .
نتشدقُ بالتنويعات :
. . فالقتلُ لمن يتحدَّى وجهَ العتمة
والخبزُ على مائدة القُرصان العاتى
والشمسُ تضيءُ بكل الألوان
ولكى يبقى ذِكْرُ الإنسان . .
يُكتبُ تاريخُ الأرضِ على الجدران . .
ويحرِّفُ ـ ما شاء ـ على الجدران . .

ويجيبُ على كلِ سؤال محموم . .
لن يتغير تاريخُ الارض
لم يتغير غير الألوان . ! »

أثار أقدامنا :

تُقتلُ فينا ـ قبل الموعدِ ـ كلُ الرغبات . .
نصرخُ موتاً حين يدِبُ النمل . .
نصنع من رؤيتنا كلَّ تماثيل الخوف . .

ـ هذا زمنٌ ملعونٌ يأتي قبل الموعد
فلماذا نحن رضينا باللعنات . . ؟

ـ كهانُ العصر تولَّوْا تزييفَ الألوان
حتى ضاعَ الإنسان . .

ـ أتلفت حولي أشهدُ آلافَ الشارات
تتدلى فوق الصدر . . وتعلو فوق الجبهَات
سلبت أعيننَا صدقَ النظرات . .

وندور نعيد الكرّةَ بعد الكرّة . .
حتى يأتينَا الدورُ المرسوم . .
فاذا نحن الكهانُ الخلصاء . .

وإذا نحن الشاراتُ الملساء . .
وإذا نحن تماثيلُ العصر المعبودة
وإذا الأفواهُ البكماء
لا تُفتح إلا بالإذن المُعلن :
(لا يمكنها أن تختار . !)

. . . .

الاختيار :

فى عينى صُفرةُ هذا الزمن المهزوم
فى قلبى الأوجاعُ المرة . .
فى أقدامى حَذَرٌ دامٍ .
لكأن الإنسان توارى كى ينشأ مَسخٌ آخر
. . ماذا يمكننا أن نختار . ؟
والإنسان توارى فى الظل

حاشية :

أسمعكم ياسادة عصرى
تُلقون عليّ التهمةَ دون جناية . .
وإذا جئتُ أجادلكم فى شىء
قلتم عنى : مجنون . . أحمق . !

الصوناتة الشتوية :

١ ــ الصمْت حَلَّ يُغرق الجسور
ويقطع الحبالَ فى مراكبِ الرحيل ..
وتقطُرُ السماءُ دمعتين ..
تودعان ليلةَ الوَداع .. تطلقان للصراع
سيقانَنا المتعبةَ المنفوخةَ العروق ..
ها نحن يا مراكبَ الرحيلِ نحمل الحنينَ فى جنوبنا
مُحاصَرينَ بالجسورِ .. بالبُروقِ .. بالغرق ..

٢ ــ إيقاعنا الرذاذُ وهو ينقُر النوافذ ..
والشمسُ عن عيونِنا تهاجرُ ..
ووجهُها الأليفُ عن عيونِنا يهاجرُ ..
وكلُّ ضاحكٍ .. وكلُّ نائحٍ .. إيقاعُه السؤال

كأنما الخطى المهاجرة . .
تشكو من الهُزال . .

٣ ـ لو أستطيعُ أحتويك ياضياءَ يومِنا البعيد
لو أستطيع أشتهيكِ ياعيونَ طفلتى . .
لو يصمتُ اللسانُ فى وَدَاعِكَ القريب
يا موسمَ الحصاد . !

٤ ـ نجدُّ فى سباقنا كأنما الجسورُ قد تراجعت
وهلَّل الإيقاعُ فى أقدامنا . .
نصنع خبزَ الكادحين فى الصباح
نأكل خبزَ الكادحين فى المساء
وينتهى حصارُنا اللعينُ ساعةً . . ونخلعُ الأسمال
(هل تسمعون أيها الدعاة
هل تقرأون فى عيوننا
ما يشبه الإنسان . ؟)

بائع الشموع :

بكم تبيعُ ألفَ شمعةٍ يا بائعَ الضياء
الأمسياتُ . . مرةُ اللقاء . .

عُلِّمتُ منك فى غيابِ شمسنا . . أن أُشعلَ الحروف
حتى إذا مِتُّ ــ مساءً ــ كانت الحروف . .
ثوبى الوحيدَ . . شارقى . . تابوتى الجديد

ــ بكم تبيعُ ضوءَك الجديد . .

. . . .

ــ البائع الوحيدُ قال لى : خسِرتُ فى تجارتى
فصرتُ لا أبيعُ شمعةً تضىء فى المساء . .
لكننى أحملُ للدعاة فى مواكبِ الرياء
مشاعلاً . . لعلنى أنعمُ فى بلاطهم
بنعمة البقاء . !

محاكمة فى منتصف الطريق :

كأننا جئنا بلا استئذان
لذلك العصرِ المُدان . .
تسائِلون عن سباقنا . . وعن جنوننا
تلتقطون من عيوننا الجواب
وتخطئون الفهم أيها المحكِّمون . !

. . . .

ضِقْنا بكم يا أيها المجادلون
ضقنا بعهْد النصحِ والحِوارِ والمداهنة
زمانُنا يفر من عيوننا .. يهرُب من أقدامِنا
ضقنا بموكبِ القطيعِ وهو متعبٌ مطيع ..
نخاف أن نَسأل عن أنفسِنا .. ولا نجيب

. . . .

يا أيها المجادلون ..
نحن بدأنا هجرةً — بلا رجوع —
ننفض عن عقولنا حصارَكم ..
نقتل فى أقدامنا جهالةَ الطريق
على لساننا الجديد غنوة جديدة
توّقع السباق واللحاق ..
بموكب المعاندين . !

● ●

●●●تجوالات تابع سليمان الحكيم
فى الليالى القمرية

ـ ١ ـ

سكنتُ وادى النملِ .. أتبعُ الظلالَ فى التلال
أُبدِل جلدى .. ألصَقُ الشوارب المسنونة
أبحث لى ـ فى كومة الرمال ـ عن حمولتى المنتظرة
ـ وفى صناديق القُمامة المبعثرة ـ
ـ وفى الجماجم التى خلت من الطقوس والطلاسم

. . . .

ـ وقفت ـ ساعةً ـ على قَرَنْفُلاتِ العاشقَ المأخوذ
وهو يعُد فى السماء الأنجمَ البيضاء ..
يصنع منها عِقدَهُ المنوَّرَ الثمين ..

لمن تبيتُ فى انتظارهِ . . .
فى البلدِ البعيد . .

ـ صعِدتُ عرشَ المُلك ـ فى سبأ ـ
أطريتُ مجدَهُ . . بكيتهُ خرائباً بلا ملامح . .
ونجمةً على الطريقِ تنطفىء

ـ بلقيس يا غرامىَ الدفين . . يا صباحىَ الذى يجىء
قطّعتُ نهديكِ . . وعدتُ أسبقُ القطيع . .
حملت فى كفىّ ماء السحرْ . . والربيعَ . . والخرافة
أحكى عن المدينة التى ينام فوق عرشها القمر
علقها الساحرُ من أطرافها . . وهزّها بآيتين . .
رشقّها نصفين . .
أسقط منها الزمنَ القديمَ ـ والجنيةَ الحمراء . .

ـ ٢ ـ

ـ « يا أيها النملُ ادخلوا » . .
فكنت أولَ المراوغين
أتوه فى الزحامِ . . أرصُد المشاهداتِ
أرقبُ المهرجين . .

يرشنى الحارسُ عند الباب بالمبيداتِ وبالسُموم
ـ يريد أن يمزِّق الأوراقَ فى يدىَّ ينكر المشاهدات
لكننى.. إن كنتُ قد غيرتُ جلدِى ـ ساعةً ـ
أو أننى ألصقتُ فى المساءِ شاربِى ..
فإننى أملك أنفاسى التى نمت مع الرياح
تحملنى عبرَ المدائنِ التى يُقْتلُ فوق عرشِها القمر
أحلمُ بالمعلَّقين من جفونهم
يُستشهدُون فى سبيل الكلمةِ الجديدة
وفى سبيل الشمس أن تعود ..

ـ ٣ ـ

ماذا أقول لو رآنى سيدى الحكيم
مراوغاً ـ أرفضُ أن أُطيعَ ـ أتبعُ الزحامَ والشقوق
أُبدِل جلدى .. أتقنُ التمويهَ والإخفاء ..
أخشى إذا أدركَ ما أحلُم فى المساء
يعيدُنى إلى بلاطه الذى تزحَمُه الغربان
تنقرُ فيه الأعينَ المعلقة ..
وتطفىءُ الإنسانَ فى تابوتِه الأخير . !

...يوسف أيها الصديق

. . . .

وأدمى صوتَ الصيادُ . . لم أكملْ أذانَ الفجرِ ،
ألْقىَ جثتى فى البئر . .
وراح النائمون يكوِّرُون الحُلمَ ، يستبقون فوقَ سحابة
الليل . .
تناسوْا موعداً فى الصبح . . يفتتحون فيه الساحةَ الحمراء
بطاقاتُ البريدِ ــ الأمس ــ وزَّعها السعاةُ على رجالِ
الدينِ . . والسلطانِ . . والحكمة
وأهل الرأى والشورى . .
(ولم أكُ من رجالِ الرأى ــ إذ أدمت لسانى طلقةُ
الصياد ــ)
صنعتُ بطاقةَ حمراءَ من جِلدى ، زحفتُ بها ، تسلقتُ
الجدارَ الشائكَ المرصودَ ، أكملتُ الأذانَ ،
تناثر الحراسُ من حولى . .

شكوتُ لهم .. فما سمعوا شِكاياتى ..
حكَيْتُ لهم فما حنوّا لمأساتى
سقوْنى الكأسَ .. لم أسكر.. أرادُوا أن يقيموُا
تهمةً فى حضرةِ السلطان ـ
رموْنى خلفَ جدرانِ السآمةِ فى اختناق الليل ..
(وظل النائمون يكوِّرون الحلم .. لم أكملْ أذانى بعد !)

. . . .

رويداً ها أنا فى حضرةِ السلطِان مُلقى فى خراب الصمت
ويسألُ سيدُ الحكماءِ ، لكنى عجزتُ عن الكلامِ وتثبتُ
التُهمة
أُبَاع وأشترى وأباعُ ، ألهثُ خلفَ آلهتى وأربابى
ومقصلةُ العزيزِ تلفُّ حولى أفعوانَ الموت ..
(ـ حنانَك يوسفُ الصديق .) جرحُ الأمس لم يهدأ ..
رأيت قوافلَ الهكسوسِ .. تأكل لحمنا وعظامَنا ..
وموائد الجوعى ..
ولائمَ .. كنتُ خادمَها وساقيها ..
وكنت طعامَها .. والأمنَ والسلوى

ـ (حنانك يوسفُ الصديق) جرح الأمس لم يهدأ
أطل عليّ من سودِ المنائر ، فى مراسيم الجنائز ، فى صحارَى الجوع . .
تساقطَ من مناقيرِ الصقورِ . . ومن ذؤاباتَ الخريف . ومن كئوس الذل . .
أراه على فمِ التاريخ يلفِظ كلُّ فُرسانه
ـ يحطِّم سيفَ عنتر ، يسقط ابنَ العاص ، يكشف عورةَ ابن زياد ـ
وأشهده بريقاً يخطَفُ الأبصار ، يودى بالقِبابِ الشم
ـ (حدائق بابل الخضراء ، أرضِ القدسِ ، مسجدِها العتيقِ ، شواهدِ الأهرام)
ـ ومر العامُ بعدِ العام والصيادُ ـ لم يغفَل ـ يطاردنا
ويشجُب صوتَنا فوق الرماحِ
فتقطرُ الكلمات
يضيعُ بهاؤُها القدسى ، تُمسى صيحةً نكراء . .
. . . .
ـ ومر العامُ بعد العام . .
وريحُ الحزنِ تعصفُ بالقلوبِ وبالرُؤى الخضراء . .

حلمْنا ــ (ليتها سبعٌ عجاف) ــ أفتنا فى ألف عام ..
حلمْنا ــ (ليتها خمرٌ نقطُرها) ــ بل الأفواهُ والأجسادُ
نعصرها ، نعتِّقها ، ونسقيها
حلمنا ــ (ليته خبزٌ حملناه) ــ بل الديدانُ تنخَر فى العظام
الجوفِ ، والأطرافُ تنبُشُ رقدةَ الأموات ..

....

تململ يوسفُ الصديقُ وهو رهينُ محبَسه
فلم يستدْعه ــ بعدُ ــ العزيزُ يفسِّر الرؤيا الضبابية
(أحبُّ إلىّ هذا السجنُ .. من وهمٍ وإخفاق
أحبُّ إلى من حريةٍ فى ظل ما يستعبدُ العقلا ..
وما يستعْبد القولاَ)

ــ تململ يوسف الصديق لكنَّ النيامَ يكوِّرون الحلم ..
كأن الحلمَ يحييهم .. وحاناتِ الليالى أجملُ المأوى
كأن السكرَ يعنى عودةَ المسلوبِ ، تحريرَ العبيد ..
ويقظة النوام .. !

● ●

...نهاية بكائية
إلى كليب بن ربيعة

ـ لديك لم تنم عن البكاء أعينُ البشر
يا ذلك التلُّ الدخانُ الذى أقيمَ من جماجمِ البشر
ومن قوافلِ البَسُوس، لم يضِعْ بأمسياتِهَا الأثر . .
ـ لديك لم يعدْ يروقُ لى المراحُ والرواحُ والدَّعة
ومن خلال موعدٍ أتى . . وموعدٍ يجىء
أعودُ فى المساء أرفعُ الأكف
أعبر ليلى ونهارى يقظة وذكريات . .
أطلب رأس الزمنِ الغشوم
وأشرب الكأسَ على سقوطِه ، أواصُل التذكار :

ـ حبيبتى . .
طائرُنا القديم ذو عينين ،
نافذتين فى المدى . . كنجمتين . .
ندرك فيهما لقاءَنا . . وحبَّنا . . لأين . ؟

نمدُّ فى دنياهما اليدين . .
فيأخذان ــ فى وداعةٍ ــ بطاقةَ العُبور
على طريقٍ واحد . . لا اثنين . .

ــ (اليوم ياحبيبتى يشب فى دروبنا الزمان
فلم تنم ــ بعد ــ عن البكاءِ أعينُ البشر)
. . . .

يا ذلك التُل الدخانىُ القديم
يتوه وجهُنا القديمُ عن عيوننا .
فهل تدلُنا على ديارِنا قوافلُ الأموات

ــ (كليبُ غاب) . . غاب بعدَه وقبله المئات . .
ناح عليه بيتُه . . وناحت الديار
وخلفه تلاحقت أيامُنا . . وجُمِّد الحصار
كأننا ننصتُ للمسيحِ خلف حائِط البكاء
أو أن موسَى ربما يعودُ فى عَباءةِ العزاء

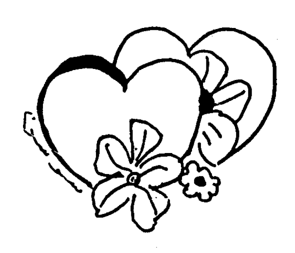
ــ بكيتُ ما بكيتُ . . فى تَجوالى الطويل
لكنها البكاء . .

ما كان غيرَ صرخةٍ تقوُّضُ البناء

لأنه لا يرْجعُ الوجوهَ من جديد ..
لعالم الميلاد ..
لا يوقظُ الأشلاء فى نفوسنا ..
لا يوقظُ الإنسان ..

. . . .

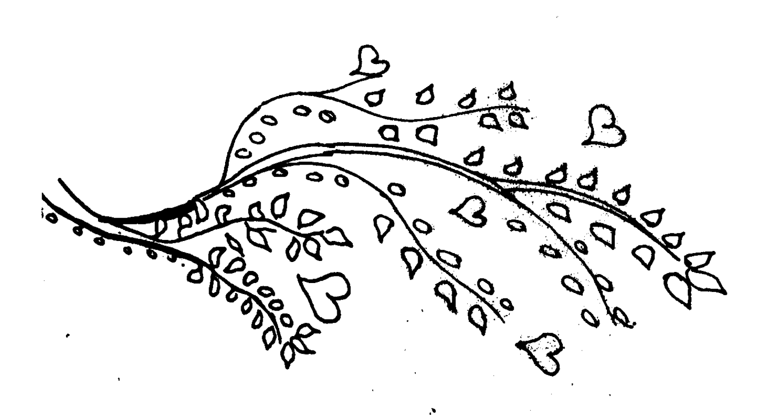
ـ عذابنُا ـ كليبُ ـ لم يزْل على وجوهِنا علامةَ الهوان
وثوبُنا .. ممزقٌ .. لا يستر العُرْىَ على السيقان
ولم نزل نعيشُ فى معية الأوهام



••• اعتـــذار

يا إخوتى ..
من تحملون مثلىَ الأوجاع ..
ومن جهلتهم مثلىَ الوجوهَ والدروب
يا إخوتى ..
معذرة للخوفِ ، للبكاءِ ، للتَّجوال ..
فقد حملتُ .. اليوم ــ فى خرائطَى الجديدة
بقيةَ العزاء ..
خشيةَ أن أفقدَ يوماً .. قدرة البقاء .. ! !


الليـــــل
وذاكرة الأوراق



•••قراءة في عينيها

تتلاطمُ أشواقى فى عينيك ..
يقذفنى الموجُ العاتى ـ فى هُدْبيْك محارًا ..
يلقينى صيداً مكتملاً .. وحلالاً ..
ينثرنى .. أصعدُ سنبلةً .. سنبلة .. أتنوَّر ألقا ..
أتخايل طاووساً .. أزهر لحنًا ..

. . . .

يامن كنتِ سمائى .. أتقاطَرُ منها ذاكرةً للمطرِ القادم بالخير ..
يامن كنتِ عيونى .. أقرأُ فيها فاتحتى .. ويُجاب دعائى ..

ـ أسأل ويجابُ دعائى ..

ـ أتجرَّدُ من ألمى .. من فقرى .. من جهلى (ويجاب دعائى)

عيناك الحلمُ ــ جنيناً ــ عيناك الشجرُ . . الثمرُ . .
وعيناك الموعد . .

. . . .

واعدنى وجهُكِ ذات صباح . . أزهرَ حقلى زمناً يمتدُّ على
كفيْنا ــ حلماً . . ذهباً ــ نقبِضُه . . نبسطه . (أيةُ
أزمانٍ ومسافاتٍ تبقى ما بين الأيدى الملتصقة . !)

توشك أن تكبُرَ أطفالُ الصيف وتقرأ همّنا .

ــ ماذا أعددْنا فى موسمنا القادم . !
توشك أن تتشابكَ فوق شواطِئنا الأشجارُ الموحشةُ وتسألُ
عن طُرقاتِ الأمس . .
توشك أن تُفتحَ كلُ البواباتِ . . ويدخلُ منها النسوةُ . .
والمرتزقةُ والسفاحون . . ويدخل منها الفُرسانُ
المنهزمون . . وأوسمةُ الغرباءِ . . وتسقط كلُ
الأسوارِ . . وتزدحم الطرقاتُ . . (تعالىْ . .
نتخيرُ موقعَنا ــ ما قبلَ الزحفِ . . وما قبل الأسئلةِ
الخائنة . . وما قبل محاكمةِ الجيران . . وما قبل
سقوطِ الأسماءِ من الجدران ــ)

أعرف أن الأشياء تغيرُ من سِحنتها ـ حين يجئُ خريفُ
العامِ ـ وأعرفُ أن الشجرَ المورِقَ يتجرَّدُ من ألوانِ
الحب . .
وأعرف أن دموعَ الجوعى تسَّاقطُ سراً ـ حين يجئُ خريف
العام ـ
وأعرف أن صداقتَنا هذا الموسمَ . . مثلُ الصفقاتِ
الخاسرة . . وأعرف أن الرقصَ مغامرةٌ فيه . .
وأن الحب
مقامرةٌ . . والأحلامَ حرام . !
لكنى . . ماذا أفعل فى أغنيتى . !

ـ ماذا أفعل والأطفالُ البسطاء يدقُّون على بابى كلَّ
صباحٍ ـ أمنحهُم قبلاتى . . ونشيداً . . وعرائسَ
حلوى . !

ـ (ماذا أفعلُ فى عينيكِ الساهرتينْ على كفَّىَّ . . وزمنٍ
أبسطُه أو أقبِضُه . . كى أتنفسَ . . كى تتحولَ
كلُّ الجدرانِ الصماءِ نوافذ)

. . . . .

ـ وتجيئين إليَّ : وصايا . . ومحاذيرَ . . ودمعاً يسّاقطُ
جهـراً . . ـ (لا تتحـدثْ عنـا
لرفاقك . .
لا تـذكرْ قصَتنـا خشيةَ أن تهـوى
أوراقاً ، . . أوراقاً . .
حين يجيُء خريف العام . .)

ـ يامن كنتِ سمائى . . أُطلعُ من قلبكِ شمسى . . أصنعُ
من صوتِك إيقاعى ـ كلُ رفاقى عرفوا قصتنا . !
دقَّت فى الليل نوافذَهم . .
وأحاطوهـا ـ زمناً ـ بـالأسلاكِ الشـائكةِ . . وزمنـاً
بالزيناتِ . . وقصتُنا تكبرُ . . تكبر . .
(كلُ رفاقى حملوا قصتَنا فوق بنادقِهم ذادوا
عنها . . شهدوا ساحتهَا . . سقط البعضُ
شهيداً . . والبعضُ انطلق بها . .
منتصراً . !)

ـ عودى . . من أجل رفاقى المنتظرين ـ بأن تكمل
قصتُنا . .

ـ عودى . . فخريفُ العام ـ مواسمُ ـ نصنعُها نحنُ . .
ونتوهَّمها نحن . . ونخسرها نحن . . (خريفُ
العام بقايا ألمٍ وهزائمَ تقبَع فى القلب . . وتجثُم
فوق الحبِ . . تسطّحُه . . تفقدُه الألقَ . .
وتفقده الغد . .)

ـ ها نحن رفاقُ الساحةِ . . أشواقٌ فى عينيكِ . . وأطفالٌ
فى بابك . .

ـ ها نحن حوارِيُوك الخلصاء . .

ـ عودى . .

ـ عودى . . من أجل عيونِ الأطفال !

١ / ٦ / ١٩٧٦

● ●

... أبجدية الحب .. والألم

[حين أحبك .. أصطنعك على عيني]

ـ لم أزل في انتظارِكِ .. من سيفسِّرُ حُلمى .. ومن أتنفَّسُ من رئتيْه
ـ لم أزل في انتظارِكِ .. من سأهاجرُ .. أحملُ حرفِي إليه ..
بعد حينٍ تُقام الولائمُ .. يمنعني القائمون على الحفلِ ..
ضاعت خطاىَ .. ووجهِى .. ودورى .. وكلُّ
البطاقات .. (من سوف يعرفُنى .. من
يقدِّمُنى .. من يصدِّقُنى .. من سيسْمحُ
لى ؟ !)
حين يبدأُ قرْعُ الكئوسِ . ويبدأ هزُّ الجذوعِ .. وتبدأ كلُّ
الشجيراتِ تُلقى بأثمارِها الطيباتِ .. تساءلتُ :
كيف سألعبُ دورى . ؟
حين أغدوُ لهم دميةً .. يقذفون برأسى .. يضيقُ

حصارى .. أفتش عن كُوَّةٍ فى الجدار .. أخبِّئ
فيها بقايا حروفى .. وذاكرتى .. والدموعَ الغزارَ ــ
أحـدثهم ــ رحمةً بى ــ أحـدثُهم .. يجهلون
حديثى ..

ــ يظُنون أنى أضاحِكُهم بالنُّكاتِ ..

ــ بأىِّ حديثٍ تُرى .. يفهمون . ؟
كنتُ أسمعُ عن هذه الأمسياتِ الشقيةِ .. عن هذه
الأمسياتِ الصقيعةِ .. كنت أكذِّبُ نفسى .. أكذبُ
تلك الأقاويلَ ..

ــ حين أتيتِ .. تغيَّر وجهُك . !

ــ أعرف أنى تغيَّر وجهى .. وشابت منابتُ شَعرى ..
تغيَّر ثوبى .. تغير صوتىَ .. (لكنَّ تلك الورودَ التى
كنتُ أحملُ لم تتغيرَ .. لكنَّ حلُمى الذى كان ينمو ..
استحالَ مواسمَ خصب . !)
ــ كنتُ أرسلُ كلَّ مساءٍ بريداً .. وكان بريدك يحملُ لى
مِن لياليكِ حُلماً .. وشوقاً .. ووعداً .. (وكنت
أغامزُ كلَّ الصبايا ــ نهاراً ــ أصاحبهنَّ ولكننى

كنتُ فى الليل ــ كنت بحقِ عيونكِ ــ كنت أبيتُ
وحيداً وحيداً . . أعيشُ على يوم لُقياكِ . . أنتِ
التى عشتُ عمرى أتوقُ إليكِ . . وأُنشئُها أبجديةَ
حبٍ جديدة. .)

ــ ثم كان مساء . !
كان نهرُ التوجُّعِ يجرى . . وكانت سماءُ المحبةِ تمطرُ . .
كان مساء . . توقَّفتِ القطرات بحلْقِ الفضاء . .
استحالت غماماً . .

. . . . .

جئت أسألُ عنك . . يطاردُنى الليلُ . . والشوقُ . .
والأبجديةُ . . والأصدقاء القُدامى . . يطاردنى وجهُ
تلك الشوارعِ . . تلك البيوتِ . . وتلك الروافدِ
من مائك العذب . .
(جئتُ . . تطاردنى حُجراتُ الدراسة ــ كنا نلقِّن
فيها هواكِ صغاراً . . كباراً ــ وكنتِ عروساً . .
تصارعَ عشاقُها : من يفوزُ بإطلالةٍ . . أو بموعدِ لقيا
خفىّ . !)
جئتُ أسأل . . من سيقولُ الحقيقةَ . . من ينبئ

ضياعى . . يلملمُ خطوى تركتُ ابتسامى . .
تركت الورُود التى قطَّرت فى الصباحِ العطورَ . .
تركت الوجوهَ التى واعدتْنى . . (انخرطتُ بأول
حشدٍ يطالبُ بالخبزِ) عَلَّىَ أنسى بطولِ انتظارِىَ
أغنيةَ الشوقِ . . أنسى الزمان البعيد . !

من يقول الحقيقةَ . .

ـ من سيخفِّفُ عنى . . ومن سيعيدُ إلىَّ ذراعى
الكسيرةَ . . من يصف الدربَ للعاشقِ
المتعب . ؟

ـ من يقول الحقيقة . .

ـ ها أنذا أقرأ الكتبَ المستباحةَ . . والصحفَ
المستباحةَ . . أسمع للخطبِ المِنبريةِ (سال لعابُ
المرابين فيها)
فمن سيقول الحقيقة . !

ـ من يبيعُ الليالى الصقيعةَ . . يقرأ فى كتبِ الدفءِ . .
يكسرُ قيدَ السآمِة حول شموس النهارِ التى غرقت فى
صحارى الجمود . !

ـ من يقول الحقيقة . !

. . . . . .

ـ قد تجيئين من عالمِ المستحيل . . تُفيقين . . قد ترجعين
تسألين الحشودَ التى وقفت فى انتظارك . .
تسألين الشوارعَ والسوقَ . . والمكتباتِ . . ودورَ العبادةِ
والدرسِ . .

ـ أين مريدُوك . .

ـ أين بنوكِ القُدامى . . وأين الورودُ التى سامرتكِ

ـ المساءَ البعيدَ ـ وأين مواعيدُكِ الطيباتُ . . وأين حروفُ
الحقيقةِ والدفءِ . . والأبجدية . .
أين . ؟ !

ـ ألا تذكرين زمانَ العبادةِ ـ ياربةَ الحُب ـ أين . !

ـ ألا تذكرين المعاركَ من أجل عينيْكِ . . والشهداءَ . .
(رفعنا بماءِ الجراحِ شراعَك .

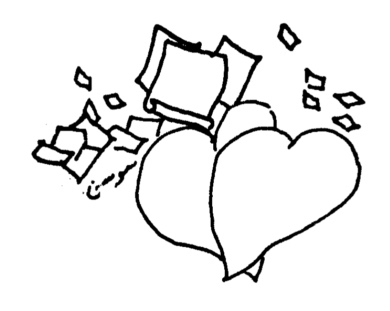
ـ ثم حين فقدنا السواعدَ يوماً : حفرنا لواءَكِ بين العيونِ
ولم ينتكس . .)

ـ قد تجيئين من عالمِ المستحيلِ . . تفُيقين . . قد ترجعين

ـ قد تجيئين من عالمِ المستحيلِ . . تفيقين . .

ـ قد . . قد تجيئين من عالم المستحيل . . !

٥ / ٣ / ١٩٧٦



... الإبحار
فى سنوات الحب والغربة

- ١ -

ـ حين رحلنا ..
لم نتركْ أىَّ دليلٍ يجمعُنا ذاتَ صباح ..
لكنا .. حين تعثرنا ..
حين امتدَّ علينا ليلُ الغربة ..
أدركنا .. كم يفصِلُنا عن ماضينا . !

. . . .

أخذتنى سنةٌ من نوم فى حِضْنِ شُجيرة ..
ورأيتُكِ .. يوم أتيتُك ـ فوق جوادِى الأشهب ـ
أُسْقِطُ ما حولى من عشاقٍ .. أحملُك على صدرِى ..
أوقظُ عينيكِ النائمتين . :

. . . .

كم أتمنىٌّ لو طال الحلمُ . . ولم يوقظْني وقْعُ الأقدام . .

ــ (سقطتْ طروادة) ويلَكِ . . ويْلى ــ وسمعتُ القصة ــ !

ــ أترُاها سقطت ذاتَ مساءٍ خُلسة . !

ــ أتراها كسَّرتِ القَيدَ المعقودَ على عينيْها : ألا تنظرَ إلا فى وجهى . !

قالوا : عذراءُ أخرى (لا تندهشُوا . . معجزةٌ فى عصرِ الموت)

ــ لكنَّ يسوعَكِ مات . . ولم يُولد . !

قالوا : سفَحت . . ضاجعَها جنىٌّ أحمق . .

ــ لكنا بِتْنا نحرسُ بابَكِ . . نُلْقى كلَّ تمائِمنا فى وجهِ الشيطان . !

قالوا : نمتُمْ . . أغشاكُم صمتُ الليل . .

ــ ورحلنا . !

ــ وحملنا جثَّتنا . . أشبعَنَا الحزنُ القاتلُ . . صرنا مهزومين عرايا . !

- ٢ -

كان العالمُ من حولى (سيركاً) للألعاب السحرية .
كنتُ ـ على استحياءٍ ـ أسألُ : فى أى زمانٍ نحن . !
البحّارةُ من حولى : مأخوذوُن سكارى :

يا حادىَ الركِب
يا ساقىَ الحبِ
ياداعىَ الأرواح
والعينِ والقلبِ
متى توَاعدنى
بالحبِ والقربِ . .

ـ يفصلنى عنكِ زمانٌ لا أدرى أولَه من آخره . .
لم أشرب كأساً تُنبت فى رأسىِ أعوادَ الذكرى الشيطانية
لم أشهدْ ليلةَ زارٍ . . تُسمعنى صوتَكِ . . أتحسَّسُهُ فى أطرافِ الليل
لم أتمدَّدْ تحت القمرِ الفضىِّ ـ أهامسُ حُباً ـ مغسولاً بالضوء ـ
ـ لكنى . . فى بطنِ الحوتِ أُعانى ضِيقاً فى صدرِى . . فى أوصالى . .

تلطمنى الأمواجُ .. الأصواتُ .. الألوان . !

ـ أتسمَعُ :

كنت أظنُّكِ تنطلقين إلىّ ..

كنت أظنك جئتِ وبين يديكِ طعامى ..

كنت أظنك جئتِ تَفُكِّينَ السِّحْر المشدودَ على أطرافى .. وترشِّين الماءَ الساقط من شلالِ الذكرى . !

لكنكِ ما جئتِ .. وكان العالمُ من حولى مسحوراً ..

أنبأنى : أن الصبْرَ على الآلامِ يقصِّرُ من أزمانِ الغُربة

أنبأنى : أن الصبحَ قريب

(لكنَّ الحوتَ الرابضَ فى أعماقِى .. لا يأخذُه النوم !) ..

ـ ٣ ـ

ـ ياليلُ .. القربُ متى غدُهُ

ومتى يُدفئنى .. موقدُهُ

الظمأُ الحارقُ يُنحلنى

فمتى يَرويني .. مورِدُهُ

. . . .

ـ (قد أصلُكِ فى أمسيةِ الغد . !)

. . . .

ـ محتشماً جئتُ .. سألتُ .. تغيرتِ الأيامُ .. تغير وجهُ الأشياء ..

ـ كنت أظنُّ الغربةَ لا تسترخى فى أعيننا ،

ـ ماذا عن وجهكِ (يافاتنةَ الوجه)

ـ وبماذا أدعوكِ اليوم ! ؟

يصدِمُنى وجهُك .. عانى سنواتِ الجدب ..

أجدبَ قلبى .. أجدَبَ رأسى .. أجدبتِ الأحلام

لم أعدِ الفارسَ أملِكُ سيفاً (تسّاقطُ فى أقدامى الفُرسانُ العشاق ..)

لن أحملَكِ على صدْرِى ـ أتمدَّدُ فوقَ الخضرةِ .. أقطعُ زمنَ الخوف ..

ـ ولأنا حين رحلنا ..

لم نتركْ أىَّ دليلٍ يجمعُنا ذاتَ صباحٍ .. أو ذات مساء ..
فأنا ــ دونَكِ ياخاذِلَتى ــ قد مت ..

دونك .. ماتت أحلامى .. مات العاشقُ فى أعماقى
دونك ماتت كلماتى .. مات الأولُ والآخِر
مات المابينْ . !
دونك .. لا يجرؤُ أحد أن يسألنَى :
أين . ؟

٩ / ٦ / ١٩٧٣

● ●

●●●تداعيات منتصف الليل

١ - تداعيات الحلم :

ـ محمولاً فوق الكِتْفين أجىءُ .. غبارٌ فوق الهُدْبيْن ..
أساطيرُ لقاءٍ ووداع داخل رأسى .. مدنٌ ..
بواباتٌ .. أقواسٌ .. ألوانٌ للحلمِ القادمِ من
أعماقِ الليل ..

ـ ما أطولَ طرقاتى .. كانت تأخذُ وجهى ـ حينَ يلوحُ ـ
تعصُّبُهُ .. تدفعنى الأقدامُ ـ الأقزامُ ـ
الأحجارُ ـ الأنظارُ ـ أتوق لجرعةِ ماء ..

ـ للسفرِ مهالِكُهُ ..
أتوكأُ فوق عصاً أحلامِى الخاملةِ .. (تُحيلُ
البحرَ الثائرَ طرقاً ـ أتوهمُ .. أتوقفُ ..
أتلفتُ : كيف يكون عبُورى .. ؟ !

ـ تتحول كلُ الـطرقاتِ مهـالكَ .. كـلُ الأرصفة
وحولاً .. كلُ وجوهِ الناسِ صخوراً .. ماذا
أمسيتُ . وماذا يحملُ رأسى ..
أمنحُكم ياحكماءَ الليل أساطير لقائى .. فُضُّوا
رأسىِ حين يمر عليكم :

ـ أىُّ شرابٍ ذاق ..

ـ بأى بحارٍ ـ مرَّ .. اغتسل

ـ بأى رصيفٍ أخذتْه سِنةٌ من نوم

ـ أىُّ مساء .. حدّث عن صائِده .. عن قاتِله ..

ـ أية آفاق يكمنُ فيها كوكبه ..

ـ أية عاصفةٍ أودعَها صيحتَه المحترقة . !

. . . .

ـ من زمنٍ وأنا أرصُدُ مرآةَ عيونك يانافذتى .. أقرأُ كلَّ
تعـاويذِ الليـل .. جوادى يجنحُ نحـو
الغاباتِ .. نثرت بخورىَ فى وجه الوحشِ
الجامح ..

ـ عجزَتْ حيناً قدماى

ـ وحينا عجزت قدماه . .

ـ مات ليُبعث :

ـ وجهَ شقى يقطع طرقَ المغلوبين

ـ أفعى تقطُر سُماً فى آبارِ العطشى

ـ عاصفةً تقتلع الأسوارَ . . تُحيلُ مزاميرَ العُرس
نُواحا . . كهفاً . . يتوهمه العاشقُ حُلْمَ لقاء . .

ـ من زمنٍ . . وأنا أقرأ فى عينيكِ النائمتين حكايا . .
أعرفُ فيها :

ـ منذ متى أحببتُك . .

ـ أىَّ زمانٍ عذبٍ يترقبنا

ـ أيةَ أحلام تحدُونا . .

ـ أىَّ بريد سوف تجىءُ رسائله تحملُ أقماراً
ومواسم . . ! ! !

ـ من زمن . . وأنا عاشقُكِ الأولُ . . خطوكُ فى
الطرقاتِ الموحشة . . ورودُك . . إيقاعُ الحبِ
المتفردِ فى زمنِ الجدب . .

أتجاوزُ عمرى . . أولد قبلَ الموعد . . لا تحملنى أنثى . .
يسألني الحكماءُ . . (أحدِّثهم فى المهد . .)
أجادلُهم . . أتخطَّى منفاى . . أعانق صوتَكِ يعبرُ بى
أزمانَ الهجرةِ والحلم . .
أرتاع الآن . !
فأنا (محمولاً فوق الكتفين أجىء . .) غبارٌ فوق
الهُدْبين . . أساطيرُ لقاء . .

ــ أرتاع الآن :
أهزُّ بقايا رأسىِ . . أيةُ أحلام تبقى . . أية
ألوان !

٢ ــ تداعيات العشق :

ــ حين قرأتُ الفصلَ الأولَ من أوراقِ الليل . .
أخفيتُ بجلدى كلَّ حروفى . .
لكنى حين خطوتُ بعينِي خلفَ البوابات
أغمدتُ حروفى . . فى حضن امرأةٍ عاهرة ــ فى أقربِ
حانة ــ
(ــ اعترفى لى . .

ـ يحسنُ ألا نتحدث . !
ـ فلماذا أعترفُ الآن . .
ـ كلُ رجالى من قبلكَ يعترفون . !
ـ لكنى لن أهدأ حتى . . .
ـ كلُ رجالى من قبلك . . هدأوا . !
ـ لكنى . . . . . .
ـ كلُ رجالى . . !)
ـ حين قرأت الفصلَ الثانى .
أخفيتُ بقلبى كلَّ عذاباتى . .
لكنى حين رأيتُ عيونَكِ تُغرقنى فى ألوانِ الحلم .
صرتُ مريداً . . أتوددُ . . أصلُ حروفى بالشفقِ الوردى . .
أمنحُك حروفَ فصولِ الليلِ الألف . !

٣ ـ تداعيات اليقظة :

ـ وادعةٌ بعض عيونِ الليل . . وساخطةٌ بعض عيونه
وأنا . . أتمددُ فى منتصفِ المعبر . . أرفضُ موتى . .

أنفخُ فى وجهِ الجمعِ المتسكّع فى صمت . .
ما زالت ذاكرتى توقظُ فى عينىَّ الأمس
لن أخسرَ . . لن تخسرَنى كلماتى — يا أرضى — منذ
انكسرَ عليك الخطْو . .
ثم تمدَّد . . غمغم . . أسقطَ فيك رءوسَ الخونة . .

— أمنحكم يا حكماءَ الليل . .
أمنحكم رأسى المطعونَ . . وقلبى الملتصقَ بساعدىَ
المبتور
أمنحكم وجهَ أبى — مذ ماتَ ككلِ الأشياء —
أمنحكم كلّ حكايا الحبِ المستورةِ فى جدرانِ
خنادقنا . .

. . . .

— منفلتا . . عدتُ لبعض عيونِ الليل — أمزقُ أقنعةَ
السُخط — أغلّفُ جُرحى ببقايا ثوْبى . . برسالةِ حبٍ
— كانت تمنحنُى عمراً كلَّ مساء —
— وبقبلةِ طفلتىَ المرتاعة يومَ وداعى — تتشبثُ بى —
(لا ترحلْ عنا يا أبتِ . . ننتظركَ فى الغد . .)

ـ وأنا أتحسَّسُ خديْها .. وأضاحكُها .. يقتربُ صفيرُ
قطاري .. (لن أمكثَ أكثرَ من ساعاتْ ..

ـ سأعود بكل الحلوى .. باللُّعَبِ .. بكلِ الأشياء)

ـ أمنحكم رأسى المطعونَ .. وقلبى الملتصقَ بساعدىَ
المبتور ..

ـ أمنحكم كلَّ الحلوى ..
فلعلى حين أعودُ .. أطلُّ على أبوابِ الليـلِ ..
أفتّحُها .. أقرأُ .. أقرأ .. أكتبُ .. لا يُقعدنى
رأسى المطعونُ .. وساعدىَ المبتور

ـ أمنحكم كلَّ الحلوى ..

ـ أمنحكم كلَّ الأشياء . !

٤ / ١٢ / ١٩٧٥

● ●

يغوصون . .
ـ كلٌّ إلى أصلهِ الحجرى ـ
وأنتِ تجيئين . . تنطلقين إليَّ ـ بكاءً . . صراخاً ـ
ـ تجيئين . . تلتصقين بصدرىَ . . تنكمشين بجلدىَ . .
(تُلقين للريحِ ما تحملين . . وما تؤثـرين . . وما ترتدين . .) تخففتُ من ذكرياتك . . أسمع دقات قلبِك . . أسمعُ ـ وحدىَ ـ كلَّ الأحاديث . .
(ما قيل منها . . وما لم تقوليه . .)
ـ هذا أوانُ التعارفِ بالرمز
ـ هذا أوانُ التعلُّق بالدمع . .
ـ هذا أوان التراشقِ فوق خيوطٍ من الوهم . .
ـ هذا أوانُ . . تنامُ الشفاهُ . . ويُقطع فيه اللسانُ
من الحلق يقفزُ من غورهِ القلبُ . . يركض . .

يركبُ فى الليلِ أىّ القطاراتِ . . أىُّ المواكب . .

حملتُكِ . . كلُّ الوجوه خناجرُ حولىَ . . كلُّ الشوارعِ
ليلٌ . . حملتُكِ تلك سمائىَ نافذةٌ . .
وعيونُك عندى الحدائقُ . . والطُرقات . .
عيونُك عندى الرموزُ ــ أفكُّ طلاسِمَها ــ إذ أسافرُ
أرحلُ . . أرحل .
(كلُ الشواطىء فى رحلتى موطئى . . كلُ كوخٍ به
مهبِطى . .
كلُ حقلٍ به جِنطتى . . كلُ شيء أرى ملكوتى . .

. . . .

أطلِّ علىّ ــ بعيداً عن الحلُم ــ هاتى يديك . . اسرقى
ضحِكاتىَ من ليلِ هذا العناقِ المُرائى . . انزعى
قسماتىَ من بين تلك الوجوهِ الخناجرِ . . لُمى عظامىَ
من طرقاتِ الغنائم . .
يغوصون كلُ إلى أصلهِ الحجرى ــ
وخـطوىَ ــ مازال ــ يـركُض . . يحذَرُ . .
يَشْقى . . (يكيدُون لى عندما أتحوّل شيئاً
يشفُ . . يذوبُ . . يطير)

يغوصون .. أعرفُ ..

ــ يختطفون الوادعةَ والحبّ .. والحلمَ ..

يتفلتون ..

ــ يغوصون ..

ــ ظلٌّ لديَّ .. أطلّ عليّ .. (بعيداً عن الحلم)

.. (لا شيء باقٍ على الأرضِ ــ إذ هم يغوصُون ــ

غيرى .. وغيرُك .. والخطوةُ الباقية) !

٢٢ / ٦ / ١٩٧٦

● ●

...فصول مطوية من حياة العاشق الذى باح أخيرا

- ١ -

ــ وبعدُ .

جئتُ والصلاةُ فى فمى . .

تشدُّنى عيونُكِ الحكايةُ . . المشاهدُ . . الفصول . .

ألملم الشتاتَ . . كانت السآمة . .

تُلقى إلى الريح عظامى . . أضلُعى . . سواعدى . .

تحملنى (فلا جَناح لى يهبطُ بى يطوفُ بى) أنزل ضيفاً

أصحبُ الحقولَ والأطفالَ والسنابل . .

حملت يا حبيبتى تمائمى

لعلها تزحزحُ الصخورَ عند الباب

اعتراف :

أُدرك أنى لا أمتلك هُوية
أُدرك أنى مجدوعُ الأنفِ قصيرُ القامة
يرمقنى الحراسُ طويلاً .. ترشُقنى دهشتُهم ـ أرسُم فوق جبينى الأنفة ـ
فأنا حين سُئلت : مبعوثٌ خاص . !
وأنا لما أفلتّ : عربيدٌ مجنونٌ .. ضيف منبوذ ..
. . . .
الحراسُ على باب مدينتِنا بُسطاء
تحكمهم فى خَفرتهم .. تعليماتٌ وأوامر ..
. . . .

خبر قديم مازال محفورا فى الذاكرة :

ـ يوماً ـ
فُتحت أبوابُ مدينتنا خُلسة
ضاجعها البيضُ .. الحمرُ .. الصُفر ..

ويبكى الحراسُ .. ضياعَ بكارتِها ..
ويبكيناها ..
. . . .
الحراسُ على باب مدينتنا بسطاء ..

ـ ٢ ـ

بحثتُ فى ذاكرتى عن اسمِها الجديد

لو أننى ملكتُ أن أسائلَ الجهاد ..
أن أصاحبَ النساء .. أن أبايعَ الأميرة ..
لما تركت طفلتى تئنُّ عند الباب ..
نسيتُ فى بكائِها الأشياءَ .. والأسماء
نسيت نظمَ الشعرِ والمدائح ..
نسيت كيف أبدأُ الكلام ..

ـ ٣ ـ

(أجندلاً يحملُ لى وجهُك .. أم حَديداً ..
أم زمناً يفترسُ الفصولَ والورودا ..)
. . . .

علىٰ جوادىِ الأشهبِ . .
يزفُنى الرعاةُ والحراسُ . . يهتفون :
ـ العاشقُ المجنون . ! ـ

مروية :

وكان للجنونِ فى زمانِنا القديم
قداسة العقول . .
. . . .
ـ سيدتى . .
وجهُك قديسٌ وردىُّ اللون . .
وجهُك لونُ الحب . .
عيناك عبورى الأحزانَ . . الغاباتِ . . الليلَ . . الجزرَ
المنسيةَ . . عيناك الطفلُ البسامُ على أيدى الليل
وبغير حجاب . . ها أنذا أنثُر بين يديك الأشواق
ـ (أعرفُ أنك ـ من زمنٍ ـ تُلقين على العشاق الألغاز
قالوا . . ما قالوا . . سُحِقوا . . دُفِنوا فى ليلِ الصمت)

لكنى ياسيدتى . .
أملك ما فوقَ الكلمات . !
وما فوق الأشواق

- ٥ -

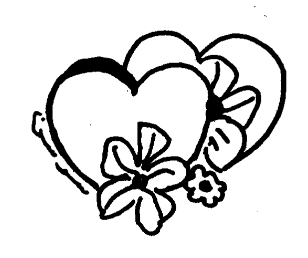
سيدتى لم تنتظرْ . .
سافَرَت . .
لم أقضِ غيرَ ليلةٍ . . وأصبحت
يسفَحُها الصغارُ والكبار . .
. . . .
ـ وجهك يا مدينتى مسافرٌ بلا قطار
بلا توقفٍ . . بلا انتظار . .
تقذفه الأيدى . . تنالُه النعال . .
أبحثُ عنه . . خاسراً . . مغامراً
وعائداً بقبضة الخَواء . . .

البوح أخيراً :

تتنازعُنى الألوانُ الأصوات
تتخاطفُنى الأيدى الأقدام . .

ينكرنى وجهٌ كان على الأبوابِ يئن ..
أتخفّى .. لكن ماذا تصنع بى أقنعتى
. . . . . .
ـ وجهى منبوذٌ .. مجدوعُ الأنف
ألقيتُ عليكم آلافَ الألغاز
(وأجبْتم كلَّ الألغاز)
ـ ها أنذا بحثٌ .. وبحثُم
لكن يَواحَكُمُ الميلاد
ويواحى الموت !

٢٨ / ٤ / ١٩٧٣



... محاولة
فى رسم ملامح الصورة

ـ ينهمرُ على صدرى سيلُ الفرَحِ المفقود
تُزهر فى أرضى البكرِ .. الأحلامُ .. الأنغامُ ..
الأسطورة
يتلوى ضوءُ الشمسِ على أشرعةِ الصيف ..
يحكى كيف انحسرَ شتاءُ العامِ بأحزانِ البُسطاء
كيف امتلأت كُل أوانيهم بالماءِ .. وما جادت بالخبزِ
المالح
يحكى عن أوجاعِ المنفى .. عن قسماتِ الجوع ..
ـ حين انطلقت فوق الجسر الشرقى .. الأجيالُ ..
الخطواتُ العجلى تُمسكُ حيناً نارَ الآلهه .. وحينا ترفعُ
راياتِ العصيان ..
تحملُ يوماً وردَ الموتى ـ تغرسُه فى جثث الشهداء ـ
وتناجى فى اليوم الآخَرِ شجَر الصبار ..)

. . . .

ـ نعرف لغةَ الغرباءِ .. خطاهم .. لهفتَهم .. كلَّ الأحلام ..

صرنا .. تعرفُنا أبوابُ مدينتنا ـ من غير بطاقة ـ

نذكر .. كم نام البسطاءُ على أرصفةِ العُرْىِ شتاء
كم جففتِ الشمسُ بقايا المطرِ بأحداقِ الأطفال
كم خلعت أمٌ مِزْقتَها تبعثُ فى طفلتها دفئاً
نذكر كم تحكى الأسطورةُ عن زمنِ الحُلمِ الأول
كم سهِر العاشقُ تحت الشرفِة يحكى أشواقه
(كانت تتدلَّلُ معشوقتُه فى الضوءِ الوردى وراءَ
النافذِة الشرقيةِ كانت تُحرق فى فارِسها حلمَ الليلِ
الأول .. كى يشتعلَ مساءَ الغد)

. . . .

تعرفنا كلُ الطرقات .. شهِدناها .. ميلاداً .. موتاً ..
وتجاوزنا الأوجاعَ عليها زمناً .. وغَرْسنا زمناً شجَر الزيتون ..
وتحدثنا للريحِ طويلاً ..
حتى مرَّت تمسحُ عنا جُرحُ الأمس ..

وتعلمنا .. كيف تصيرُ الكلماتُ ظلالاً تحت الشمس
كيف يصيرُ الجرحُ زهوراً للأرضِ البكر
كيف تصير الأوجاعُ وضوءاً .. وصلاة

ها نحن قنعنا يوماً بالظلِ .. ويوماً بالحُلم .. ويوماً
بالدهشة .. وتعلّمنا ما تُخفى القسمات
ها نحن ندقُّ البابَ لعل الأحلامَ تدوِّى .. تصحوُ من
غفوتِها أو تحنُو الأمُ على طفلتها خلفَ البابِ
الدافىء .. أو يزهرُ فى الأرضِ العشبُ..
ولا يزدهر فى الملح !

٥ / ٥ / ١٩٧٤

● ●

... خيوط الشرنقة

- ١ -

- تنفض الدودةُ قيدَ الشرنقة
تملك العالمَ فى قبضتها ..
تتبعُ الشمسَ التى تأسرُ عينيْها بأحلامِ النهار
وتكونُ المعجزة :
- يستحيلُ الليلُ طفلاً مُغمَضَ العينين - يصحُو بالقُبل -
أطلقت بسمتُه الخصبَ .. على الأرضِ الموات . !

....

- بيننا سبعُ سماواتٍ .. وأرضٌ لا نراها
- بيننا المتعةُ - لا نلمسُها -
بيننا آلهةٌ تكسِرُ خطوَ المعْدَمين
تحتوى ما بيننا .. تمتصُّه .. لا ريحَ تغشاها ..
ولا العتمةُ .. لا القيدُ يحول ..

-

.. لا الخُطى تخطىءُ يوماً قصدَها .. ها نحن نستلقى
على الدربِ .. مصابيحَ ..
فراشاتٍ .. دموعاً .. وجماجم ..
(لغةٌ .. نغرقُ فيها وحدنا ..
ندركُ فيها قصدَنا المبهمَ .. حُلمَ المثقلين ..)
ـ لا تسوِّى شعرىَ النافرَ فالريحُ تثور
وتعالىْ .. كى نسوِّى الدربَ ـ هذا ما قضتْه الآلهة ـ !

ـ ٢ ـ

يسرقُ الخفاشُ فى الليلِ العيون
يتمطى فوقنا غولاً يسدُّ الأفقَ . يستعذبُ بؤسَ الأشقياء
(وبباب الليلِ درويشٌ يصلِّى .. لإلهِ الليلِ .. أن يُخمدَ
فى الغول اشتهاءه)
. . . .
قلبُها .. مزَّقه الحزنُ .. بكت صفصافةُ البيت عليها ..
ماءت القطةُ بالجوعِ اللعين ..
فقدت رُشْدَ المحبين .. أحالت وحشةُ الليلِ
لياليها .. حصارا ..

قطَّعت سكينُها الأيدى . . (فهل تُجدى القرابينُ . . وهل تُجدى الليالى المقفرة)

ـ يوم أن قال وَداعاً . .
رسمت فوق ذراعيْه حمامه . .
وأطارت فوق خدَّيه فَراشة . .

ـ منذ أن قال وداعاً . .
لم تقف فى بابها يوماً حمامة . .
لم تحم حول شموع الصمت ـ فى الليلِ ـ فراشة

ـ أُحكمت فوق ذراعيْه القيود . .
(نزعت ريشَ الحماماتِ . . أراقت دمَها الغالى . . .
بحاناتِ الظلام . . .)

ـ ٣ ـ

ـ دقت الساعةُ . . هل تَبقى لديها دقتان
توقفان الغولَ ـ فى الليلِ ـ تعيدان العيون . .
ترصدُ الآفاقَ . . (لا آلهةٌ تلهو . . ولا قيداً يحول) . .

ـ دقت الساعةُ .. والدودةُ قيدَ الشرنقة
والدراويشُ على أرصفِة الليل .. يصلُّون ..
فهل تُجدى قرابينُ المساء ..
وتكونُ المعجزة .. ! ؟ ..

٩ / ٥ / ١٩٧٤

● ●

... ملامح أخرى للقضية

- ١ -

ـ علّمنى صمتُكِ لغةَ العصر :

علمنى أن أبكىَ (حتى تبيضَّ الأعينُ .. حتى يَشْفَى الصدر)

علمنى كيف تكونُ طقوسُ الليل ..

كيف تحطُّ على جسدِى العُريانِ طيورُ الرغبة

فتناديها من داخلِ جلدى : أحلامى .. ألوانى .. أسرارى

وبعينى تتجسَّدُ كلُّ الأشياءِ : امرأةٌ تقرأُ لغةً ساحرةً ـ لا أعرفُها ـ

تعصرنى بين ذراعيها .. أتنفَّسُ من شفتيْها رائحةَ السكر ..

تعزفُ فوق ذراعىِ ألحانَ النشوة ..

نتوحّدُ فى لونٍ . . تتوحدُ معنا الجدرانُ . . الأسقفُ . .
ونظلُّ نغنّى . . نرقص
(ننسى حزنَ العالمِ فى صمتِ عناق . .)
حتى يأتينا منتصفُ الليل . .
تفجؤنا دقاتُ الساعة : تعطينا إذناً برحيلٍ دائم

وتجىء الأحزانُ تحطُّ على نافذِة الليل
أكسرُ فيها تمثالَ الحُلم . . (أُمنىٌّ عاشقتى بلقاءٍ آخر . .
ـ لا يعلم موعدَه غيرُ الله ـ)

ـ ٢ ـ

ـ ألقانى حلمى من نافذةِ قطار
وتخفّيتُ بثوبِ الغرباء . .
أطرقُ أبواباً ـ كانت لا تُغْلَقُ منذ سنين ـ
أبواباً تأوى الغرباءَ . . المقهورين . .
. . أجلسنى سيدُها يوماً بين يديه . .
بين يديه . . ضم شقوقَ يدىّ . .
أجرى فيها أنهارَ الخضرةِ . . والحكمة . .
أنبت فيها شجرَ الرحمةِ . . والضوء . .

ظل يحدِّثنى .. وأحدثه ـ ساعاتٍ ـ نختصرُ العالَمَ فى
قدح من قهوة ..
فإذا نحن الإخوةُ ـ دون بطاقة ـ
يُقسِمُ من يلقانا .. أنَّا .. من زمنٍ ـ من أزمان ـ كنا
عائلةً .. رابطةً .. جِيرة)

. . . .

لكنى .. حين تخفيتُ بثوب الغرباء
(أطرُق أبواباً ـ كانت لا تُغلَقُ منذُ سنين ـ)
لم أسمع سيدَها يدعونى بين يديه ..
أمْسَى .. يتغيرُ وجهُ الأشياءِ .. الأبوابِ .. الجدران . !
أوقفنى ـ حين تلفتُّ ـ الخفراءُ ـ أحسُّ شواربَهم ..
تنغرزُ بجلدى
(لكأنى من قُطاع طريقِ الليل ..
أنتهكُ الحرماتِ .. كسرت القاعدةَ المرعيَّة) ..

ـ ٣ ـ

ـ وأنا أرحلُ معها فى أعشابِ العالمِ ـ
سألتْنى عن وجهى .. عن ألمى ..

عن أحلامِ الغد . .

ـ لكنا . حين غرقْنا فى ليلِ العشق . .
وحرقْنا جثْتنا فى صمتِ العالم . .
لم نتذكر أسئلة الأمس . !
. . . .

ـ ٤ ـ

الساعةَ . . أسألُ :
ـ من يُطلقنى خارجَ بواباتِ الصمت . .
أو يحميني من أسنانِ العصر
أسأل عن ذاكرتى . . عن عُرسٍ يومىٍّ فى شط النهر . .
لكنى . . مشدودٌ من عينِى . . مشدود من أذنِى . .
مشدود من أطرافى . .
ـ لا أملك إلا أن أحلُمَ . . أن أحلُمَ . . أن أحلم .
ـ فبقايا رأسى مازالت فى خطِ النار . .
ـ كرةٌ يتقاذفها أعدائى ـ !

٩ / ٦ / ١٩٧٥

... مكابدات الذاكرة

ـ تمطُر فى أقداحنا السماءُ .. عانقى السماءَ حباً
وعـانقى الشمسَ التى غذَّت أكفَّنـا .. وأسعفت
جراحَنا .. وعانقت جفونَنا .. رحْباً ..

. . . .

حبيبتى .. لم تمت الأشجارُ فى المساءِ
(نامت الثمارُ .. نامت العيون)

ـ لا تسألى كيف ينامُ كلُّ شىء ..
لأننا .. تضيع من أكفنا ذاكرةُ الزمان ..
وتنقضى سراً ..

ـ لا تسألى فيم ينام كل شىء دهراً ..

ـ هذا أنا وقد سريتُ الليل ..
لم يبق غيرُ ثُلثه الأخير ..

قبضتُه .. كابدتُه .. ذَرَيْتُهُ .. أودعتُه الرياحَ والمسافة ..
شربتُ كأسَ الفطرة ..
عرَجتُ للفضاء .. كان مطرُ السماء ..
(يهطل من حولى .. ولم ينلْنى)
تحملنى الرياحُ .. يضربُ السحابُ لحنَه العذبا ..
أسمع فيه صوتَكِ المؤنسَ ـ فى فضائى ـ أرصدُ المشاهدات ..
. . . .
الفارس الغائب ـ فى فولاذه ـ
مازال فى البحارِ .. فى القفار
يسأل عن عودتِه للديار ..
ـ يصاحبُ الدرويشَ .. والساحرَ .. والجنية
من أجل أن ينالَ ظلاً ..
ـ تبعدُ من خُطوتِك المسافة
ولن تملاّ ..
مم خلقتَ .. (لا يصيبُكَ الدُّوار .. لا ينالك الهجير ..)
مم خلقتَ .. مما ..

حمِّل تحياتِك ـ قدْرَ ما استطعت ـ لا تخشَ انقضاءَ الليل .
مازال ثلثُ الليل ـ إذ تركتَه ـ لم ينته
ـ وإذ قضيتَه .. لما يزلْ دهراً
ـ جفَّفتُ دمعَ الحلم فى عينيه .. (عاد ضاحكاً)
ـ يشرب فى صحةِ هذا المرحِ المقدسِ ـ !

. . . .

ما نامت العيونُ .. لا تزال ..
تحرسُ عند الشاطىء البعيد ..
(هذا أنا ألقيتُ سيفى جانباً .. لم أعد المرتزقَ القديم
ـ أساقُ للحروبْ سَوْقا ـ
وإنما .. جئتُ بحبى كلِّهِ .. شوْقاً)
ـ ذاكرتى تلذعُها الشمسُ .. خشيتُ أن تضيعِ أو تصدا
حبيبتى ..
لن يهدأَ اللحنُ .. ولا العاصفة
حتى أراك ترفلين .. تُقبلين .. عذْواً ..

ـ لحنى .. وأنت فى غيابك البعيدِ صار قصْفا ..
فأين أنت .. أين تختفين .. كيفا ..

ـ ولم يعد عنترُ .. عبداً ـ

ـ أمسيتُ يا حبيبتي عرينَكِ القويَّ .. مُلكَكِ الرحبا

فلو أموتُ دون حبك .. استرحتُ قلباً

ولو أعيشُ .. عشت سيداً ..

١٩٧٣ / ٨ / ٣



ـ مخطىءٌ ـ فى البداية ـ إذ كنت أهبطُ متخذاً فى
العشية . . وجهَ مقامر . .

ـ مخطىء فى النهاية ـ إذ كنت أُوهم من يتساءلُ : أنىَ
ما زلتُ أجهلُ تلك الوجوهَ وتلك البيوتَ . .
وتلك المسافة . .
كان يفصلُ ما بيننا العطشُ . . الليلُ . . أزمنة الوجد . .
كانت تمد النوافذُ أذرعَها المشرعاتِ سهاماً . . وتفقد
كلُّ الطقوسِ ملامحهَا الأبديةَ تفقدُ ذاكرةَ الحلم :
(أىّ مساءٍ سهِرنا . . حرسْنا النوافذ . .
أىّ صباحٍ تناقلت الريحُ أخبارَ فُرسانِنا :
الشمسِ . . والغد . .)
كانوا يصيحون من حولها ـ حين أنظرُ ـ أسألُ . .
أشخصُ . . أطوى احتضارى . . وذاكرةَ الطفل . .

(كانوا يصيحون بالشعرِ . . والسُكرِ . . لكنَّ ثوبَكِ
كان الورودَ . . وكنتِ القصائدَ . . كنتِ الوصايا . .
وكنت المرافىء . . !)

أتذكرُ . . كنتِ . . وكنا . وكنتُ ـ كتبتُ زماناً على حائط
الليلِ كنت أحاربُ باسمكِ خيلَ الزمانِ العتيةَ ـ
أكسِب معركةً . . ومعاركَ أخسرها ـ
(كنت أوقظ باسمك تلك العيونَ التى سقطت فى
الرمال !)
ـ عرفتُكِ يوم تواعدتِ حلماً . .
ـ ويوم . . تجليتِ نجماً . .
ـ ويوم . انزويتِ شعاعاً
ـ ويوم ارتقيتِ شراعاً . .
ـ ثم حين اقتربنا من الليل . . كنتُ أخبىءُ وجهَكِ بين
ثيابىَ . . (وجهُك هذا الشقىُّ المعاند) . .
آه . . أمر على العسسِ المتلاحِم ـ ألقى التحيةَ ـ
أُمنحُ صكَّ السلامة ـ

ـ (وجهُك علمنى لغةَ الليل . . والعسسِ المتلاحم . .
وجهك لقَّننى كِلْمةَ السر) ـ وجهُك هذا الشقى ـ

ـ وقِّعى فى الدفاترِ . . فى القلبِ . . فى شفة الريحِ . .
فى الذاكرة . .
إننى الآن أختارُ هذا العناء . . وهذا الشقىُّ المعاند . .
(تلك الدوائرُ تَثبتُ فى النهرِ منذ نثرتُ الحصى
والهمومَ . . ومنذ تقامرتُ . . منذ . . !

ـ املئى بالعناءِ وبالسقم كلَّ الجرار . . اتركى ذيلَ ثوبِكِ
يلمِسُ ذاكرةَ النهر تلك الدوائرُ جامدةٌ . .
والسماء بلا مطرٍ يقترب

ـ إننى الآن أسقطُ ـ أختارُ هذا العناء ـ (فلا ورقُ الشعرِ
أنزعه من غصونٍ . . ولا لغةٌ للرثاءِ تقاسمُنى
سقطتى والعناء)

ـ وكنتِ ـ زماناً ـ تقولين حلوَ الحكايات . . وكنتُ
أهاجرُ ما بين عينيْك فى شفتيك (وطفلاً ـ أنامُ
على ساعديْك ـ تبينتُ أنكِ حُلمى الصغيرُ . .
الكبيرُ وبلسمىَ العذبُ . . والقبلةُ السحْرُ . .
كنتُ . . وكنتِ . .)

وكانت أناملك ــ الدفءُ والحب ــ تجدلُ
شعرىَ . . كانت لياليك ألفاً . . وألفاً ــ وقهوتُنا
العسليةُ ــ (كان رغيفُ السماءِ دفيئاً . . طرياً . .
يبلل أفواهَنا بالنداءِ المهامسِ كنا نحب)

ــ أستديرُ إليك ــ لأعترفَ الآن ــ أنىَ منذُ البداية . .
أنىَ . . حتى النهاية . .

ــ أنىَ ذاكرةٌ تتوزَّع ــ
قيل . . وقيل ــ وذاكرتى تتوزع ــ
أعترفُ الآن . . أنىَ يخطىءُ ظنىَ . . أنىَ قامرتُ
باسمكِ . . (أختارُ هذا العناءَ . . أكفِّر عن
خطواتِ الشقيةِ . . عن نهرِنا الحجرىِّ . .
وعن . . عن . !

رثيتُ طويلاً لحلم ــ تمدَّدَ ــ للصيفِ ــ كان
مواسمَ ــ للطفل ــ يلهو على ساعديْك ــ
ولليل ــ يشبعنى السكرَ فى نُضْجِ أغصانِك
المثمراتِ . . رثيت لأنفاسِنا : الدفءَ . .
والحلم ــ كانت بخاراً تصاعدَ فى آخرِ الليل فوق

زجاجِ المرايا . . وللسقف يرسُم صورة
عشق . . وأغنيةً مرمرية . .)
أستديرُ إليك . . لأختار هذا العناءَ وأختار للذاكرة :
أن تجيءَ إليك . . وتفصلَ ما بيننا . . وأشيبَ . .
وأخطىءَ أخطىء . .
أستديُر لأختارَ ليل العناء . .
أستدير إليك بلا ذاكرة . . !

١٤ / ٤ / ١٩٧٦

● ●

... تفاصيل
ما حدث في زمان الرمادة

أفتتاحية للحلم :

ولم تأتِ ..
كنتُ انتظرتُكِ عمراً ..
أخبىءُ بين الضلوعِ مواعيدَنا القادمة ..
أمدُّ على شرفاتِي مواسمَ حُلم وقمح .. أغيِّرُ من قسماتِ
الشوارعِ .. من لغة الحبِ ..
من واجهاتِ الفصول ..
أتفيأُ ظلَّ النخيلِ .. وأطلق أطفالَنا يغسلُون بماءِ الغديرِ
ضفائرَهم يجمعون الحجارةَ والرمل ..
يبنون شرفتَهم فى السماء .. يطلون منها عليكِ ..
يغنُّون للموعدِ المرتقَب ..
تتمايلُ فى الطرقاتِ الصبايا .. ملأن الجرارَ حنيناً
وشمساً ...

حينناديتُ . . فاضت جرارُ المحبة . .
وتمنيتُ أن يغسلَ الماءُ وجهَك . . صوتَكِ من داخل
الحلم . . من طرقاتِ النهاء . .
وتوافين . . تحتملين إلىّ المسافاتِ . .
تنتقلين إلىّ : رسالة حب . !

أصل الحكاية :

(آه سيدتى . . قد مَلِلتُ البقاءَ . . أصب على قدميكِ
عطورَ الصباح . .
أغير ثوبَ فِراشِك . . نامت عليه الكئوسُ —
مع الليل — أجرت عليه الحكاياتُ رغبتَكِ المستباحة . .
ليس لى أن أسائل : ماذا تريدين . . أين تغيبين
كيف . ؟
ألا تستحين . . !
فلست سوى حارسٍ للنجومِ وللقبعات . .
أنظفُ أحذيةَ الزائرين . .
أحفظُ الآن كلَّ وجوه الرجال . . وكلَّ وجوه النساء —
فكلُّ الوجوه سواء . !)

وتظل المسافاتُ تنقُلنى .. وأظل أسائلُ : أين تضيعُ
خطاى . ؟
غير أن الفراشاتِ ـ ذاتَ مساء ـ توارت .. وجفت
حقولُ القَرَنْفُلِ والياسَمين
ـ تساءلتُ : يا أرضَنا .. أين وجهُك .. أين خزائنُك
المثمرة .. كيف يفجؤك الجدبُ . كيف تهاجر
شمسُك هجرتَها العاتية ..
ـ أنت أمُ القرى .. تمنحين ـ مع الليل ـ أحلامَكِ
الطيبات ..
وفى الصبح .. أنت تفكِّين كل الضفائر ..
تغدقين علينا ورودَك .. قمحك . ماءَك .. شمسَك ..
زهوَ العصافير .. لا تبخلين . !
كيف أصبحتِ صماءَ بالليل ـ لا تسمعين هتاف المحبين ـ
أين ضفائرُك الخيرة
حوصلاتُ العصافير أحرقها الملحُ .. حلمى وحلمُ الجياع
تبخر ـ دون رجوع ـ
ـ ونظل نسائل .. (جاءت إجابتهم شافية)
ـ ايها الجائعون انظروا .. فالقرى حولكم جائعة ..

نحن نحيا زمانَ الرمادة . .
تلك أقدارُنا . . تلك . . تلك . . وتا . .)

ذكرى قديمة :

هوِّن حزنَك يا ابنَ الخطاب . .
قافلة قامت من برِ الشام . . وأخرى تعبرُ دجلة
عنك الخبزَ المغموسَ بزيت الأرض
ـ الموقفُ فى الخامسة مساء
الليلُ خرابٌ يا ابن الخطاب . .
لا تدفئنا الجدرانُ المصنوعةُ من بوصِ البحر . .
لا تدفئنا الخِرَق القطنية
لن نُغمضَ أعيُنَنا حتى تصلَ القافلةُ الموعودة
فالأطفال حوالينا . . صرخاتٌ . . وبكاء . .

تعليق :

ـ تلك أم القرى سلبُوها أمومتها . . واستباحوا لها أن
تذوق الرماد
لم تصل فى الصباحِ القوافل . . ضلت مع الريح . .
أدمت عيونَ الصغار

ـ تلك أم القرى . . تتلقى البطاقاتِ كلَّ صباح . . يفضُّ
بكارتَها مالكُ الماءِ والقوت كلَّ مساء . .

نحن حراسُها . . نتبارى . . نخبىءُ بين الضلوعِ
مواعيدَها القادمة
نحن حراسُها . . نحفظ الآن كلَّ الوجوه
وما سوف يأتى . .
فكل الوجوه سواء . !

١٥ / ٤ / ١٩٧٥

● ●

ـ أقف على ناصيةِ الليل الشتوى . . أراقبُ شرفتها . .
تركضُ فى أحلامىِ خيلُ الرغبة
تتهاوى من حولى الجدرانُ . . يضىء الشباكُ العلوىُّ بلون
الوردِ . . يهز ستائرَه عطرُ النهدين . .

ـ أعرف كم تتلونُ بى عيناها . . (الآن يسائلُها عاشقُها
الأولُ عن لونه)
تنبئنى الساعةُ أن الموعدَ يوشك أن يبدأ . .
(هذا الشباكُ العلوى . . وتلك الشرفةُ . . هذا الليلُ
الشتوى . . الصرخاتُ . . الأناتُ . . الضحِكاتُ . .
المشهدُ ممتدٌ . .)
لا أسمع من يلقانى بالتصفيقِ . . وبالإعجاب . .
. . . .

أعرف أن الفُرسان تجردهم من شارتهم صاروا أنصافَ رجال

ــ ياخارطة المخلوقاتِ : أنا مازلتُ مريداً أنتظرُ على ناصيةِ
الليل الشتوى ــ

وضعوا فى طبقِى السمّْ . . التهبت فى حلقى الصرخات
انصهرت فوق المسرح جثةُ أشواقى . .
ودُعنى جمهورى باللعنات . .

ــ همسوا فى أذنيْها بالقولِ الكاذب . . حملوا رأسى فى طبقٍ
فضى . . (تلك نهايةُ من تطعن أحرفُه ظهرَ السادة . .
من تهتك عيناه الحرمات . .
من يتنقلُ بين إماراتِ الشرق وبين حواريها . . تلك نهايةُ
من يتخفَّى فى ثوب الغرباء . .)

ــ همسوا فى أذنيْها . . وبقايا أغنيتى ومقاماتى أحزمةٌ حول
بطون المقهورين

ــ . . . ويظل يحدثنى (عيسى بنُ هشام)

ويظل يجوب العالمَ . . يُسْقط أقنعةً . . يطرقُ أبواباً . .
يُجرى نهر الحكمةِ فى كل الطرقات . .

. . . .

ـ ظلوا زمناً يُلقون عليَّ الأسئلةَ الملتوية :
ـ من عيسى بن هشام .. وماذا عن كلماته . ؟
تُقتلْ .. إن لم تخبرْنا عن خُطواته . !
ـ وأظل أحدثُ عنه .. ويحدثُ عنى .. (أقسم أنى
عيسى بنُ هشام) ..
لكنْ .. ما أجهل سوط فى أيدى جلاد . !

. . . .

ـ حاورنى سيدهُم ـ ذات مساء ـ وأنا أقتُلُ بيدقه الباقى
فوق الرقعة ..
أتنقل بالطابيةِ .. أزلزلُ ـ فى مخدعه ـ الشاه ..
لكنى .. لاحقتُ مهارةَ سيدهم .. حتى سقطت عيناه ..

. . . .

ها أنذا أتأرجحُ يا عاشقتى بين الجدران
أتساءل : فى أى زمانٍ ألقاك ..
بأى ملامحِ وجهٍ .. وبأى رداء ..
وأنا فى خارطةِ المخلوقاتِ يُشار إلى
وأرانى فوق الأرصفةِ الممتدةِ .. يذكُرنى الخفراء ..

أخشى ــ إذ يدركنى سيدُهم ــ أتعثرُ فى كلماتى . . أخلعُ
ثوب الغرباء

. . . . . .

ــ لكنى . . من أجلكِ وحدك أرضى أن يُحمل رأسى قُرباناً
فى بابك

ــ من أجلكِ أُنفى . . أتبدد . .
يقطعُ لحمى سوطُ الجلاد . .

ــ من أجل شوارعِك المغسولةِ بالحلم . .
تتوقُ لشمسٍ أخرى

ــ فاذا شاءوا ــ من أجلك ــ عبَّدتُ لهم كلماتى طُرقاً
تفسحُ لى أبوابك

ــ من أجلِك أنتِ أهاجرُ بالشعرِ وبالأحلام
أنكر أنى عيسى بن هشام . .

ــ من أجلك أنت أضحىُّ بالبيدقِ والشاه
أعود بثوبٍ ــ قد لا أهواه ــ
حين تعودين إلىّ . .
وأعود إليك !

٣ / ٩ / ١٩٧٥

....من أوراق شجرة الدر

ــ أقْبَلَتْ من زمانِ العواصفِ .. من جزر الحلمِ .. من طرقات الحَواء ..

طفلةً .. قبلت وجنةَ الصبح .. فكَّت ضفائرهَا ..

غسلتها بماء الزنابق ..

نثَرت فى السواحِل عطرَ المحبين ..

ــ ياسندبادَ البحار .. إليك المرافىءُ

تفتحُ أذرعها بالحنين ..

ــ كان يحملها .. (وهى لم تشهدِ الشمسَ بعدُ) ..

يجوبُ بها الأرضَ يعرفُها البحرُ والطير ..

يمنحها الناسُ وجهَ الأمان ..

لم تزل صيحةُ المعلمين تدق بآذانها .. تقهر النومَ : أين زمانُ الخصوبة . ؟ !

يصدأ القلبُ ـ مثل النُحاس ـ فلا الحب يمكثُ حباً . .
ولا الحلم حلماً . .

ـ تُسمع الآن أغنيةٌ فى الخلاء . . يلونها الوهمُ . . يغلق
أبوابَها الحزنُ . . تجمدُ فيها الحروف .
هزَّهَا الليلُ . . لا ثمراً يتساقط . . لا ورقاً يفرش
الأرضَ . . لا بلسما للجراح . .

. . . .

ـ عندها . . كان قلبى يردِّدُ لحنَ اللقاء . . يمدُّ الذراعين
للشرفةِ النائية
شاب قلبى ـ وما شبَّ ـ ما أتقنَ الصمتَ والشوقَ . . ما
عرف الليلَ كيف يجىء

. . . .

ـ لم يزل يا ابنَ لقمانَ قيدُك . . لم يقرعِ البابَ . .
لم ينكسر . .
صار للحزنِ فى أرضنا هامةٌ . . فوقها تُصلب
الأحرفُ المتعبة . .
أرتمى بين ساقيه . . طيراً جريحاً . . أظل أشق دروبَ

السؤال .. أغوص إلى مدنِ السحر .. أغزو قصورَ
المماليك .. أنقُر فوق النوافذ ..

. . . .

ـ دُلَّنى يا ابن أيوب ..
أصبحتُ من مالِكَ : الحبُّ .. أصبحتُ شمسَ
المريدين .. فى سنوات الغشاوة ..
أنت نجمى .. فما عرف الشرقُ حلماً سواك .. نثرتُ
البخورَ ـ ألا فقئت أعين الحاسدين ..
وبصدرى .. بعمرى .. فديتُك يامالكى .. وبكل التى
تملك المرأة المعتقة ..
ـ دلنى يا ابن أيوب ..
هذا طريقُك .. تلك عيوُن العداوة فُضت .. وتلك
الرياحُ استقرت
طارت الأمنياتُ إلى قاسيون .. أيا موطنَ الحبِ والأنبياء
لم يعد غيرُنا الشرق .
لم تعد الحربُ تكسر قاعدةً من هوانا

. . . .

ـ صار للحزنِ فى أرضنا هامةٌ .. فوقها تُصلب الأحرف
المتعبة . !

هل ترى وجهها اليوم (يُلصقُ فوق التراب)

ــ ألفُ مئذنة شخصت للسماء ..

(تجمّدَ فيها النداءُ .. تجمدوجه المعز)

أوقفت خطوَهَا الريحُ .. (ياليلةَ العرس .. هذى عروسُكِ فرت من البيت صار الزمان .. ذأ ..)

صرتُ .. لا ينظرُ النجمُ لى .. لا يبايعنى الحبُ فى الشرفاتِ القريبة ..

لم يعد غيرُ حراسِها ــ غافلين ــ فياخطوةَ اللصِ دوسى ذُيول الرداء ــ

أسقطى وجهَها الحجرى .. (قد استعذب الحزنَ دهراً .. تدلىَّ عليه وساماً)

. . . .

ــ من أراه يفضُّ حكاياتِنا المجهدة ..

ــ من يهز قصورَ المماليك .. من يشترى الحبَّ فى المدنِ النائية ..

ــ من يفك ضفائرهَا ــ كى تشبُّ عن الطوقِ ــ ترفع عن مقلتيْها الغشاوة

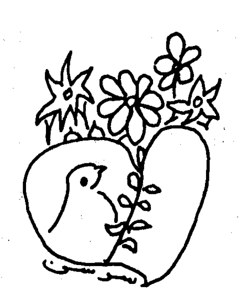
ها أنا ذقتُ ويلَ الحروب .. تعملت أن يشتهى القلبُ
أن يستزيدَ .. أظل أشقُّ دروبَ السؤال
(أظل أسائلُ أوراقَنا

ـ أين وجهُ النهار ..

ـ متى الحزنُ تُكسر قامتُهُ ..

ـ كيف تطلع شمسُ الحروف !

٢٥ / ٥ / ١٩٧٤



... أحلام الصيف المختزنة

(أبداً لن تضيعى فعيني عليك)

مفتتح :

ــ ومدت يديْها . .
ترفق بى وجهُها المتوردُ . . ألقى إلىّ زهورَ القَرنفُل . .
أرجوحةَ الشمس . . أغلق خلفى المسافاتِ . .
أغلق خلفى زمانَ التقوْقع والوثنية . . أغرقنى فى
ليالى العبادةِ . . أحمل وجهى وأوراقَ حُلمى .
أحدِّث عنها الحدائقَ . . والعشبَ . .والآلهة . !
دعينى أسوقُ إليك الرياحَ . . ألقنها كلماتى . . أجسِّدُ بين
يديك النهار . . (حكايا . . مرايا . . أهازيجَ . .
أحلامَ طفل يدبُّ على جسدِ الصبح) . .
حين نغنى معا . .
فحين نغنى معا . . يتباعد وجهُ الكآبة ــ حين أتوقُ
إليك ــ نكوِّر عالَمنا من بقايا الضياء . . ومن حلِمنا

المتورد .. من أحرف الشمسِ .. حين نغنى معا ـ
تتهاوى الطيورُ بحلم الجياع ..
وتصمت عنا الخفافيش ..
نكتب فوق الموائِد قصتَنا :

ـ أبداً لن تضيعى .. فعينى عليك . !
(إذا كنتِ تمشين خلفى .. فكلُ الجداول .. والشجرُ المتعانقُ حولى مرايا تدل عليك .. إذا كنت تمشين فوق السحابِ .. فهذا هو الحبُ عربدَ فى عربات القمر ..)

أحلام بيديا الفيلسوف :

يجىء لنا أولُ الليل .. كنتُ أعدُّ الطقوسَ .. (نسيت على حافة الليلِ تلك الطقوسَ)ارتجلتُ ..
أتيتُ .. حملتُ الحكايا إليك ..
ترجلت فى بابِك المرمرى .. تركتُ الحكايا التى طاردتنى زماناً .. وألقت بحلمىَ بين الوحوشِ زمانا ..
(فحينا هبطتُ حماماً ..
وحيناً تقاتلتُ بوماً
وحيناً تطيّرتُ ليلاً غراباً ..

وحينا تنمرتُ جُرذاً . .)

ترجلت فى بابك المرمرى . . خلعتُ ثيابَ الوحوش . .
نزعت المناقيرَ . . ألقيتُ شوكَ القنافذ . . جئت
قتلتُ الحكايا التى أثقلتنى زماناً . . حملتُ إليك
بقايا حروفى وحلمى . .

أعدِّى لنا الليلَ من ضوء عينيك . . . من بوجِك
العذب . . من ذاكرات الندى والرياح . . (فانى
سئمتُ بلاطَ الملوك . . سئمتُ التزلفَ والزيفَ
والوثنيةَ . . والمدنَ الهاوية . .)

أجىء . . أعيدى إليكِ يدىَّ . . وصدرِى . . وعينىَّ . .
ضمى إليك البقيةَ من ماء وجهى . . ومن خطواتِى
العنيدة . .

أجىء . . أعبرى ذلك الليل :

(نحن عيالٌ على الليل . .
نحن ندى الفجرِ . .
نحن حنينُ الفراشات . .
نحن طقوسُ الصباح . .)

أحلام شهرزاد :

ـ يصيح بنا الديكُ فى آخر الليل . . ماذا ورأسى ـ على
كتِفِ الموتِ . . ماذا برأسىَ يحملُ لليلة القادمة ـ
وكيف وحبى يكدِّرُه الليلُ . . والنوم كدَّرهُ السيفُ . .
والأمنياتُ قصار . .

ـ وكم رحتُ أصعدُ ليلىَ . . (أحمل حُلوَ الحكايات)
أصعدُ . . حتى إذا أدرك الصبحُ . . أهبطُ . .
أهبط . . أتبع ظلىَ . . رأسىَ يخلو وصدرىَ . .
لا النومُ يغزو عروقى . . ولا الدفءُ . .
(أصحو نهارى وليلى . . فأغزو الكهوفَ . .
وأصحب غابَ الكواسر . .
حينا سحرتُ المدائنَ صخراً . .
وحيناً بحثتُ عن الحب فى مهدِه سندباداً . .)
ومولاى يقبضُ صدرى . .
يعصرُ منه الكئوسَ الندية . .
(مولاى . . جاء الصباح . .
ومولاى موعدُنا الغدُ .
مولاى . . ليس لدىّ الكلامُ المباح . .)

ـ أجيء .. وحلميَ مثل الحكايا العنيدةِ فى قمة القهر .. والدفءُ وسط الثلوج

ـ أجيء .. وحلميَ صيفٌ يعربِدُ فى الضفة النائية ..

ـ أجيء .. فمن ستراه يقصّر ليليَ عنى ..
ولو ليلةً واحدة ..

ومن ستراه يعصّر كأسيَ عنيَ ـ أىَّ مساء ـ
فأصفو .. أفيق وأقبل .. أشبع حلمى من
الدفءِ فى الشفق المتورد أحملُ وحديَ زهرَ
القَرَنْفُلِ .. أشرب وحدى .. أحب

ومن ستراه يخفّفُ عنيَ شطرَ الكآبة .. من يفرغُ القلبَ عنتى بقلب . !

مختتم :

ـ أحدىً لنا الليلَ من ضوءِ عينيك
ها أنذا قد سئمتُ التقوقعَ فى الشوقِ والوثنية .
زفّى إلىّ المواسمَ من حلم عينيك .. نحن نحب

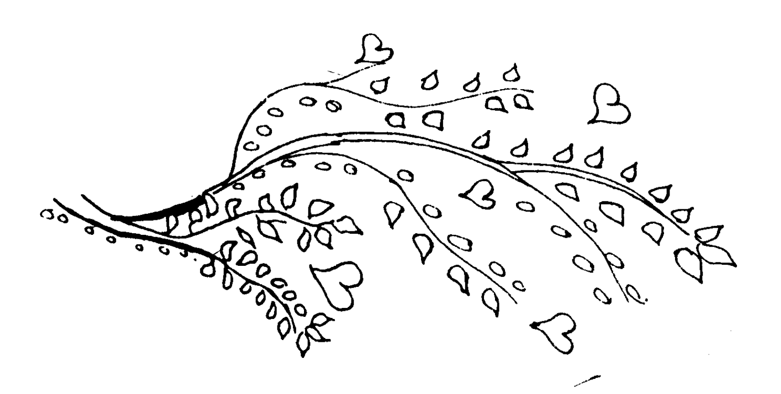
(وقصتنا عرفتها الموائدُ والطرقاتُ .. وهمستُنا الدافئة ..)

ـ أبدا لن تضيعى فعيف عليك
أبداً . .
أبداً لن تضيعى . . !

١٩٧٦ / ٥ / ٣



الخـــروج
إلى النهر



••• مفتتح

فى شوق أتشربُ صوتَكِ
حين يجىءُ من المدنِ النائيةِ . .
يصبُّ الضوءَ . . وينسجُ ثوب الظل . .
يطرحُ عن أَعيُننا . . نحنُ الشعراءَ الغرباءَ . .
سحاباتِ الوهم . .
أَقْدِمُ من غَوْر الأَرضِ . .
ومن سُخْط الصَّفصافِ . .
ومن قَحْطِ الكلماتِ
ومن فَىْءِ الشوق . .
أُلقى دلوىَ فى النهر . .
أَتخيَّرُ بين جنودِ الشّاطىء موضعَ أقدامى

أتسللُ .. أتقدمُ ..
أحملُ قُربانى كلماتٍ ورسائلَ — لم تكمُلْ بعد —
لعلى حين تحاصيرُنى الدهشةُ ..
حين يُطلُّ من الماء الوجه الغائب
أُكملُ ما غابَ من الكلماتِ
وأَكتبُ كلَّ رسائلى المُلتاعَة ..



...قراءة أخرى فى عينيها

ـ سويتُكِ .. ثمراً فى كفىَّ

ـ غنيتكِ ..

رقصاً فوق العُشبِ الساهر

طـرُقاً

نيلاً .. خيراً .. ونخيلاً

لافتةً للغرباء

ـ أرسُم وجهكِ فى خارطتى

عفواً ..

لا أملك غيرَ حروفِ باهتة ..

(لكنى أعرف كلَّ ملامحك العاشقة

وأعرف كل خطاياك الذاهبة

وأعرف قوسَ الحلم المتوقِّد فى عينيْنا)

ـ مازلتُ أمام الأيدى الممتدةِ من أعماق البئر الصدئة
أجتازُ سماء الحب .. على مركبة شمسية ..
أَعِدُ ـ إذا جاءت مركبةُ الأطفال صباحاً ـ
أن أمنحها طفلاً غضًا .. نصنعه من حُلم شمعى
من لوح فرعونى .. نُقش عليه وجهُك
(من موسم صَيف قد يُقبلُ من بسمتكِ المهمومة ..)

. . . .

أسألُ قلبَ الريح
ومَوجَ النيل
ودمعة إيزيسَ
وسنبلة الحقل
أسألُ كلَّ الشهداءِ .. وكلَّ الأحياء

(وأعرف أن الزمنَ المنسحقَ يخبِّىءُ بين عباءته نجميْن
يخبىء كلَّ مواسمِهِ الخيِّرة
وكلَّ حكاياك الخيرةِ ..
يخبىء ما يتوقَّدُ فى العينين)
ـ لكنى أتوقَّف مذعوراً
حين تُحاصِرُنى الخطُواتْ

وحين تحاصرُنى النظراتُ
وحين تحاصرُنى العرباتْ
فتمدين إلىَّ ذراعاً عاشقةً من قلب الحيرة
تحملُ لى سنبلةً خضراء
يسَّاقطُ حولى الشجرُ المحترق ..
وتهوى أسوار حصارى ..
ينشقُّ البحرُ ..
وتنكسرُ الأقداحُ المقلوبةُ فى الشط الآخر

ـ لا تفصحُ عن شىء ـ
(تجرى قهوتُها بحكايات مسمومة)

. . . .

ـ أعرف كم ألقى النيلُ عرائسَه فى شطيْه
وكم سهرتْ فاتنةٌ تحلُم بالعرس ..
وأعرف أن طريقى مسكونٌ بالجنِّيات إلى عينيْك
وأعرف كم يتغربُ بين عروقى صوتى ..
كم يتقلَّبُ محموماً فى صدرِى الليلُ ..
وكم يُثْقِل خطواتى الجمرُ ..

لكنى لن أنسى قصتنا . .
أملك من عينيْك الحلم
يُحيل الصحراءَ حقولاً . .
يجرى فى خطواتِ الزمنَ القادم
يُطلقنى فى شطِ النيلِ نخيلاً وحماماً ومواسم
يطفىءُ كلَّ الأعين :
إلا عينيك الساهرتين
وإلا عينىَّ العاشقتين !

١٤ / ١ / ١٩٧٨

● ●

... أريدك !

برَّأتنى جراحىَ بالأمس
هأنتِ تنطلقين إلىَّ ـ كما أنت ـ
باكيةً آسفة ..

أَتلقَّى البطاقاتِ : هنأنى الأصدقاءُ
وباركنى الأبرياءُ
ـ وقاطعنى الأشقياء

انفلتُّ إليكِ : على ضفةِ النهرِ .. عودتُنا
كيف تأتين باكيةً .. ترقبينَ مجيئىَ ..
(إن البكاء توابيتُ للحلم ..
إنى أُريدُ لعينْيكِ حُلماً نبياً ..)

أُريدكِ .. ذاكرةً للسماء
أُريدكِ .. أمثولةً فى الوفاء
أُريدكِ .. أسطورةً فى الغِناء ..

أُريدكِ .. فى شرفتى الثمرَ الغضَّ

فوق الموائِد .. زادى

بين يدىْ طفلتى .. قلماً .. وعروساً ..

أُريدك .. كلَّ الأَحاديثِ بينى وبين رفاقىَ

كلَّ القصائد ـ يختلُف المنصفون عليها ـ

أَريدك .. كلَّ حكايا المحبِّين .. كلَّ المواعيدِ

شوقَ العرائس فى ضفة النهر ..

إنى أُريدك .. قاتلةً .. لو أَخونُك

كاسرةً .. لو أُبيح عرينك

حارقةً .. لو أَبوح بسرك

إنى أُريدك .. غابتىَ المستباحة لى ..

والعناق الملوَّن بالعُشْب والطير ..

إنى أُريدك .. لى .. برتقالة

أُريدك .. زيتونةً .. ورغيفاً

وطير المواسم ..

إنى أُريدك .. لا كالنساءِ ـ يُقطِّرْنَ أحزانهّن ـ

لا كالصبايا ـ يقطِّعْنَ أَيديَهُن ـ

لا كبناتِ القبيلةِ ـ كنَّ يُزوِّقن أحلامهن

أُريدك . . كاذبةً . . إن كذَبت

ولاهيةً . . إن لهوْت . .

وغافلةً . . إن نسِيت . .

أُريدك . . وجهى الذى كان :

قاسمنى الليلَ

قاسمنى الجُرحَ . .

أثقلنى ــ زمناً ــ بالهزائم

. . علّمنى لغةَ الصمتِ

علّمنى لغه البوْح . .

حاورنِى ــ زمناً ــ فى جنونِ اشتياقى

إنى أُريدك . .خيِّرةً فى العطاء

وطيِّعةً فى الوفاء

وناقمةً فى الإباء . .

أُريدك . . بيتى . . وليلى . . وقصةَ عشقى

والجوعَ ــ إن شئتِ ــ

والسكرَ ــ إن شئت ــ

والموتَ ــ إن شئت ــ

انى أُريدك خيلَ الزمان العتيةَ

نهرى المعاندَ . .

غُربى . .

أُريدك . . لا قمراً فى السماءِ العصية

لا قُبلةً يبصقون بها فى العشية

لا خطوةً مقعدة . .

. . . .

برأتني جراحىَ بالأمس

إنى أُريدُك كالجُرحِ صادقةً

كالطفولةِ . . مورقةً

كوجوهِ الفوارس . . بارقةً

إننى بالعيون ، الدخانِ ، أُريدُك ــ

بالطرقات ، الأمانِ ، أُريدك ــ

لو تجيئين لى غير ما شئتُ

هأنذا لا أُريدُكِ . .

لا . .

لا أُريدك . ! !

••• غـزليـة

– ١ –

حـاملُ الهـوى ، تَعِبُ   يـسـتـخـفُّـه الـطـرَبُ
إن بـكـى يحـقُّ لـه   لـيس مـا بـه لَعِبُ
تـضـحـكـين لاهـيـةً   والُمـحـبُّ يـنـتـحـبُ
كلـمـا انقضى سببٌ   منكِ عاد لى سبب[1]

– ٢ –

يتباعدُ وجهُكِ خلف الأَسلاك الشائكة . . وخلف الجدران
يتعقبنى الحراسُ . . أُساءَلُ عن نظراق . . عن خُطواتى –
ما بعدَ الأَسوار –

لا أَقرأُ شيئاً . . لا أَكتبُ . . لا أَتحدث . .

---

(١) الأبيات لأبى نواس

أنهض مُنكسراً .. أتسمَّعُ .. أتسمعُ .. تلطمُ آذانى
أحذيةُ العسس العمياء ..
تتفجَّر منها أحزانى .. تَذْهَلنى .. تُلقينى دَرْويشاً ـ
فى ليلةِ صمت
أَنْقَعُ بين سرابِ الليل تراتيلى .. أتجَمّدُ فى دمعى ..
أتبخّر .. أتصاعدُ .. أُرعد . أتماطرُ مِلحاً ..
أتمددُ جثثاً جائعةً .. وموائدَ خاليةً .. وحكايا :
(فاتنةٌ خلَف الأحراش
تنتظرُ الهائم ..
كلماتٌ فوق الجدران
من منكم قادم ..
يحمل فى كفّيهِ الحب
والسيفَ الحاكم ..)
يتعقبنى الحراسُ .. أُساءَلُ عن نظراتى .. عن خطواتى :
ـ أذؤبٌ هامتْ بلحمِى .. فــانتهـاشٌ وانتهــاسُ
كلهم يسألُ عن حالى .. ولـلذئـب اعـتـســاسُ
والمحـاذيـرُ سهــامٌ .. والمقــاديـر قيــاسُ[1]

---

(١) الأبيات لابن زيدون .

- ٣ -

أتقاطرُ من بين أصابعِك الملتصقة
أحلاماً سَكْرَى بالحبِّ .. وجُرحاً لا يهدأُ
مدناً مغلقة .. ـ لا تُفتح ـ
تعرفُها الخطوات .. تهزُّ مداخنها .. تعلو نار حرائقها ـ
لكن لا تُفتح ـ

ـ يومي مختلِّف عن أيامِى الأُخرى ـ
تقذفُنى طرقاتُ الصيْدِ إلى عربات القتل ..

أتسمَّعُ أبواقَ الفُرسانِ .. أفِرُّ ..
تطاردُنى الأَبواقُ .. أفِرُّ ..
تلاحقنى العربات
تنهش رئتى .. أتدحرجُ مهزوماً خلفَ العجلات ..
أتشبثُ بالخضرةِ فى الصحراء ..
وجهى .. معصوبُ العينيْنْ .. ويومى مختلِّف مختلفٌ ..
معصوبُ العينيْنْ ..
أتمنى لو يصبحُ تاريخاً .. لو يُنْسىَ ذكرى ..
لكنَّ الأَبواق تطاردُنى .. تلطِمُ آذانَ الأَرض
ويومى مختلِّف .. معصوبُ العينين ...

- ٤ -

أتلوّى فى الضوءِ وفى العتمةِ .. أتدانى .. أتحولُ رقْماً ..
أكتبُ فى قائمةِ البيع .. وفى لائحةِ المحظورات
أحياناً .. أصبحُ حُلْمَ فقير ..
أحياناً . أُمسى ثمنَ المتعةِ - فى مِخدع صيف -
أتجردُ من قشرتىَ اللينةِ .. أصير محاراً .. أَو ظلّاً . أو طيفاً
أُمسى عفرِيتَ سليمان -
عينْ - أجىءُ بمُلْكٍ مرهوبٍ فى غمضَةِ
وأقيمُ صلاةً مُعْجزةً - فى ساحةِ سكر - :
(عندى من كلِّ الألوانِ هدايا
عندى من كل الأحلامِ مرايا ..
ياذاتَ العينين الخاشعتيْن بريقاً .. وبكاء ..
يا حلمَ الرغبةِ فى أوصالى .. يالَوْنَ الغد .
يومى مختلفٌ عن أيامى الأُخرى ..
أحملُ فى كفىَّ بقايا خُبزى وشرابى)

- إن قسا الدهرُ .. فللماءِ من الصخر انبجاسُ
ولئن أمسيتُ مغلولاً . فللغيثِ احتباسُ ..

وعسى أن يسمحَ الدهرُ.. فقد طال الشِّماسُ[1]

أتنبأُ لا أذُناً تسمعُنى .. لا عيناً تبكى لى
أحتكمُ لأمواجِ الليلِ .. وأصداءِ الأحلام :
ــ من يرفُع لى راياتِ العدْل على أكتافه . ؟
ــ من يُخمِد أشواقَ معاويةَ الأُخرى فى كِلْمةِ حق . ؟
يقْصى عن أحداقِ أبى مُوسى طَعناتِ اللَّوْم ..
أتنبأُ .. لا أذناً تسمُعنى .. لا عيناً تبكى لى ..
يومى مختلِف .. مختلف ..
وأنا تَعِبٌ ــ أحملُ مُلكاً مرْهوباً فى غمضةِ عين ــ

* * *

حاملُ الهوى تَعِبُ	يستخفُّهُ الطربُ
إن بكى يحقُّ له	ليس ما به لَعِبُ
تضحكين لاهيةٍ ــ	والمحب ينتحبُ
كلما انقضى سبب	منك عاد لى سببُ[2]

١ / ١٠ / ١٩٧٦

---

(١) الأبيات لابن زيدون .

(٢) الأبيات لأبى نواس .

....من ألواح العصر الحجرى

خاسراً أتبدد . .

(ما كنتِ واحدة من بناتِ القبيلةِ تستقبلين الغريبَ عن الأرض)

ـ من أين جئتَ ؟

وماذا حملتَ ؟

وكيف التفاهمُ ـ لا نعرف اللغةَ الأعجمية ـ ؟

هل تعرفُ اللغةَ القَبلية . ؟

نحن عمالقةُ الأرض . .

كن دميةً . . للصغار . !

. . . .

ـ كيف أسأل عنكِ . . وما أعرف اسمَكِ . . ما عدتُ أعرف عنك الكثيرَ . . وما عدتُ أعرفُ أرضَكِ . . ما عدتُ أعرفُ لونَك . . حتى حَلَمْتُ بوجهك . .

أسرعتُ أرْوى .. وأرْوِى .. أفسِّرُ حلمىَ . !
قاطعنى سيدُ البحر .. ألقيتُ بين يديه العرائسَ
قيّدنى سيدُ البحر .. قطَّرتُ بين يديه دمائى ..
أطلقنى سيدُ البحر :

ـ لا تأْت وحدك فى الغد ..
أنت حلمْتَ ببنتِ القبيلة ..
خذْ ما تشاءُ لترحلَ .. خذ ما تشاءُ ولا تأْتِ وحدكَ
فى الغدِ .. إنى وراءَكَ ـ إن بعينىَّ صقريْن ـ

ـ ما عدت أذكُرُ ياسيد البحر غيرَ ملامح باهتة
(عاد يغمِسُنى سيدُ البحرِ فى لهبِ السُّكرِ .. ضاعت
تفاصيلُ حلمىَ) ..
ضاعت خرائطُ عشبكِ ..
مزَّقتِ الريحُ ألواحىَ الورقية ـ
كنتُ فى صغرى أتحاشى التصاويرَ .. كان معلِّمُنا
المتنمرُ ينهرنى يُسقطُ الحُلْمَ محترقاً فى رمادِ الهزيمِةِ ..
أبكى .. تضيعُ
تفاصيلُ حُلمى الصغيرةُ
قاطعنى سيدُ البحرِ .. قيدنى ـ يافعاً كنتُ ـ

(من شبَّ والخَوفُ ينهشُه .. ينسَ حلمَ الطفولة)
قـاطعنى سيدُ البحـر .. طالبنى بـالرحيـلِ ..
وبالمستحيلِ .. توعَّدنى ..
ــ أنت بنتُ القبيلة ..
لا أعرفُ اللغةَ القبليةَ !
لكننى أعرفُ اللغةَ القدَرِية ..
كنت أقرأ ــ والصَّحراءُ وكلُّ السواحل ــ أسفارَكَ
الحجرية .
ــ (غداً سيجىء غريب ...)
ــ ألم تقرئى لغةَ الرملِ ــ من قبلُ ــ والماءِ والغرباء
ألم تعرفى اللغةَ القدرية ؟ !
(كنت أرسُم ــ يُمسك ريشتىَ الصخرُ ــ يكتب ألواحَ
عشقىَ .. حامت صقورُ الكهوفِ العتيقةُ فوقىَ ..
تقرأ ما يكتبُ الصخرُ عنك ..)
ألم تسمعى الريحَ : كيف الصقورُ تناحرتِ الأمس ..
كيف تَظَلُّ المعاركُ من أجل عينيكِ دَهراً ..
ــ كم تمرُّ المواكبُ فى ساحةِ القتل :
كوكبةٌ من فراعنةِ النهر ..

آلهةٌ من بروج المجوس
مواكبُ عُرس تطوفُ على ضفة الحزن !
كم حملَ العشبُ مُدْيَتَهُ .. شقَّ وجه الرمال إليك !
ألم تقرئى لغةَ العشب .. تَنْقُشُ ألواحكِ الحجرية ..
جئتُ ينتصُب الحرفُ فى شفتى : أذرعاً تلطُم الرمل ..
تنتبهُ الأرضُ .. تُحْدِثُ زلزلةً فى خيامِ القبيلة ..
وحدَكِ تَنْجِين .. وحدَكِ تحملُكِ الريحُ .. وحدك
تُقرئك الريحُ منى السلام
جئتُ : ما كنتِ واحدةً من بنات القبيلة ــ تستقبلين
الغريب عن الأرض ..

ــ أين تغيبين . ؟
ماذا لو انتصبَ الحرفُ فى شفتىَّ .. ولم تأت ــ تحملك
الريحُ ــ تنجين ..
وبالمستحيلِ .. توعَّدنى ..
ماذا .. وفى الغدِ يقتلُنى سيدُ البحرِ .. يأكُلُنى البحر
= عدتُ وحيداً !
ــ وبنتُ القبيلة .. ؟
= ضاعتْ مع الريح .
ما كنت أعرفها . !

ـ كيف تنسى ملامحَ حلمك . ؟

= ضاعت تفاصيلُ حلمي كالريح . !

ما عدت أذكرها . .

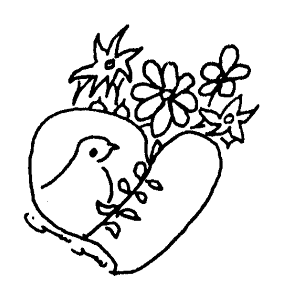
أجهل اللغة القبلية . !

ويــلاه . .

لم تعرف اللغةَ القدريةَ

بنتُ القبيلة . ! ــ

٢٨ / ٩ / ١٩٧٧



...أنشودة فى معبد الشمس

(إلى أختانون)

أحُوم حول بقعةِ الضوءِ على الجدار

فراشةٌ .. تحملُ فى جناحها الموتَ .. وسرُّ البعث ..

تشكو إلى أليفها ـ الحبُّ ـ تغوصُ فى جزائرِ الشمسِ إلى

مدائن المقامرة ..

ـ عاجلنى المحمومُ بالمِذَبَّة

لكننى دفعتُ رأسى .. وسبحتُ فى بحيرة المحبة ..

غسلتُ فيها مقتلى .. أخرجتُ نطفتى .. أمطرتُها ..

وصلتُ

حبلَ الود .. كان فى الليلِ طرياً .. فى الصباحِ ..

قلتُ للبحيـرةِ اسبحى إلىَّ ..

جـاءت البحيـرةُ ـ الدماءُ ـ ...

جاءت البحيرةُ ـ الرياحَ ـ جاءت ـ العناق ـ

جاءت ـ الجبالُ ـ .. طال حبلُ الوُدِ ألفَ عام ..
الحب موتٌ ـ قالت الشمس قديماً ـ
فَلْأمُتْ لألفِ عام ...

(من لم يَجُدْ بالحبِ .. لن يجود
ومن يمتْ بالحبِ .. لن يموت . !)
دفعت رأسى فى بحيرةِ المحبة ..
أستخرجُ اللؤلؤ والمَرجان ..
أبعثُ روحَ المُثقلِ ـ الإنسان ـ
أرقبُ من خلالِها الشمسَ ـ تمدُّ لى ذراعاً ـ
فأرتمى على فراشِها ـ أميرة ـ
(تعبث فى شعرِى الأصابعُ ـ الضياءُ ـ أحلُم الليلَ
بذلك الأميرِ مُقبلاً على جَوَادِه ..
يسوقُ من أمَامه قوافلَ السحرِ .. ومَعْبداً ..
ومملكة . !)
.. هأنذا أصبحُ فى طرفةِ عين ملِكَة . ! ـ

ـ تعبثُ فى شعرى الأصابعُ الضياء ـ
نهايةُ العالم فى رأسى .. وصولجانُ الأرضِ والفضاء ..

ومرْكَبُ الشمسِ .. ووردُ النيل . والروحُ التى تُبعثُ
بعد الموت فى الصحراء . ـ
تُقبلُ من كهوفها آلهةُ النار .. تحوم فى الخفاءِ حولَ
عُشْبىَ الطرى ..
أرقبها من قُبة الملاحظة ..
أَوقِعُها فى الأَسرِ .. تُلقى فى بلاطِىَ القوسَ .. وتذبحُ
الثيرانَ فى بوابتى الشرقية ..
تمدُّ للنِسوةِ والأَطفالِ فى مدينتى .. ولائماً ..
تقيمُ لى الأَعيادَ ..
تجمعُ الأصدافَ لى من شاطىءِ الرمال والتّمائماً ..
(قِفُوا هنا ـ صفّاً ـ سأُعطى كل من يجىءَ لى تميمة
تَقِيهِ حرَّ الصيف .. بَرْدَ الشتاء
تَدُلُه على مدائِن الضياء ..)
أيها المعذَّبونَ فى معابدِ الشرقِ .. وفى قيودِها
لا الشمسُ تبغى ذلك التَبتُّلَ المهانَ .. لا القمر ..
ـ كفُّوا عن انتظارِ أن ينهدِمَ الجدارُ من زِلزال ..
ـ أو أن تعودَ الشمسُ فى صواعق المطر ..
ـ كفُّوا عن احتمالِ ذلك الضجر ..

وعن توعُّدِ الليلِ الشقيّ .. عن إعادة النظر
(فالأمر لا يحتملُ التأويلَ .. أو إعادة النظر)

. . . .

تغوصُ في رأسي الأصابعُ العجفاء
أشرِعُ سيفاً قاتلاً .. (يفرقُ الأعداء)
فلْتكُن البحيرةُ .. الدماء
لِتَكُن البحيرة الدماء ..

١٥ / ٥ / ١٩٧٧

● ●

●●● أحزان موسى فى العالم الآخر

أسقيها .. تتفتّحُ .. حين أُحاورُها

حَدَّقُوا فى ردائى .. فى خُطوتِى .. فى عصاى ..
حدّقوا فى كتاب التعاليم ..
حين أتيتُ إليكم ـ أعيدُ السلامةَ أستقدمُ الحُبَّ ..
أستقدمُ الوجه من ليلهِ السرمدى ..

ـ لم أجِىء من زمانٍ غريب . !
ها أنا قد تقاذفنى اليمُ طفلاً ..
أغارت علىَّ السماءُ حريقاً ..
تمرغ وجهىَ فى الرملِ حيناً .. ترفق بى الموتُ حيناً ..
أحمل الآن شارةَ زهوى .. وشارةَ موتِى .. سعيتُ إليكم
وليس معى غير :
(تلك عصاى)

عليها توكأْتُ .. تلك عصاى (أَهشُّ على غنمى)
تلك أسفارىَ الحُبُ .. تلك الوصايا ..

فما بالكم تنكرون . !

ــ وحين دعاً السامرئُ . .

ــ سعيتُم إليه تنادونَ . . تستبقـونَ . . وتنقسمون شظَايا . . طرائِقَ . .
رحتم تكيدون لى . . وتعيدُون وجهَ الكآبةِ . . تنسوْن حُلمَ العصافير . . تنسوْن حُلمَ الأميرةِ فى آخر الليل ــ

ــ كنتم تجيئُون . . كنتم تروحون . .
(أنظرُ بين وجوهكمُ السامرئُ . . وتحت ثيابِكُمُ السامرئُ . . بأوراقِكم ومجالِسكُم . أنظر السامرى . .)

ــ رأيت المناقيرَ تنبُش صمتَ القبور . .
وتُحدثُ ضوضاءَ فى الليلِ . .

تحدث ضوضاءَ ــ فى زمن الخِصْبِ ــ تحدث ضوضاءَ ــ فى زمنِ الجدْب ــ . .
(أيُّ السنابلِ تنمو على جُثث الأمسِ . . أى الزهورِ تميلُ مع الشمس يحُملها عاشقٌ فى الصباحِ الندئٌ بطاقةَ حِب لصدرِ الأميرةِ) .
حين سعيتُم إليه . . رأيتُ المسابحَ حول العمائم ــ

صلصلةً ــ والدعاة على جبل الزيف ــ جلجلةً ــ
والحبالَ . . العصىُّ ثعابينَ جامدةَ الوجهِ وحشيةَ الناب . !

ــ قال حديثاً رفيقاً ندياً (نسيتم أحاديثىَ الألف) مِلْتُم
رءوساً وأوسمةً . . وقلوباً . .
شربتم كئوسَ الكِهانةِ . (رحتم أقمتم طقوسَ
الكِهانة . . جئتم . . رسمتم غدا للكِهانة . . (يالزمان
الكِهانةِ . . مِتُّ طويلاً . . فكيف بهم أرجعوكَ . . وكيف
بهم آنسُوك وكيف بهم نصَّبُوك . .) . . وماذا أجيبُ :
ــ وطفلتىَ الغضةُ العود . . تسأل عن غَدِها المُتَفَرِّدِ ــ

ــ كلُّ مساء . . وبعدَ حكايةِ كلُّ مساء عن الفيلِ . .
والذئب . . والقطِ . . واللص . .
بعد أناشيدِها : ذهبَ الليلُ . . والجهلُ . . والذلُ . .
كلُّ مساءٍ تسائلُنى طفلتى عن بطاقةِ حُلْم جديد . .
وأضحكُ ــ حين أراوغُها ــ وأُضاحكُها . . وأضم أناملَها
فى يدىَّ . . أَعُدُّ عليها الأكاذيبَ
(والليل مأْوَى الأكاذيب) .

ــ ماذا لو احتدَم الحُلمُ فى قلب طفلتىَ الغضة العودِ . .
ماذا أجيبُ وأمىَ تحكى لىَ الأمس . .

كيف بداخلها قد تقلبتُ سُقماً . . وكيف أتيتُ صَبُوحاً . .
وكيف تلمَّسَنى الموتُ كيف تشمَّمَ صوتِىَ خلفَ الجدارِ
وكيف تَسَمَّعَ تمتمةً فى عيونى المنيعةِ . . كيف نبذَتُ
المراضعَ ــ من قبلُ ــ كيف أرحتُ شفاهِىَ فى صدرِها
المتوقِّدِ كيف تفردَتِ الأرضُ بالحب والقدسِ . .
كيف معاً . .
قد بسطنا الحقولَ : مواسمَ . . كلُّ الأكف النظيفةِ :
زهراً . . وفُلًّا وأُرزاً . . وضوءاً . . وأرغفةً . . نتعانقُ . .
(نحملُ بعدَ صلاةِ العشاءِ إلى البيتِ رزقاً حلالاً . .
وفاكهةً . . وسلاماً وحلُماً . . وحُلميْن . .)

ــ حين أَتيتُم . . رأَيتُ القداسةَ بيعت بسوقِ الغنائم . .
والحبَّ مثلَ الحذاءِ الممزقِ ليس يعيدُ له الرتقُ وجهَ
النضارةِ . حين أَتيتم . . تقلَّصَتِ الأرضُ من
طَرَفَيْها . . رأَيتُ اللصوصَ على طُرق الليل . .
يقتسمُون . ويختصمُون . . ويقتتلونَ . . رأَيتُ المرابين
تحت القبابِ الحصينةِ يأْتمرون . يقامرُ أكبُرهم أن يفوزَ
برأْسِىَ ينزِعُ منه نُخَاعَ النضارةِ . . يأْتمرون . . يقامرُ من
عنده السحرُ أن يُسرِعَ الخطْوَ خلفِىَ . . يقبِضُ من أثرى

قبضةً . . يقرأُ الكلماتِ على جسدى الرطب ــ أُصبح
عُزَّى . . مناةَ ــ يقامرُ من عنده العلمُ أن يصِلَ العظْمَ
بالعظم . . ينفخُ فيه . . يمدُّ على الرمل مجرى الدماءِ
المعطر :

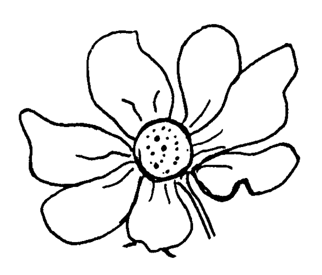
ــ من يرتوى اليوم فى الصحراءِ نبيذاً ؟ .
ومن يرتدى السامرىَّ : قناعاً . . رداءً . . تعاليمَ ؟
إنى بكيتُكَ ياجبلَ الحُب . . تَسْقُط فى الرمل ذُعراً ــ وأُمى
فى شاطىء الانتظار ــ تُلقِّننى أمس أغلى الوصايا :

(اذا رحتَ تصعدُ فى الغدِ ، ذَكِّر فؤادَك بى إن عينىَّ
أغشاهُما الليل . .
لا شىء يُجدى بعينىَّ ياولدى غيرُ ذكرِك لى !)
كيف ياجبلَ الحب أصعدُ . . أصعدُ . . كيف أعودُ لأمى
فى آخرِ اليوم ، كيف . . أحطُّ الوصايا بأية أرض لتثمر ــ
أين ؟ أعيدُ المواقيتَ للحقل . . تصحو العيون صباحاً
لرزقَ جديد . . وأثمارِ حلمٍ جديد . . وسنبلةٍ تتمطَّى
سنابل . . كيف . ؟

ــ أيا جبلَ الحبِ ، إنى الكليمُ ، أناديك أنثُرُ فى
مسمعيْك الوصايا وهم ينكرون . .

وأُمىَ ـ منذ غدا السامرىُّ قناعاً . . ثياباً . . تعاليمَ ـ
أمى تموتُ . . تموت . !
حدَّقوا فى ردائىَ حيناً ـ
وحيناً أقامُوا على بابِها العنكبوت . !
أنكروا كل شىء . .
أنكروا كل شىء !

٢٦ / ١٢ / ١٩٧٦



أَسكنُ عينيكِ .. فلا تنْهزِمى فى عينىَّ
أَسكنُ عينيكِ .. فقولى للخوفِ : وَدَاعاً
موعدُنا خلفَ التلِ المبتل ..
هذا وجهُك يهمسُ فى طرقاتى
يخلعُ أثواب الفَقْدِ .. يلَمْلِمُنى
يذبحُ عنقاءَ الظُلمةِ .. ويطهِّرُنى ..
يتقدمُ من بين ملوكِ النهرِ .. ويغسلُنى
يتجوَّلُ وسطَ . سمائى ــ صقراً ــ يحملنى
هذا وجهُك دهبىُّ البسمةِ
موعدُنا خلفَ التلِ المبتل ..
وموعدُنا العشبُ الأخضرُ .. والحبُ ..
يأتينى قلبُك يقْضى طرفِ الليلِ .. يحدِّثُنى
يذهبُ قلبُك عنى .. أَتذكَّرُ كل وعودِك

تنمو .. شفتيّ
سؤالاً .. وجواباً .. وقصائد ..
يأتيني فتلك أرحلُ معه ..
أصبحُ قديساً فى ملكوت الحُلم
ونرحلُ فى النهر ..
ويسألُ عنى النهرُ ..
تجيبينَ .. ويقْبَلُنى النهر
وتتمنينْ .. يباركُنى النهر ..
بتنامى فى ذاكرتى أشجاراً وجداول وشموساً
أرحلُ ويفاجئُنى النهر : إلى أين ذهبت ..

أجيبُ النهر :

إلى وجهٍ منطرحٍ — من زمنٍ — فوق رمالِ الخوف
إلى ضحكٍ فى الغرف المغلقة الآمنة ..
وأسلاكٍ شائكة تنغرسُ بعينيّ
إلى أثوابِ الفاقة والألم ..
وأصواتِ الباعةِ تقتسمُ جماجِمنا المكدودة

أحلم أن تتبدلَ كلُّ الأَشياء

إذ تُضحكنى عيناك ــ بلا دمعٍ ــ
تنسينْ حرائقَ وجهِك حين انتُهكت جدرانُك
أحلُم بالبرقِ الخاطف فى الأَعياد
وبالألوانِ الطيفيَّةِ كلَّ صباح ..
أحلمُ حين يعودُ الطير المتَنَقِّلُ فى أشجارِ العالم
(يبحثُ عن كسرةِ خبزٍ ودنانير)

. . . .

أَسكن عينيك .. فلا تنهزمى فى عيْنىَّ
لُمِّى أَشلائِى من طرقاتِ الخوف
رُشِّى ماءً من نهرك ..
يتخلقُ جسدى ..
تنمو أَحلامى ..
كلماتٍ .. وصحائف ..
تنمو .. أَبنيةً للفرح ..
وساحاتٍ من عمل ..
وعناقاً ..

. . . .

إنى بددتُ العمرَ على أَبوابك
فازدهرى فى تربةِ عمرى . .
وامتدِّى . .
لا تنهزمىِ فى عينىَّ ! . .

١٩ / ١٠ / ١٩٧٨

● ●

•••الفارس
الغائب فى ساحة المجادلة

أَراكِ ترقبين من قبتِكِ الخضراء
ماذا أتت به القبائلُ البعيدة . .
أراك تشْهدين . .
تَسَابُقَ الفُرسانِ . . والقصائدِ الجديدة
وجئتُ فى قبيلتى . .
أَحملُ صمْتى وغبارى . . وانكسارَ قَامتى
تسوقنى الرياحُ . . تحتمى خطاى بالكهوفِ ــ ساعةً ــ
وساعةً . . يقصِفُها الطريق . .
(لأن شيئاً ما بداخلى يضجُّ كالحريق
يَودُّ لو أكونُ أولَ الذين
تُظِلُّهم قبتُك الخضراء
وتمنحين ساعِدِى اللواء . .)
. . . .

من قبلُ .. ألقيتُ سلاحِى ـ جانباً ـ وجئتُ عارياً
بين يدىِ صحيفتى البيضاء ..
لكننى دُعيتُ للمبارزة ..
فمزّقوا صحيفتى البيضاءَ ..
أطْفَأوا البريقَ فى عينىَّ .. والأشواق
(لم يُجْدِ حُلمىَ القديمُ فى توسُّلِى ..
ولم أجِدْ صحيفتى سلاحاً
أسْتَلُّهُ فى ساحة الدِّماء . !

ـ قلتُ إذا أتيتُ عامِىَ القادم تلكَ السوق

ـ أعصرُ الحنَّاء فى يدىَّ
أرسمُ الوشْم على ذراعىَّ
وأطلقُ اللحيةَ (شيخاً فانياً لا شأْنَ لى بساحةِ المبارزة)
لكنهم تحسَّسُوا الشقوقَ فى يدىّ
فأدركُوا ما يختفى بين خطوطِ القلبِ والحياة

ـ قلتِ بنفسى : ما الذى يمنحُنى السلامة
وكلُّ ما فى جسدى من الجراح ..
لم يُجْدِ فى القُرْب .. وفى الشفاعة

وكلُّ ما ثارَ بصدرى .. أنتِ ــ ألفَ مرة ــ
أوقدتِ شعلته ..
وكلُ خطوةٍ ــ أَسوقُها إليك ــ تعرفين ما بها من الظَّمأ
وتعرفين ما بها من الحريق والدماء
وما بها من الضياء ..

ــ قلت بنفسى ما الذى يمنحُنى السَّلامة
وما الذى أملِك أن أثِيرَهُ لديك ..

كى تذكُرينى غائباً عن موعده ــ
وأننى مارستُ كلَّ حيلةٍ قديمة
لكى أُبينَ كلَّ ما يدورُ فى الخفاء
وأن كلَّ من يجىء بالصكوك والهدايا
يذهب عنك ساخراً مراوغاً ..
(يُخرجُ لى لسانَه .. إذ يعبرُ الأسوار !)
. . . .

يعزُّ ياسيدتى علىَّ ــ أن تقودكِ الأوهام
فتحسَبِين كلَّ قادم إليك يحملُ الوفاء
إذ يطلبُ اللقاءَ .. والحوار ..
ويتركُ الساحة توشكُ أن تنهار

ـ يعزُّ ياسيدتى ـ علىَّ ـ أن تظلَّ ساحةُ المجادلة
تُحْرِقُنا إذ نقترب . .
(ولا تشمِّينَ جلودَنا المحترقة
أو تسمعين الصرخاتِ المرهَقَة
أو تسألين عن لقائِنا القديم)
ـ لكننى سيدتى أحملُ ـ لا أزال ـ
صمتِى وغبارِى . . وانكسارَ قامتى
(تسوقُنى الرياحُ . . تحتمى خطاىَ بالكهوفِ ـ ساعةً ـ
ـ وساعةً يقصفُها الطريق . .)
لعلَّ صرختى المعاندة . .
تخترقُ الأسوارَ والحصُون
وتنهضين من فِراشِك الوثير تسألين تسألين . .
وتذكرينَ . . تذكرين
وتدركينَ . . ما يَخْفَى وما يُبين
وتعرفينَ أن سَاحةَ المجادلة . .
تضيقُ بالمراوغين . !

٢٨ / ٨ / ١٩٧٨

•••مقتل صعلوك

وسائلةٍ أين الرحيل وسائل
وهل يُسأل الصعلوك أين مذاهبه
«عروة بن الورد»

لا مفرَّ . .
انتظارىَ طال . . الشتاءُ يلفُّ المعاطفَ . . ينقُرُ صمت الرءوس .
لا مفرَّ . . صديقىَ من ألفِ عام يزاحمُنى خُطواتى . .
يقاسمنى الليلَ والشعرَ والأوسمة . .
ويظل يسامرنى . . ويغيبُ . . يقاتلُ . . يسلُبُ . .
تختلطُ الكلماتُ لديه وتختلطُ الأزمنة :
(— أين أين من الليلِ عيناىَ . . أين شرابىَ . . أين الإناءُ المحلىُّ بدمعِ الفَراشات . . أين حوارُ النخيلِ — بعيداً عن الأعينِ الجاحدات . ؟
تلك أحلامُنا قُبِّراتٌ على سَعَفِ النخلِ . . تلك قصائدُنا همهماتٌ مع الموج . .

تلك الدروبُ امحَتْ من مرايَا التّذكُّرِ . .
(كانت خرائطُنا الأنجمَ الذهبية ــ كنا نعلّقُ فوق السيوفِ
الجماجمَ والقبعاتِ . . وأوسمةَ الليل ــ أىُّ الثياب
تريدُون . . أىُّ الحِسَان ! ؟)
كنت أدعوهُ كلِّ مساءٍ . .
وكنت ألقّنه كلماتٍ تُحَصِّنُه فى الليالى الصقيعةِ .
حين تلصَّصْتُ يوماً عليه :
(توهَّم ــ بالأمس ــ أنى يطولُ رحيلىَ عنه وعنْها . .
وكنا حَفِظْنا المواعيدَ فى الليل . . كنا قَسَمْنا
المواعيد . . .) . . .
حين تلصَّصْتُ . .
أمسى يُسَابقنى ــ ينقُرُ البابَ مثلىَ . . .

ــ كان تَخَفَّى بثوبِى بصوتىَ :
(همَّت إليه وبين أنامِلِها شمعتى . .)
ــ تقدَّمْ حبيبىَ . .
كأساً . .
كئوساً . .
غياباً عن الوغْىِ . .
حُلماً . . . . . .

(أفاقتْ عليه .. على عطْرِه الوثنيِّ .. تأرْجَح فى مقلتَيْها الجدارُ تشقَّقَ يَنْشَقُّ عن صمتها ـ السكرُ ـ وجهى الذى غابَ أمس ..)

طريحاً أفاقَ .. تأرْجَح فيه اشتهاءُ المحاربِ للطرقاتِ ..
المواخير ـ للقتل ..

ـ كان يزاحمُنى خطواتى .. يقاسِمُنى الليلَ .. والشعرَ ..
كيف يقاسمُنى نَقْرةَ الباب .. ! ؟

كيف يقاسمُنى الليلَ ـ كأساً ..
غياباً عن الوعى .. حُلماً !
.. سأقتلُكَ الآن
معذرة ..
لا مفَر . !

٢٦ / ١١ / ١٩٧٦

● ●

...بيدها .. لا بيد عمرو !

ـ حُمِلَ الحبُ على مركَبةِ الآلهة زماناً ..
وزماناً .. خُبِّيء بين جِدار
(خشيةَ أن يُذبَحَ فى ساحةِ فِرعون)

ـ حين انطلقَ النهرُ إلى بابى
جاءُوا من أطرافِ مدينتِنَا ـ فى طلب الماء ـ
حملُوا فى أيديهم .. أيدِيَهُم .. حملُوا أدمغةً جوفاءَ ..
وآذاناً جوفاءَ .. وأفواها ..
حملُوا كلَّ أوانيهم ـ فى طلبِ الماءِ ـ
ورأيتكِ جئتِ .. بغير إناء ..

ـ أحلامُنا كالريحْ
تهُب إعصاراً

والحبُ طيرٌ ذبيحْ
من يُخمدُ النارا
من لى بوجهٍ مليح
يضىءُ أقماراً ..

. . . .

ـ وجهُكِ عادَ .. صمْتُه الثلجىُ أَسقَطَ ابتسامتى ..
حملتُه مدينةٌ منسيةٌ باقةَ عِطْر جفَّ ماؤُها ..
وجهُكِ عاد .. كم ظللتُ فى ترقُّبى .. مُسافراً ..
مسافراً ..
ظللتُ حاملاً إليه حلمَهُ القديمَ .. عابراً إليه زمنَ
البكاءِ والسقوطِ والندامة ..
أدورُ فى الفراغ دورةً .. فدورتين ..
ثم أعاودُ السفر ..
أَحذَرُ نظرتى إلى الوراءِ ـ إذ يضيعُ من يدىَّ كلُ شىء ـ
وجهُكِ عاد الليلَ .. والخسوفَ .. والهوامشَ التى
نسِيتُ .. والتى طَوَيْتُ .. والتى انتظرتُ ألفَ عام
فكيف لى ـ إذا اجتررتُ ـ أَستعيدُ الوجهَ .
كيف أَستعيدُ العُرْسَ فى عينيكِ .. والعناق ..

الصوت الآخر :

(خطْبٌ يسيرٌ .. بين خطبٍ كبيرْ)
لا تأمنِ النشْوةَ فى التدبيرْ ..
أنا قصيرٌ .. ثاقبٌ رأيهُ ..
دعنى لها .. فالأمرُ عندى يسيرْ

. . . .

(وكان عمرُو بن عدىٌّ قد حزَم أمرهَ على الثأرِ من الزباء .. وأعدَّ عدته أن يكسر شوكتها) .... (1)

. . . .

ـ ويأْتى القضاةُ .. ويأْتى الرواةُ .. وأسمعُ .. أسمعُ
يختلفون ويختلفوُنَ .. أَفُضُّ المجالسَ ـ فى آخرِ الليل ـ
لا رأى يَشْفِى لديكُم .. ولا شعرَ .. لاقافية ..
من الآن والأمرُ عندى كبير ..
خدعتُكَ يا أنَفَ هذا الزمانِ .. حملتُك فى غِمْدِ سيفِى
التمائمَ والأحجبة ..

---

(1) فقرة نثرية مقصودة فى سياق دراما القصيدة ..

أقارعُ باسمِكَ . . أطلبُ فى ليلِكَ المستحيلَ . .
أطالبُ بالنجمْ يهوى إلىَّ . .
أطالبُ بالحُلمِ يُقبل ذعراً . . أطالبُ بالثأرِ من كلِ ما حمَلتْهُ البطونُ . .

أقارعُ باسمِكَ كلَّ الصقورِ . . وكلَّ النياشينِ . . كلَّ النبواءاتِ . . كلَّ النساء . .

أقامرُ باسمِكَ . . بالحبِ (إنى عشقتُ الرحيلَ مع الليلِ . . إنى عشقتُ شِواءَ العظامِ مع الليلِ ــ خلْفَ خيامِ القوافل ــ إنى عشقتُ القبورَ تُقَلِّبُها الريحُ إنى عشقتُ الغدَ . . الصحْوَ . . والطرقَ المبهمة)

ــ أسـرعْ بنـا يـا ليـلْ .
فـالثأرُ قـد حـانَـا . .
وغنِّ لى . . يـا رفيقْ
أحـلامِـى الآنَـا
غـداً تـرى عينـاكْ
للمـوتِ ألـوانَـاً . .

. . . .

وقفة خاصة ببابها :

(وكنت حائراً من أمرى يغالبنى الشوقُ إليها .. وتفتكُ بى رغبتى فى الثأر)[1]

. . . .

(إن تلكَ المسالكَ مبهمةٌ .. والمسافاتِ معتمةٌ .. والسماءَ .. طقوسٌ .. وليلٌ .. ووحىٌ .. وأبوابَها المستحمةَ فى مقلةِ الجزْر موصدةٌ ..

والحكايا تسافرُ فى كل رأس .. وبين عناق المحبينَ تنبُتُ سوسنةٌ .. والطفولةَ – فى لُعبة الموتِ – وادعةٌ .. والفَراشاتِ .. حالمةٌ .

كيف لى أن أُقاتلَ هذا النعاسَ الملوَّنَ بالحزْن .

كيف يطاوعنى السيف .. كيف أفرِّقُ فوق شفاهِ الصبايا حكايَا الغد المتمهِّل . كيف أفرِّقُ بين حبيبين .. كيف أجىءُ مع الليل .. أذبحُ طيرَ الأمان أغلِّقُ عينينْ كُحِّلتَا بالوادعةِ .. كيف . ؟)

---

(١) فقرة نثرية مقصودة فى سياق دراما القصيدة ..

الصوت الآخر :

(ما للجِمالِ مشْيُهاً وئيداً
تحملُ عيداً .. أم تُرَىَ .. وَعِيداً
أَم أَن فى أَحشائِها جديداً)

مشهد الختام :

ـ كانت القافلة ..

قد أَحالت مسالِكَها قصةً . والقبابَ توابيتَ .. والتساحةَ المستحمةَ فى الحُلم .. حُزْناً ..

ـ كانت القافلة ..
خبراً فى شِفاهِ الثَّكالى ـ تُفَضُّ المجالسُ
يمكثُ خلفَ الرءوسِ ـ يؤوَّلُ فى الغد .. يُرْوَى ..

ـ حين أَسريتُ ـ وحدىَ ـ أَبحثُ عنها .. تأوَّهَ بى صدرُها الوثنىُّ .. تصاعدَ لى عطرُها أُفعوانا .. أَحاطَ برأسى .. بسيفىَ .. أَسقطنى فى وحولِ الهزيمة ..
(جئتُ أُقاتلُها .. فانكسرتُ بغير قتال) ..

ـ إن (عَمْراً) بغيرِ قتالٍ .. يجيئُكِ .. يُلقى سلاحه :
إننى جئتُ منهزِما بسلاحى ..
إننى جئتُ منكسراً .
فانهضى قد نحب ..
انهضى قد نحب ـ !

٢ /١٢/ ١٩٧٦



... حكاية من ألف ليلة

(قال العفريت للصياد :

ـ أبشرْ يا صديقى ، مادمتَ أخرجتَنى من قمقمى .. فتمنَّ أى موتة تمونُها .)

ـ من حكاية الصياد والعفريت ـ

أُقاتلُه الآن ..
أَم أَن عصرَ التقاتُلِ ما عاد شِرْعتَنَا المستباحَة
أَسالمُهُ الآن ..
أَم أَن وجهَ التَّسالُمِ مازالَ يبكى جراحَه ..
التوجُّسُ شيمتُنا ..
بيدى الآن يصعَدُ فوقَ الرِّمال غبارُك
لكنك الآن تُخفى سنانَكَ فى الغِمد

أَخبرَك المترفُون بأَنِّ حين أَمدُّ إليكَ ذراعِى الجريحَةَ
أُلقى إَليكَ بثوبى ـ حلالاً ـ
وأَمْسى .. وطفلتِىَ الغضةِ العود . !

أَخبركَ المترفُون بأَنى أُعِيرُك زادِىَ ـ لو شئتَ ـ
أَنى أَبيعُكَ وجهىَ ـ لو شئتَ ـ
قد نَسِىَ السَّاهِرُون لديكَ بأَنى أُشِيحُ بوجهِىَ حيناً
لتَبْعُد عن طُرقاتى العواصفُ . .
ثم تعودُ ذراعِى الجريحةُ . . تسأَلنى . .
وتذكُرُنى . . وتباعدُ بينى وبينَكَ
تطرحُنى بين نخلِ الجفاف
وبين صُراخ الضِّفَاف . .
وبين رُفَات الرفاق . .
وبين المرايا التى تتبدَّى الملامحُ فيها
اتقاداً وشوقاً إلى أُغنياتِ الشبَع . .

. . . .

ـ قال لى . . بعد أَن صارَ ممتَشقاً للسَّماءِ :
تخيَّرْ من الآن موتَكَ
(بالسَّيفِ . . بالسُّمِ . . بالجوعِ . . بالعُرْى . .)
قلتُ : حُلْمُكَ أَن تخرجَ الآن من محبَسِ الموت
أَم تشهدُ الآن موتى . ! ؟

دعْنى أَقُصُّ عليكَ الطرائفَ
ـ تُذهبُ عنكَ الهواجس ـ
(قاطعنى الماردُ . .)
ـ الآن تختارُ موتَك
قلت : أقصُّ عليكَ الحكايات . .
قال : الحكاياتُ . . موتُكَ
أَسْمَعُ ألف حكاية . . !
قلت : ألفاً وألفين ـ إن شئتَ ـ
قال : الحكاياتُ موتُكَ
أين تفرُّ . .
انتظرْ ـ بعد أن تَفرُغَ ـ الموت . . !
. . . .
ـ يعلمُ الآن أنى أَفرُّ إليه
وأنى أراقبُ عينيه
كيف أُعيدُ الغبار إلى قُمْقُمْ الموتِ
أُغْلِقُه . . وأعودُ . . ؟ !

٢١ / ١١ / ١٩٧٩

...الليلة الثانية بعد الألف

مللتُ شهرزاد
تقيمُ لى فى كلِّ ليلةٍ مدينة
جدرانُها الياقوتُ والمرْجان
أبوابُها فُرسان . .
تمدُّ لى ولائماً ـ طعامُها الوحوشُ والحيتان ـ
تُلبِسنى الدروعَ والخوْذاتِ والخواتمَ المسحورة . .
(مللتُ تلك القَصصَ المريرة)
(مِللتُ تلك اللغةَ الأجيرة)
وذلك الطوافَ فى الممالكِ القصيَّة .
وفى عوالمِ المدجَّجين بالحديدِ والأقنعةِ الخفية
أُريد أن يعود سِنْدبادُ من طوافِهِ الطويلِ
تلفِظُ الحيتانُ ما انطوى بجوفِها . . ومن غَرق
أُريدُ أن يعودَ قُمْقُمُ العفريتِ للبحار

يغوصُ فى عوالمِ الأسرار . .
(ويُخرجُ الصيادُ رزقه الحلال)
أُريدُ أن تعود شهرزاد
صبيةً تسيرُ فى ضفاف النهر
تَعْقِصُ شعرَ رأسِها ضفيرة
تشاكسُ المياهَ بالحصى
وتحملُ الطعامَ فى الظهيرة . .
أُريد شهرزاد
سيدةً فى البيت
لا تخشى اقترابَ الموت
أُريد شهرزاد
لا تَسْكُتُ ـ إذ يُدركُها الصباح ـ

(لا تُدخِلُنى ـ كالديكِ ـ فى زِنزانةِ المحكومِ بالإعدام . .
حتى إذا أَقبلَ ليلُ الغد . .
أُرْجِىءَ قتلى لصباحِ الغد)
أَخافُ شهرزاد . .
وهى تُعِدُّ فى الغدِ القريبِ أَلفَ شهريار
تحكى لهم فى كلِ ليلةٍ حكاية

أَخاف سَجْنى وطَوافى .. وافتقادَ الوعِى والبراءة
أَخشى إذا قضَيتُ أَلَف ليلةٍ وليلة
أَن أُساقَ فى الصباحِ للإعدام ..
(وتسمعُون قصتى على لسانِ شهرزاد
فى الليلةِ الثانية التى تجىءُ بعد الأَلف)

٩ / ١٠ / ١٩٧٨

● ●

●●● اعترافات ديك الجن !

(جاء فيما رُوى حول ديك الجن ، أنه صدَّق الواشين وقتل حبيبته تخلصاً من عارها ، لكنه حين أدرك خطأه أحرق جثتها ، وصنع من ترابها كأس شرابه .. ظل يشرب بها حتى آخر عمره ..)

وكان قد جاء فى بعض أشعاره :

يا آل حمص توقعوا من عارها
خزياً يحل عليكمو .. ووبالاً

ـ وأُعيذُك يا وطنى من صمتِ القلب
أُعيذُك من عارِ الكلمات
أُغنِّيكَ بكلِ الحب ..
وأَدقُّ على بابِكَ ليلاً كى لا تغْمُض عيناك
ولا يتلاشى ضوءُك للعشاقِ الغرباء ..

قلت : أغيب قليلاً بين قفارٍ يجهلُ فيها الصاحبُ صاحبَه
وتخالفُ أَقدامُ البشر إشاراتِ الطرقات ..
تتغـرَّبُ فيهـا الأَصـواتُ ..
الأَلـوانُ .. الخُطُوات ..

قلت : أغيبُ .. فما احتملتْ شفتاىَ الكلمات
وما احتملت أقدامى وخْزَ الطرقات
وما حملَ القلبُ المتوقِدُ شلالاً
غيرَ النهرِ المتدفقِ فى خضرتِكَ الممتدة
لا طائلَ فى ملكُوت الشعراءِ بلا نجم يحملُ عرشَ الحب
ويمسح عن جبْهتهِم قطراتِ السفرِ
ويقتلعُ الظلمةَ من أحداق الشمس
(لا أملك غيرَكِ نجْماً يا سيدتى)
سيدتى .. يانجمَ الوطنِ الغائب
يا حُلمَ النهرِ القادِم من أقصىَ العالم
تتجسَّدُ بين يديكِ حَكايا السَّفرِ الوحشية
تحلُو فى جبهتِكِ الأضواءُ الوردية
تغرَقُ فى عينيكِ مراكبُ إبحارى للمُدن الخائنةِ

وللباراتِ الليليةِ : للأشجارِ العاريةِ
وتغرَقُ ساعاتُ الضحِكِ الهمجيَّة
تشحَبُ أجسادُ النسوةِ فى أضواءِ الرقصِ الخافتةِ
وأنتْ ..
أنتِ تقودينَ النهرَ إلى مجراه

تشيرينَ لِنجْمِ الحبِّ الحائِر أن يتبعَ أُصْبُعَكِ الفضِّى
تنادينَ على خطواتى الشاردة
تمُدِّين دُرُوبَ الشعر ..
تقيمينَ الملكوتَ الأبدىَّ ..
وأُدْعَى لصعودٍ مرتَقَبٍ عبْرَ سماواتِ الحُلم
وعبرَ الليلِ .. الآلهةِ .. الأسطورة
عبر الألوانِ المدَّخرةِ بين حقائِبِكِ العطريَّة ..
(ويجىءُ الواشُونَ صَبَاحاً يُخْفُون الشمس
يُقيمونَ جِدارَ الليلِ حوالَيْكِ

يبيعونَ السرَّ الكامنَ فى الأحداق
وأسمَعُ خلفَ القلبِ حكايا الدهشةِ
أَطرُقُ أبوابَكِ فى الليلِ فلا تستمعين ولا تنتظرين ...)

سيدتى ياحُلمَ النهر
ياقدَحِى الأبدىْ
يا سُكرى المجنون ..
سيدتى يا عارَ الأحداقِ المتوقِّد
ياخِزْىَ القلبِ الطفل
يادفءَ جَحِيمِى المتوهجِ فى جنبىَّ

ـ قد أنسَى ليل السَّفرِ قليلاً
قد أنسى عصيانَ الخَطْوِ .. وسُخْطَ الريح
وبردَ الصحراء ..

ـ لكنى لا أنسى أنى أَحملُ وعدَكِ فى عينىَّ
أَحملُهُ فى وجهى المبتل
فى شهوةِ قلبى الدافئةِ
وفى ظِلى المنتظِر على بابِك منذُ رحلت

ـ تعرفُنى كلُ كهوف العالَمِ باسمِك
تذكُرُنى بحكاياتك
تَلْقَانى .. وتودِّعُنى
تُلقينى عبرَ مصابيحِك حين تلوحُ على دربِ العتمة
(ماذا لو عَرَفَتْ كلُّ كهوفِ العالَمِ أنكِ تنسَيْنَ
ويأْخذُك السُّكر
أنك تبتعدين وتلْقِين بعشاقِك فى الجمْر)
ماذا لو يطرقُ بابى نُدمائى القدماء .
وأَهرُب منهم .. ويُلِحُّونَ ..

يريدون ليالى السُّكرِ الأُولى وحكاياتِ العُشاق ..
وأَنا حطَّمتُ الآن زُجاجاتِ نبيذى

أغرقتُ حكاياتى المدَّخرة . .
(إذ أَنظُرُ فى شباكِك ظِلاً آخرَ يسرقُ وجهى
خلف ستارِ الليل . .)
سيقول الندماءُ حديثاً عذباً مألوفاً
سيقولون حديثَ الحكمةِ يُدمى قلبى
يذبَحُنى يُلقينى فى صمتِ البلهاء . .
سيعيدون حديثى من زمنٍ
. . ما أكثر مَا تصدقُ رُؤيا الشعراء :
(لا بأسَ مولاى على أنها
نهايةُ المكروب والباسِ
هى الليالى . . ولها دولةٌ
ووحشةٌ من بعدِ إيناس
حين أناختْ . . وعلت بالفتى
إذ قيل حطَّتْهُ من الراسِ
فالهُ ودعْ عنك أحاديثَهم
سيصبحُ الذاكرُ كالناسى)[1]
زمنى . . ياسيِّدَتى زمنُ النسيان

---

(١) الأبيات لديك الجن . .

زمنى زمنُ الذكرىَ المنسيةِ
زمن الحلمِ المقتول . .
وزمنُ البشرِ المنْتحبين . .
زمنى . . زمنُ الأَقداحِ المملوءَةِ أَبداً
والأَفواهِ الفاغرةِ البلْهاء
زمنُ الأصوات المختنقةِ فى عُلَبِ الليل . .

ـ أَقسمتُ بكأْسى الممزوجةِ بترابك ياسيدتى . .
أن أَحملَ وجهَكِ ـ عارَكِ ـ فى كل الطرقات
أن أنقشَهُ فوق الصخرَ . . وفوقَ الأَرصفةِ
وفوق الجُدران
أن أتقصىَّ خطوَكِ من زمنٍ ـ تحملُه عرباتُ الفجر ـ
أَقسمتُ على كأْسى ـ أحفظُها أَلقاً فى جوفى ـ
ويطاردُنى ـ لو شاءوُا ـ رقباءُ الليل
ويذبحنى ـ لو شاءُوا ـ سفهاءُ الليل
فأنا عدتُ إليك . .
أَحملُ وَعْدَ العُشاق
وأَحملُ وخزَ الطرقات !

٧ / ١١ / ١٩٧٩

●●● بلقيس ..

حين يرتعشُ الضوءُ فى شفَتِى
تُصبحينَ حروفِىَ . .
حين يحاصِرُنى الليلُ بالحزن . .
أَقفزُ بين يديكِ . .
(يُدثِّرنِى وجهُكِ الأَبدى . .
يواعدُنى . . وجهُك ـ الشوقُ ـ
يحملنى . . وجهُك ـ الحلمُ ـ
يُنضِجُنى . . وجهُك ـ الدفءُ . .)
عيناك ممهورتانِ لعينىَّ ـ من زمنِ الضوء ـ
عيناكِ مَسْرَاىَ . . خيطُ الترقُّبِ فى الليلِ . .
قصتُنا الأَبديةُ . .
عيناك زلزلةُ القلب من غفوةِ الأَرقِ ـ الموتِ ـ
يحمِلُنى الطيرُ ـ ما بين عينيْك ـ

تحملُنى الريحُ . .
يحملُنى البحرُ . .
أقتلعُ الجوعَ من بين أحداقِ كلِّ الأحبةِ
(أغرسُ فيها حَكَايَا التودُّدِ)
أُنْطقُ فيها الينابيعَ . . تُرْعِدُ . . تَبْرُقُ . .
تبعثُ بين كتابِىَ زَنبقةً ـ كنت أَحمِلُها من زمانِ الجفاف ـ
وأذكرُها فى الأحاديث . !
(كلُّ حكايا الأحبةِ أعرفُها . .)
أَحملُ الآن أَحرفَها الأبديةَ . . أنثُرُها
ثم أُشعل منها غُصُونَ الشواطىء . .
أَشعلُ منها صَفِيرَ الرياح . .

مناقيرَ كلِ الطيورِ الطريدة . .
أُشعلُ منها ثِقَابِى . .
مطفأةً فوق مائِدتى شمعةُ الدفءِ
راحلةً فوق مائدتى مَرْكباتُ المواسم .
مثقلةً لُغتى الآن . . .

ـ من يحملُ اليوم عنى رسائلَ مشْمسةً
من يمدُّ حبالَ التواصُلِ . .

ـ فيم التمنُّعُ .. بلقيسُ ..
فيم التراجُعُ .. والشمسُ تنهرنا
وتسيرُ بجانبِنا .. وتزاحِمُنا ...
وتردُّ علينا المواسمَ مخصبةً .. ومعاندة ..

ـ فيم هذا التمنُع سيدتى ..
إن كلَّ النساءِ تودَّدْنَ من قبلُ ..
(إن النساءَ كئوسٌ من العشق نشربُها ..
ثم نملؤُها ـ من جديدٍ ـ لنشربَ ...)

ـ جيئى بشعلتكِ الآن
أمتصُّ منها التوهُّجَ ..
تبقينَ كأسِىَ .. وحدىَ ..

ـ فيم التراجعُ والأمسياتُ الكئيبةُ تطفئنا
وتجوسُ بداخِلنا ..
(حين ننظرُ فى النهر .. تهرُبُ كلُ المرايا ..
وحين يراقِصُنا الحلمُ .. تقفزُ فوق خُطانا الخفافيشُ
حين نمدُّ أكفَّ المحبةِ .. تنهزمُ الرغباتُ ..
ويفتِكُ بالحُلْمِ طوفانُ لونٍ كئيب ـ يُنَفِّرُ أوجهنا ـ

ويطاردُنا في الشوارِع .. يخنُقُنا في البيوت ..

يزاحِمُنا .. نتوحُشُ .. .
تُصبحُ كلُّ الشوارعِ منهكةً بخطانا الشقيةِ
مثقلةً بِصراخ التوحُشِ
بالنظراتِ السقيمةِ
ـ غابت ملامحُنا البشريةُ ـ)

ـ فيم التمنُع سيدتى ..
عرشُك الآن بين يدىَّ
طواعيةً .. جاءنى ملكُكِ الآن ..
جاءت شوارعُكِ المرْمَريةُ ...
جاءت حقولُكِ .. كلُّ البساتينِ ..
جاءت قلاعُكِ ..
جاءت أَساطيرُكِ الآن ...
أَلمحُ بين عيونك متكأً لعيونَ
أَلمحُ فيها غزالةَ صيدى

وصحراءَ لهوى
وايقاع نبضِى
وضوءَ يقينىَ ..

(ألمحُ كلَّ القضاةِيصوغون حكماً :
بأن ترحَل الآنَ . !
أن تُقْبِلِ َالآن . !
أن تَبْسُطِى يدَكِ الآن . !)

ــ فيم التمنعُ . .
إنى أسافرُ ما بين عينيْكِ . .
أَمنحُكِ الآن مُلكى . .
وجنى . .
ودَنَّ
والضوءَ فى شفتى
والرياحَ ــ لك الآن ــ

ــ فيم التمنعُ سيدتى . .
حسبُك الآن . كُفِّى عنادَك . .

ــ إنَّ التودُّد قد طَال . .
اوشكتُ أن أتوقفَ
ثم . تروحين فى فلوات الشوارع تائهةً

تبحثين عن الحبِّ .. لا ينظرُون إليكِ ..
تغيبين فى الحزنِ .. لا يُشْفِقُون عليكِ ..
هو الحبُّ فى قبضَتى الآن ...
فى قبضتى الآنَ وحَدى . !

٢٦ / ٣ / ١٩٧٨

● ●

...الخروج إلى النهر

ـ ليكنْ ما يكونْ ..

ليكن بيننا غابةٌ .. صَحَراءٌ .. بحار

ليكن ما يكونْ ..

غير أن الذى يتجدَّدُ ما بيننا لا يغيب

فلتكنْ بيننا اللغةُ الواحدة ..

نَتَلَّمسُ فيها زمانَ التوهُّج

نعبرُ فيها الخرائبَ ..

نطلقُ فى طُرقِ الصمتِ شمساً

تُنَقِّرُ نافذةَ الليل

تنسابُ فى النهر ..

ترقصُ بين الغصونْ ..

ليكن ما يكونْ

ـ إننى الآن أخرجُ للنهر . .
(لم أنزلِ النهرَ من قَبْلُ)
لكننى أعرفُ الآن أن زمانَ الجفافِ هنا
ـ منذ حين ـ
أعرفُ الآن أن السماءَ معبأَةٌ بالسُّحاب الكَذِبْ
أعرف الآن أن الرياحَ محتْ ذاكراتِ الكُتب . .
أن زيتَ المصابيحِ فى الطرقاتِ خَبَا . . وانتحبْ
أن ماءَ الضروع تبخَّرَ فى أرضِنا . . واحتجبْ
أننى أخرجُ الآن للنهر . .
ـ والأرضُ عَطْشَى
ـ وأكوابُنا الذهبيةُ فارغةٌ . .
ـ وشفاه الزهور مشقَّقةٌ
ـ ورسائلُنا فى الحقائِب تنتظرُ الطائرَ المتوجِّعَ فى العُش
ـ يسترجْع الآن قدرتَهُ ـ
إننى الآن أخرجُ للنهر
أزحفُ للنهر

ـ فى خُطوتى نزوةُ البدوىِّ القديم
يفجّرُ فى الصحراءِ الينابيعَ
أزحف للنهر . .
ـ يرتسمُ الرملُ فى شفتىَّ
ـ وأَمتَصُّ مِلحِى . .
ـ وأَلثِمُ أرضىَ
ـ أَلصَقُ وجهِى بكفىَّ
ـ أَحملُ موتىَ للنهر . .
أنظرُ مجراه
كيف توقَّفَ . . أخطأنا وانحرف
ـ أَنظر الآن مجراه
كيف يروقُ الجفافُ بأعيننا
كيفَ نُلقِى المعاولَ من يدنا
كيف حين يحاصِرنُا الجوعُ . . نلجأُ للصلواتِ القديمةِ
كيف نهونْ

ـ ليكن ما يكونْ . .

غير أن الذى يتدافعُ فى زحفِنا لن يغيب

فلتكنْ بيننا اللغةُ الواحدة

لتكنْ بيننا اللغةُ الواحدة !

١٠ / ١٢ / ١٩٧٨

● ●

...وصرخت العروس
فى وجه النهر ..

ساعةً ويجىءُ القُضاة
ساعةً .. وتُمَدُّ ولائمُ فِرْعَوْن
يقتربُ الشرفاءُ .. ويبتعد الفقراءُ ..
ساعةً .. وتُمَهَّدُ للقادمينَ الأزقةُ والطرقات
ساعةً .. ويُصفِقُ سَعْفُ النخيلِ
وتشدُو المراكبُ فى النهرِ .. تُعلن عيدَ الوفاء
وتزحفُ كلُّ الحشود ـ قطيعاً مطيعاً إلى العُرْسِ ـ
(يعرفُ كلٌّ مكانه ..
ويعرفُ كلٌّ بأى الثيابِ يجىء
بأى الطبولِ يدقُّ ..
بأيةِ أنشودةٍ يتودَّدُ
.. كلُّ الخرائطِ منذُ الصباح هنا مُتْقَنَة !)

تتوقفُ منذ الصباح خُطَى العابرين . .
وتُفتحُ كلُّ خزائنِ فِرْعَوْنَ . .
لا صوتَ يعلو يطالبُ بالقوتِ
لا حاجَةَ مُعْلنة . .
لافتاتُ الشواطىء منهكةٌ بحروفٍ مذهَّبَةٍ
بلغاتِ انحناءٍ . .
وبالدعواتِ السقيمة :
(تمْنَحُ فرعونَ تاجَ الكِهانة
تجعلُه الربَّ . . والتابعينَ رعاياه
تُلبس بعد قليلٍ عروسَ العذارى الجديدةَ تاجَ الشرف)
. . . .

تُطلَقُ الآن عند انحناءِ الطريق الحمائمُ . .
أَشْهدُ ألوانَ موكبِ فرعوْنَ . . ينتظم الواقفون

– (تحيةُ فرعونَ واجبةٌ . . إذ يجيءُ ينادى العروسَ
يتوِّجُها . . يعلن العيدَ فى كلِّ بيتٍ وفى كل حقل . .
وفى كل قلب . .)
. . . .

وتأبى العروسُ ! !

. . . .

. . . .

ـ اتركُونى . .

فلستُ أَريدُ الشرف . .

اتركُونى . . فلستُ العروسَ التى تتباهىَ بهذا الترف

اتركُونى . .

فليس الوفاءَ لدى احتمالُ الغرق

إيه ياكلُّ أَهلى المرابين . .

ياكلُّ أَهلى المهانين . .

كيف رضِيتُم بهذا الخَرَف . ؟

ـ إننى الآن أَمقتكُم . . أَمقتُ العُرْسَ

أَمقتُ أَعينَكم . . أَتحدَّى العبابَ العَِقىَّ . .

(وأَصرخُ ـ ناقمةً ـ حين أَدعُو النيازكَ لو أَنَّها تستطيعُ

وأَدعُو الوحوشَ . . تمزقنى . . .)

وجهىَ الآن يلفَحُه الرملُ والماءُ والملحُ

لا أَيها النهرُ . .

لا تتدفقْ . .

توقفْ . .

فلسنا نريدُك تهزمُ فينا عيونَ الوفاء
ولسنا نريدُك مندفقاً فى اشتهاء
ولسنا نريدُك تقتلُ فينا البراءةَ والحب
تقتلُ فينا الطفولةَ . .
تخنقُ فينا الضياء . .
وجهىَ الآن يلفَحُه الحبُّ . . والريح
لا أيها النهر . .
إننى الآن أطرحُ ثوبَ العروس . . أمزقُه
أَخرُج الآن عن ذلك الجمعِ . .
أُلقى بتاجِ الشرف . .
جئتك الآنَ
أُلقى إليكَ وُرودَ الأَحبةِ . . دافئةً

ـ كيف ينزعُ من داخلى الحبُّ . . أَعتى جنودِك . .
ـ كيف حين أحاوِرُهم . . يجهلُون حديثىَ
ـ يأْتمِرُون . ! كيف تتركهُم يجهلُون . ؟
ـ إننى الآن أمقتُ تاجَ الشرف
إننى الآن أُسْقِطُ أعمدة الليلِ والزيفِ فى شاطئيْكَ . .

كفَّ عن صمتِكَ الآن يا حُلمَ أعيننا
فَتّشِ الآن عن لغةِ الشمسِ
حدِّث عن الحبِّ من يجهلون . .
حدِّث الآن من يجهلُون
بأنكَ مثليَ لستَ تريدُ الشرف . !
بأَنك تمقتُ مثليَ ـ هذا الخرَف . !

٢٢ / ١ / ١٩٧٩



••• المسألة

(العربة الفارغة أكثر ضجيجا من العربة الممتلئة)
« برناردشو »

لقَّنَنى خَطْوى الراحلُ فى غاباتِ الحرف
أن أحتملَ عذاباتِ الظمأِ .. وليلَ الصمت
أن أحتملَ الشوقَ إلى أحلامِ النهر ..
وأَذكرُ كيف انْدَمَلَ الجُرحُ بطمْىِ الأَرضِ المحتِرقِ زماناً
كيف انحدرتْ من قممِ الرغبةِ أَحجارى
أَصنعُ منها حُلمَ الأطفال
وإيقاعَ الزمنِ المتوحش
أَصنعُ منها وجهى ..
وأجىءُ .. فيلقانِى بُلَهاءُ الكلمة
ابتسمُوا .. إذ أَتَبسَّم ..
غَالُوا فى بسمتهم .. إذ أتجهَّم
صليتُ .. فصلَّوْا ..
سابقتُ قليلاً .. فاعتلوا

أنصتُّ إليهم فافتعَلوا . . ؟
صرَخُوا . . صقَلُوا كلماتٍ فى وهَج ِ الشمس
أَلقَوْا فى وجهى أقماراً . . وطيوراً . . ومواسمَ شوهاء
أَلقَوْا حمقَ العالم . . ضوضاءَ العالم

ـ (محموماً جئتُ . . وما يَشفينى الحمقُ
وما تشفينى الأقْمار
لكنى . . يَشفينى وهجُ الشوق . .)
قلتُ حديثاً مختلفاً . . لم يحتمِلُوا
عَبَسُوا . . وتولَّوْا . .
قَالُوا : (جنحَ الشاعرُ . . والكأسُ الأُولى بين يديه !)
أَسأَلكُم . . يامن تأتمرُونَ بضوءِ الحرف . .

أَسأَلكم أىُّ الأذواقِ تراودُكم
أىُّ الألوان . . وأىُّ الأصوات ؟
وماذا علَّمَكُم وهجُ الشوق
وماذا عن أحلام تتوقَّدُ فى داخلنا
تنهرُنا وتسابقُنا
تصهرُنا . . وتُطهِّرُنا .
ماذا عن غدِنا المترَبِّص فى الغابات ؟

صرخُوا : (جُنَّ الشاعرُ والكلماتُ الأُولى بين يديه !)
تمنوْا أن يأْتِيَهُم مغلولاً من قدميه ؟
تمنَّوا أن كانَ انقطعَ الدربُ . .
وألاّ يأْتِيَ إيقاعُ الزمنِ المتوحشِ من غابات الحرف
ألا يتدفَّقَ شوقُ النهر
تمنَّوْا أن يأْكُلَنِى الذئْب
وألاّ تحمِلَنى قافلةُ الصحراءِ إلى ملكوتِ الشعر . .

. . . .

أجيبوا سادتَنا . . عن مسألةٍ لا يدخُل ساحتَها الفُقَهَاء
ماذا تُجدى صرخاتُ الألسِنَةِ الملْتوية
وهى تعيدُ إلينا عصرَ الفخْرِ . . وعصْرَ الإطراء
تلوى أعناقَ الكلماتِ . . وتُحْنِي هامَ الشِّعْرِ لكلِّ نداء
ماذا عن شمسٍ غائبةٍ من زمنٍ فى أمْطَار الصَّمت
وبين جليدِ الأمس . .
وبين حروفٍ راكدةٍ فى أكوامِ الموت
وفى عرباتِ الضوضاء . .
وماذا عنا لو تسألُنا فى غدِنا أشواقُ الأطفال ؟

. . . .

. . . .

كفُّوا ضجتَكُم . .
ظلُّوا حول موائِدكم . . ما شئتُم
صلُّوا فى قِبلتكُم . . ما عشتُم
خَلُّوا عنكم . . لن نسألَكُم
ظلُّوا ما شِئْتُم بين قيودِ الحرْف ــ كما أنتُم ــ
لن نعتِقَكُم . .
فخُطانا داميةٌ أبداً . .
لم تتوقفَ يوماً فى ساحَتِكُم . !

١٥ / ١٢ / ١٩٧٩

● ●

... خطوات فى ظل المطر . !

طاردتْنى فى ربُا الليل غزالة
لمعَت غمازتاها تحت سقفَ الحُلم
واستَرْخَى على جبهتِها قلبى المُعاند . .
ماثلٌ فى جسدى المعروقِ من أعيُنها . .
نهرٌ قديم . .
سافرَ الليلُ إلى ضفته . .
واستراحت بين كفَّيْه حكايا شهرزاد
وأفاقت فى بُكورِ الشمسِ أحلامُ الصبايا
تتزيَّا بثيابِ العُرس . . بالتاجِ المُحَلَّى بالورود
(هُنّ ودَّعْنَ جِرار الماء . . حَلْبَ الشاة
زادَ الحقل عند الظهر
ودَّعن عناقَ الشمسِ فى كلِّ صباح .
هُنَّ يحلُمْن بكوخٍ دافىء الجُدران . . معسول المساء

يفترشْنَ الأرضَ فيه
ويُمارسْن طُقوسَ الحبِّ ــ ما شئْنَ
ويُنجْبن .. ويستُرن العراء . !)

ــ ماثل فى جَسَدى المعروقِ من أعينها .. نهرٌ عميق ..
بشَّرَتْ ضفتُهُ المعطاءُ بالحبِّ .. وبالطفلِ الجديد
سائلاً فى المهد عن كلِّ المواسم
عن ثمارِ الوطنِ الخضراءِ
عن تاريخِه المنسىِّ
عن ليلِ الملاحم ..
عن حوارٍ ضائعٍ فى زَبَدِ البحر .. استبدَّ البحرُ باللُّعبةِ
(عاد النهرُ مهزوماً بصمتٍ وكآبة ..)

ــ أَلِمَنْ يمتلكُ البحرَ مهابة ؟
جاوبتنى فى رُبا الليلِ سحابة ..
أفرغَتْ فى قلبىَ الملتاعِ أمطاراً .. وسحراً وصبابة
ونَسِيتُ البحرَ والنهرَ
وأسرعتُ إلى أرضِ البكارة ..
(حدَّثتْنى بالإشارة ..
وأنا أفتعلُ الفهْمَ .. وأزْهُو بالإمارة !)

قلتُ :
إنى تاركٌ فى قِمَم الليل غزالة ..
ـ (لمعتْ غمازتاها تحتَ سقفِ الحُلمِ
ـ واسترْخى على جبهتِها قلبى المُعاند ..)
قالتِ الأرضُ : هنا ..

لا وقتَ للذِّكرى ولا الحبِّ ولا حتى العداوة ..
اخلعِ الآن قناعَ الليلِ والشمسِ وآلامَ الغَشاوة ..
واغتسلْ فى بئرِ من يولدُ فى ظِلِّ سحابة ..
قلتُ : جرَّبْتُ كثيراً أن أذوق ..
طعمَ هذا العُرْىِ .. لكنِّى أخفقتُ كثيراً
وتجمَّدْتُ من البرد .. ومن ليلِ الجُنُون ..
قالت الأرضُ : ترفَّق بجراحِك ..
فأنا واحدةٌ من قسمَاتِك
وأنا الجُرحُ الذى أدماكَ ـ عُمْراً ـ والتأمْ ..
تاركاً فى صدرِكَ الضيقِ شيئاً من ألمْ ..
عُدْ إلى رُشدِكَ واطْرَح ذكرياتِ الضعفاء
واتخذْ من صخرةِ البئرِ عَلاَمَة
ومن الآلامِ شَامة ..

وتقدَّم خُطوةً فى ساحةِ البَرق العنيدة
وانتزِعْ من كَبِدِ التنين شوكة
واتَّخذْها وجهَك النارىَّ فى ليلِ السفر ..

. . . .

قلتُ : ياأرضِىَ إنى قد وُلدتُ الآن فى ظِلِّ المطر
هذه خُطوتىَ الأولى على شَطِّ المُحال ..
مزَّقت كلَّ ثيابٍ للقناعة ..
فارصُدى كلَّ الخُطى فوق ضفافِ المطرِ الساقطِ
من قلبِ السحابة ..
ـ إننى أنسى مع القحطِ عذابَه ..
ـ إننى أنسى مع العمر ضياعه ..
ـ إننى أنسى مع العمر ضياعَه . !

١٦ / ٧ / ١٩٧٩

● ●

... موعظة الحمقى والحكماء

ألقيتُ حَصَاتى فى عينِ النهر ..
دمْدَمَ فى عين النّهْرِ دُخانٌ ..
يصّاعدُ .. يصّاعد .. يمتد ..
يتزيًا بجلابيب الحكمةِ والصبر

ـ قَالُوا : خُذْ من أفواهِ السادةِ حكمة
قلت : قديماً قالُوا شيئاً آخر ..

ـ هل ساويتُم بين الحَمْقَى والحُكَماء ؟ ـ
قالوا : هذا طرفٌ من أمثالِ القدماء
قلت : أنا أيضاً أمتلكُ الأمثالَ ولا ألبس جلبابَ حكيم
هل يَتَعرَّفُنى أحدٌ بين حشودِ المنتظرينَ
خطابَ القُطْبِ الأكبر

إنى ـ وحدى ـ أعطيكم ظهرى
وحدى أُطفىءُ أنوارَ الميدانِ

وأصرخُ فى وجهِ النهر : كفاك !

وحدى .. أحكِى شيئاً عن أحوال العصر

ـ أفْتَانَا الشيخُ المتربِّعُ فى مقعدِه بين مراسيمِ الكهنة والخوف :
أن الحكمةَ تستعصى .. لو يدخلُ ساحتَهَا الغرباء
قلت : وماذا تعنى يامولانا بالغُرباء
طأطأ مولانا الرَّأْسَ المتعمِّمَ .. هذَّب شاربَهُ ..
سوىَّ لحيتَهُ .. فرَّجَ ما بين الفكيْنْ الملتصقين ..
جفَّفَ جبهتَهَ المعروقةَ .. قالَ :

ـ من يرضَ بغير المقسوم له .. فهو غريب

ـ من يرفعْ لله يَدَيْه بلا استئذانٍ .. فهو غريب

ـ من يُطلقْ حرفاً يخدِشُ وجهَ السادةِ .. فهو غريب

ـ من يحفرْ فى الساحةِ نهراً آخر ..
فهو غريب ..

ـ من لا يفعل .. من يفعل .. ..
فهو غريب ..

. . . .

أفتانا الشيخُ المتربّعُ .. فى أقوالِ العصر
قيّدنَا فى مجلِسِه .. أصبحْنا غُرباء
قُمْنا من مجلِسِه .. نلتمسُ المأوَى
والسَّلْوَى والحِكمة ..

. . . .

أمتلكُ كثيراً من أمثالِ العصر
وأمتلكُ أساطيرَ المُدن البائدةِ .. وبعضَ السحر
وأمتلكُ جلابيبَ الشعر
وأعبثُ بالأحجارِ على شَطِّ النهر

وأمشى ..
أجمعُ أخشابَ الشَّجَرِ المحترقِ .. وأبنى كوخاً ..
أزرعُ فى خَطْوِى الضَّحِكَ .. وألوانَ السأمِ

وأمشى ..
أدعُو جنيّاتِ الماءِ تراودنى .. لكنى أسخرُ منها
أتْرُكُها باكيةً فى شَطِّ النهر .. وأمشى ..
أعظُ الأشجارَ .. وأعظُ الطير .. وأعظ الأطفال ..
لكنى ..
أتوقفُ محموماً حين تغيبُ الشمس

أشهدُ فى الليلِ مواكبَ حكماءِ العصر
وأهرُب ..
أتحاورُ والطرقات الخرساء .. وأهرُب ..
أشهدُ حَمْقَى العصر .. وأهرُبُ ..
أتجردُ من كلِّ جَلابيبى
أتخذُ الليلَ : زُقاقاً .. وقميصاً .. وعباءة ..
أمتصُّ دُخانَ النهر ..
أدخِلُ عفريتَ الماءِ إلى قُمْقُمِه
أنزعُ من عينِ النهرِ حصاتى
أُدركُ كم يتساوى الحَمْقَى والحُكماء !
أدرك كم يتساوَى السادةُ والغرباء !

٢٩ / ٨ / ١٩٧٩

● ●

... سقوط الكهنة
أو .. الحب فى زمن القحط

واذا لم تأْتِ غداً

فمتى ستجىء .. ؟

وأنا لا أمتلكُ عروساً أُلقيها فى مائك ؟

. . . .

(صرخَ بجوفى حُلْمٌ مذبوح .. أسقطَ أغْلالَ القلبِ

انطلقَ إلى معبدِهِ المرصُود)

يلقانى كاهنهُ الأكبرُ فى بسمتِه الجوفاء :

ــ ضع قربانَكَ .. قُدَّامك .. ياولدى ..

واسجد للصنمِ الأكبر ..

(قَبَضَتْ كفَّاىَ الريح ..)

تمنَّعتُ : فلا أعرفُ ماذا يعنى القُربان

وماذا يبغى الصنمُ الأكبرُ من طُول سجودى ..

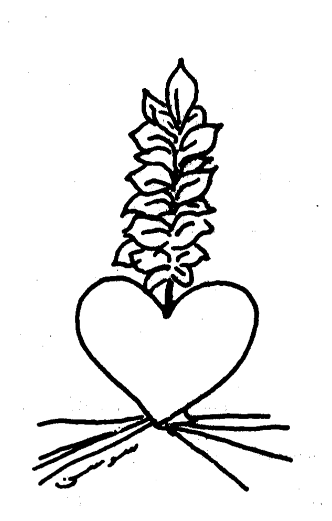
(يتجهَّمُ وجهُ الكاهن

خَبأً فى بُردتِه أنيابَ الذئب
وجوفَ النّمِر
وذيلَ الكلبِ الملعون)
قلتُ : انفرطتْ كلماتى من زمنٍ يا مولاى
فاذبحنى إن شئتَ
انفرطَ حصارى . . . ,
لا أخشى غضبةَ أصنامك . .
ماذا لو تذبحُنى أوْ لا تذبحُنى
والقلبُ المحمومُ شهيداً عند النهر . .
(داهيةٌ كان الكاهن . .)
يحسِبُ أنى درويشٌ آبَ أخيرًا
أو أنى أحفظُ عن قلبِ برْدياتِ النهر
وأفْنَى فى عشق النهر
وأنى أُخفى فى كلماتِى الناريةِ وجدَ القلب
قلت ؛ قديماً أحببتُ . . وكان النهرُ صفيًّا لى
لكنى أبحثُ عن شيءٍ يملأُ جوفى الآن !
هل يتفجّرُ من أصنامكَ يا مَوْلاَنَا نهرٌ يُشبعنى ؟ .
خُذ من عينِى الضوءَ . .
وخذ من قَلبِى المحمومِ بقايَا الحُلم

وخُذ من أوردَتى الدم . .
(ــ تلك قرابينى . . أملِكُها)
لا تسألنى عن حُبّ يتطايرُ فى الريح
ويَضْمُرُ فى زمنِ القحْط . .
قديماً أحببتُ . . فنيْتُ
اخضرّت كلماتى . . زمناً
إذ أطلعتُ شموس العالَم من كفىّ
. . . . . .
قدّمتُ عرائسَ قلبى قُرباناً للنهر . .
تدفّق حيناً . . وأبىَ حيناً أن يَجْرِىَ بالحُلم
خَسِرتُ السّلْوى . . والحَلْوى . . والخُلصاء . .
ــ جُنّ الشاعرُ فى قلبى . .
جفّت كلماتى فوقَ الأشجار
انفضّ الطيرُ إلى أرضٍ عذراء . .
ــ جوفى خالٍ
قلبى محمومٌ منذ انْتَزَعَ النهرُ عروسى من بين الجدران
أشهرُ سيفِى فى وجهك . .

أَسْعِفْنِى بالقيدِ .. أَو الجَلْدِ .. أَو القَتْل
فلن يمضىَ يومى حتى أُسْقِطَ أصنامَكَ
حتى أَحرِقَ ما تحفَظُ فى قُربانك
إِنى مذبوحٌ .. وعيونى داميةٌ
فانتظر الموت . !

٢٨ / ١٢ / ١٩٧٩



... للنهر ضفتان

لا يعنى إذ أتنقّلُ فوقَ الخُضرة
أنى آتٍ من أشواق الأرض
أو أن النهرَ القادم فى سفرٍ
والعابرَ فى سفرٍ
يلقانى يوماً بالشفقة .. !
فأنا أجلسُ ـ عُمرى ـ فى ظلِّ شُجيْرة
أتحدَّثُ للقمرِ المتكىءِ على زَنْدَىْ غيمة
أبكى فى صمتٍ .. أضحَكُ فى بَلَهٍ
أتبدَّدُ كلَّ صباحٍ تحت الشمس
أُصبحُ وجهاً مألوفاً ..
أَشهدُه فى لحظات الصحو .. وأشهدُه
فى لحظات الموت ـ سواء ـ
تألفُه الريحُ .. وتألفُه الأوديةُ .. وتألفُه الصحراء ..

وأراهُ بدويًا يبحثُ عن ليلاه
(ويظلُّ .. يظلُّ سنيناً يبحثُ عن ليلاه
يقيمُ قصوراً ومناراتٍ للقمرِ .. ولليلِ .. ولله ..
ويموتُ ليبعث فى ألواحِ الشهداءِ العُشّاق
يروى من ينظُرُ فى جبهتِه .. أن ملائكةَ الرحمنِ
ابتسمت فى لُقياه ..)

. . . .

عفواً يانهرى القُدسى ..
أعترفُ الآن ..
أنى حين سمعتُكَ تصرُخُ مِن خلفى
خلْتُك وحشاً يطلبُ كَبِدى فى الصَّحْراء ..
أنى حين توهمتُ الأعين تَرفُق بى ..
وابتسمَتْ أرمَلَةٌ من خلْفِ النافذةِ
نَسِيتُ السفرَ القادم ..
والسفر العابر ..
ونسيتُ عيوناً كانتُ تنتظرُ على وعدٍ كلَّ مساء ..
ـ أعترفُ الآن ..
أنى حين تجمَّعَ فى حَلْقِى حُلْمُ صُراخ

آثرتُ بكاءَ المُلْتاع .. !

أنى حين دُعِيتُ ـ الفارسَ ـ فى ساحتِكَ الخضراء

خارت فى الرمل قوائمُ فَرَسى .. وتمكَّنَ من قَلْبى الدّاء

أنى حين رأيتُكَ فى السِّفرِ القُدسى

(وتراقصتِ الأَشجارُ على ضفتكَ الأُخرى)

عدت إلى بيتى ممسُوساً

أقرأُ فى كتُب السِّحرِ ..

وفى كتبِ الشعر

وفى كتبِ الحكماء ..)

ـ عفواً ..

كان الموعدُ ألقاً

والخطوةُ وهجاً

والحلمُ .. دماء ..

كانت مَن أعشقُها ـ تبنى مُدناً

وتقيمُ قصُوراً وتُمهِّدُ لى الصحراء ..

عيناها سَكَنى ..

عرشى فوق الماءِ .

وفوقَ الأنواء ..

ـ لكنى أكذِبُها كلَّ مساء ـ

ـ (أحببتُكِ من زمن
أنظرُ فى عينيْك النهرَ
وأنظرُ فيها الطيرَ . .
وأنظر فيها الواحةَ والسُّحرَ

وأنظرُ ذاتَ الهِمَّةِ والزباءَ . . وعَفْراء . .)
وتُحدِّقُ فِى . . عيناهَا تتمنىٰ لو أصْدُق
وأطيلُ النظرَ إليها . . !
(كُفِّى عن صمتك

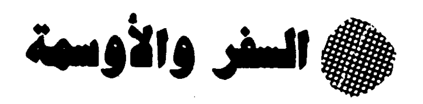
ـ هذى ضفتُهُ الأخرى تدعونا
لكنى لم أتعلَّمْ خَبْطَ الماءِ . .
ولا صمتَ الأهداب
ولا زَمَّ الفَمِّ . .)
وتحدِّقُ فِى عيناها . . تتمنىٰ لو أصدُق . .
وأطيلُ النظرَ إليها . .
ـ (قالُوا يوماً :
إن يعترفِ القلبُ بذنبه . .
أقصىَ ما يحملُ من حُبِّه

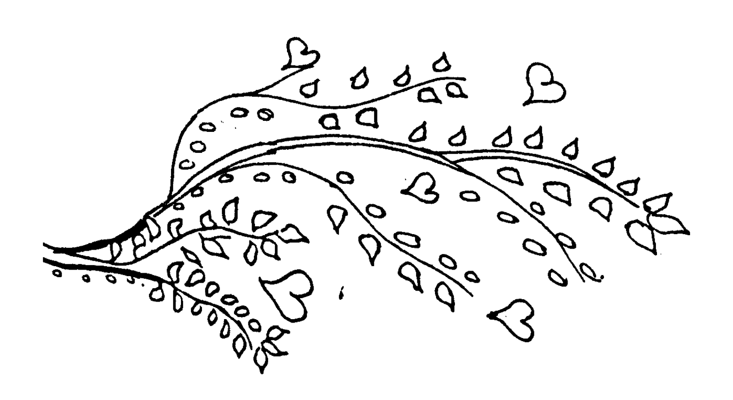
وأنا أعترفُ الآن . .

أَكتبُ فى أوراقِى فصلاً من دمعٍ
لو شئتِ ــ وفصَلاً من ألمٍ وعناء . .)
صرخَتْ من أعشَقُها :
ــ الله غفُورٌ . .
وأنا قطعةُ غُفرانٍ منهُ فوقَ الأرض
لكنى . . لو أغفِرُ كلَّ الأشياء
لن أنسى أنكَ حين كتبت الآن
كنتَ سُطوراً من ألمٍ . . وعناء . .

١٩٧٩ / ٧ / ٥

● ●





أحمد سويلم —

... شىء من الحلم

أولُ غيْثى .. ما كان القَطْر
عودى ..
صلىِّ من أجلى .. فبعينيكِ المدُّ القدسى
وبعينيكِ .. يضيىءُ السر ..
وبعينيك الغيثُ المنهمرُ .. بلا قيد
صلِّى من أجلى
خمساً .. عشراً .. قد تُجدى الصلوات
. . . .

أرصُدُ فوق شفاهك ظلَّ الخوف
أرصدُ .. لونَ الرِّعدة

أرصد وجهَ الألمِ الجاثمِ مذْ غابْت فى البحِر الشمس
مذْ جفّ الغصْنُ الأخضرُ ..
مذْ مات اللونُ .. الشوقُ .. الحس

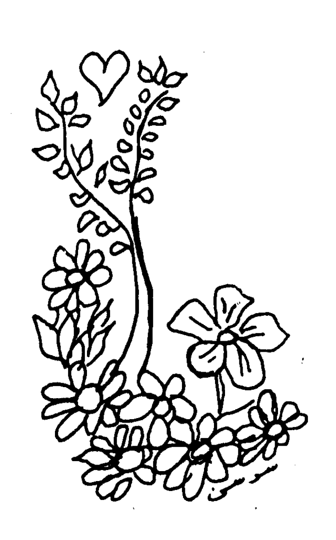
مذ عدتُ بخفىٍّ ــ أصنعُ من ألمى عجْلِى الذهبى ــ

ــ أحرقُ بين يديه قُربانى .. وجهى ــ
أُلبِسُهُ كلَّ صباحٍ ثوباً ..
أمنحه أيامى : عيداً .. حُلماً .. ومَتَاعاً
أعطيهِ وقعَ خُطَى خُفَراءِ الميدان
أُعطيه صرخةَ أطفالى .. زلةَ قدمِى فوقَ الرمل
أتعثّرُ فى جُمجمةٍ .. فى كلماتٍ باقيةٍ
فى رغبات ..
أتعثر فى الأوسمةِ الذهبيةِ
فى شفَةٍ لم تنطقْ بعدُ وصاياها

ــ عجزتْ عن حَمْلِ الكلمات ــ
صلِّ ..

صلِ من أجلى .. قد تُجدى الصلوات
هاتِ من خلفِ الجدرانِ قميصى الدامى
هاتِ الرائحةَ .. اللونَ .. المِزَقات
رُدّى شيئاً من نظراتى ..
رُدّى حُلمى .. جِلدى ..
وجهى .. صرتى ..

صلِّ . . قد تُجدى صلواتُك
صلى . . صلى من أجلى . . .



...زمان الوصل

فى أولِ الزمانِ كنت أستعيرُ مقلتىّ
من عيونِ الصقر
أنْفُذُ عبر الليل والدُّخان والخرائب ..
أُطلُّ قنديلاً .. أسوقُ من أمامىَ الأبراجَ والنجوم

ـ تقول لى المخبوءَ فى غدى ـ
حتى إذا بدأتُ خُطوتى ..
أسقطتُ من حسابىَ الخوفَ الذى أراه
فى أعين المسافرين ..
وأننى أحسّ دائماً بآخر الأيام
وأننى نسيتُ شيئاً من لوازمِ السفر
وأننى .. نسيتُ حينما رحلتُ ..
أن أودِّع الرفاق ..
....

لكنّ أولَ الزمانِ كان ــ أمسِ ــ
واحداً من المسافرين . .
أسْقَطَ من حسابِه الوَداع
وأسقط اللحنَ على الشفاه
وأنزلَ الشاراتِ عن صدورِنا . .
حتى إذا أتى الصباحُ . . لم يكن لقاؤُنا
لقاءَ أصدقاء . .
فنحن قد تغيرتْ وجوهُنا
وأصبح الحبُ على الأكفّ . . عملةً قديمة
زمانُها مجهول . .
نبكى عليها كلما تعثّرتْ أقدامُنا فى أولِ الطريق
وكلما انتحى المغنىّ ــ جانباً ــ من موقد الشتاء :

« ــ جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى
يازمانَ الوصلِ . . (لا تنتكسِ)
لم يكن وصلُكَ إلا حُلُماً
فى الكرى . . أو خُلسةَ المختلسِ »
. . . .
أدعوكَ يا زمانَنا القديم
أدعوكَ يازمانَ الوصل . . ياعيونَنا المسافرة

ياحلمَنا الندىُّ . . في ذاكرة الأيام
أدعوك . .
أن تعيدَ للعيونْ . . .
بريقَها
وللحقائِب المسافرة . .
متاعَها المنهوب . .
وللسماءِ . . ماءَها . .
أدعوك أن تُزيلَ من شفاهِنا الصدأ
ونلتقى . . لقاءَ أصدقاء . .

● ●

...السفر والأوسمة

سافرى فى الضفاف البعيدةِ
فى طرقاتِ الرمالِ
وفى شفةِ الطيرِ
فى الذاكرة ..
سافرى .. واحملى الأوسمة

واقرأى فى مرايا التلال حكايا الطفولةِ
شُدّى على ساعديْكِ الدروعَ ..
اربطِى الأحزمة ..
لن تغيبى طويلاً ..
ولن تتخطّفَك الطيرُ فى الطرقِ المبهمة

إننى الآن أرقبُ خطوَكِ :

ـ أجريتُ عينىّ فى فَلَكِ الشمسِ
عيناى .. سابحتان مع الضوء

فى عرباتِ السماء
أحدِّثُ عنكِ النجومَ .. أكلِّم عنك الرياحَ
أمهِّدُ فى الصحراء

ـ أعددتُ من زمن كلَّ شىء ـ
فى الصباح .. ينقِّر فوق نوافذِك الطيرُ
يغمرُكِ الظلُّ عند الظهيرةِ
فى الليلِ .. تجتمعُ النجماتُ البعيدةُ فوق فِراشك

ـ أعددتُ من زمن طرقَ الحلم ـ
صوتُك سنبلةً ـ صار ـ بين ضفافِ الجداول
وجهك أسطورةً ـ صار ـ بين التواريخ
بين البحارِ .. وبين المدائن
لن تَتَجاهلَكِ الأرضُ
لن تُنكرَ الطرقاتُ غبارَك ..
لن يتقصَّاكِ فى نهر فرعونَ قلبٌ يخافُ عليك
فى عروقِ النخيلِ تمدّين بوحَكِ
فى الضوءِ تغتسلين .. تصلِّين

يرجعُ فى يدكِ الولدُ الضال
يندملُ الجرحُ فى كل قلبٍ حزين

. . . .

سافرى . . .
لن تغيبى طويلاً عن الأهلِ . . والحبِ . . والصحبِ
أعددتُ يوم لقائِكِ : عُرساً وأُنساً وقصتَنا الأبدية
أعددتُ ما نقُشَ الأمسِ فى الصفحاتِ الندية

ــ لن يتحمل قلبك أن يرتوى بالمياهِ الغريبة ــ

إن قلبَكِ سيدتى قد نما فى الحقولِ الخصيبة
وارتقى . . فوقَها مِئذنة . .
وحواراً . . وضوءاً . . وملحمةً
وعديداً من الأوسمة . .

١ / ٤ / ١٩٨١

•••قراءة ... فى عينيها

أهبطُ من شرفةِ عينيكِ
إلى عينيك
أتحسَّسُ هذا الخَدَرَ السارى فى كفيْك
أغرَقُ فى بحرِك .. أصلُ إلى مدنِ السحر
أُقَدِّمُ أوراقى بين يديك .. وأنتظرُ قَبُولى
أنشِدُ أشعارى بين يديك
وأنتظرُ عطاياك ..
أعصِرُ أشواقى بين يديك
وأنتظرُ البسمةَ فى شفتيك . !
. . . .
ماذا لو تُغرقنى عيناك
لو تحملنى كفاك ..
ماذا لو أتعلم منكِ الإبحارَ
وأتعلمُ منك الغوصَ إلى مدنِ العشْقِ الأولى

ماذا لو تحكين :
وأنا جئتُ إليكِ الآن
أخلعُ أثوابَ الخوفِ .. وأغرقُ
أطوى زمنَ الأحلامِ .. وأغرقُ
أتجردُ من قشرة سأمى ..
أغسلُ جلدى بالملحِ .. وأغرقُ ..
أهبط من شرفةِ عينيك إلى أمواجك
تسألُ عنى مِلكاتُ البحرِ .. وأزهُو فى عينيك
أُتَوَّجُ مَلِكاً بين يديك
يُحسُدُنى كلُّ ملوكِ البحر ..

ـ أباهى أنى أهواك ـ

أرضى أن أتحرَّرَ من قيْدى بين يديك
أن يصبحَ عشقى لكِ سُكْراً .. وجنوناً

ـ يَرْمُقُنى البحارةُ من حولى .. يأتمرون علىّ
يسوقُون إلىّ الموجَ القاتل
لكنك تبتسمينَ إلىّ ..
تنادين على ما غابَ من الألوان

وما غابَ من الأصوات . .
تُهدين إلىّ كتاباً مسطوراً بحكاياتِ البحر
أقرأ فيه كيف ارتحل العشاقُ إلى حيث تكونين
كيف غضبتِ عليهم حين اقتحمُوا أسوارَك
فأمرتِ البحرَ . .
فثارتْ حيتانُ البحر . .
ابتلعت من داسُوا حرماتِك . .
أعرف كيف اجتمعتْ فى عينيْكِ الرحمةُ والعصيان
كيف تكونين جحيماً يُحرقُ . . أوظلَ أمان

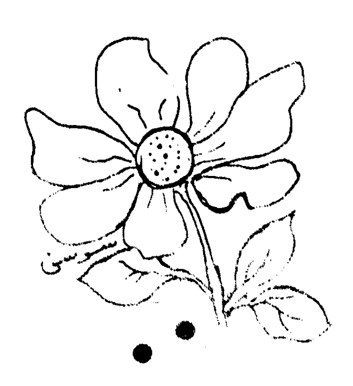
ومتى تهبين الملحَ . .
متى تهبين الماءَ العذب . . .

. . . .

أقرأ فى عينيك كتاباً منشوراً
أقرأ حين رحلتِ
وحين ملكتِ البحرَ
وحين تركتِ بقلبى شيئاً من أسرارك
إنى أحفظُ عن قلب كلَّ الطرقاتِ إليك
أهبطُ . . أصعدُ . . لا يثنينى شىءُ عنك

مادامت عيناك تُطِلّان عليّ
وتجودان بأشرعةِ الإبحار . !

١٩ / ٤ / ١٩٨٢



... إيزادورا

(شهيدة العشق الفرعونى)

وتشهدين الحلُمَ فى عينىَّ .. والعزاء
وتنزِعينَ أضلعى ..
أحبُو إليكِ ـ فارساً ـ
أصنعُ من عظامى خوْذةً ودرعاً
أُسرع للنهرِ .. أطالبُ الأشجارَ أن تجودَ لى
ـ وأن أحيلَ ساقَ نخلةٍ جواداً ـ
ـ كل الذى يُقال ـ كالشراعِ ـ طال
ثم انحنى تحت سياطِ البرقِ فى الشتاء ..

. . . .

حملتُ قربانى إليكِ منذ عانقتِ قصائدى
شربتُ خمرةَ الجحيم ..
قُدِّرَ لى فى نهرِكِ الغرق

سمعتُ صوتَكِ النديَّ يحتويني :
(مَرْساكَ في قلبي .. فلا تدعْني زهرةً مطفأةَ العينين
أو شمعةً .. شاحبةَ الأحلام ..)
أسرعتُ ياحوريةَ النهر إليكِ
ـ لا يُقعدني الدُّوار
ولا يضيع من يديَّ وهجُ النهار
ـ أحتويك .. أحتويكِ
تدخُلين عالمي .. وتمرحين
وتحت جلدي .. في دمي ..
وفي عظامي .. تسبَحين ..
أنا هنا .. نهرُك والمرساةُ والميلاد
مزّقي ملابسَ الحداد ..
ـ واجعليها حول جُرحِكِ القديم
قطعةً من الضِّماد ..
وارحلي ـ ما شئتِ ـ في عينيَّ
في جنبيَّ في غدي
وعبرَ ألفِ قُبلةٍ ..
وألف باقة من القتَاد ..

فأنتِ لى الصحراءُ .. أنت لى البحار
أنت كلُ رحلةٍ جديدةٍ إلى مجاهلِ الأرضِ
وأنت شارةُ الفوزِ على صدرى
وكلُ نهضةٍ من انكسار

. . . .

كونى لسندباد
عنادَه .. شقاءَهُ ..
موعدَه المجدَّدَ .. البسمةَ ..
شهوةَ اللقاءِ والودَاع ..
كونى له اللوتسَ والشوْكَ
وخطوَ الصمتِ والصُّراخِ
أنت .. موتُه المقدورُ ..
لا مفرٌ ..
لا مفر ..

١٩٨٠ / ١٢ / ٢٨

• •

فى ليل الشاحب ..
أسترقُ السمعَ بشاطِئك الموصود
يصعدُ من جوفِكَ لهبٌ يتلوّى فى عينىّ
يطاردُنى فوق العشب
يطالبنى بالرقصِ المجنون ..
يسافرُ حتى خيطِ الفجر .. فنقطعهُ بالهمسِ المخمور ..
وبالصمت المخمور وبالحلم الصخرىّ ..
تجهلنى نجماتُ الليل .. أقدم أوراقى الممهورةَ .. تُنكرنى
أخشى أن أقتربَ .. وأن يعلوَ صوتى فى حضرتها القدسية
تُبعدنى الريحُ القاتلةُ .. أعودُ شقياً من حيثُ أتيتُ
أُحَدِّقُ فى ظلى الأسودِ ــ فى ضوءِ القمرِ ــ أحاوره أُفرغُ
هَوَسِى الشبقىّ
يتكوَّر بين يدىّ امرأةً حُبلى بالضعفِ .. ومدناً شائهةً
وطُقوساً تَرْوِى كلَّ خياناتِ البشرِ ...

تحاصِرُنى أسئلةُ الأعينِ .. أعجزُ ..
تعبثُ بى أسئلةُ الليل .. وأعجزُ
أقطعُ كفِّى .. أحملُها قرباناً .. أُشعلها قنديلاً
أُطلقها طيراً فى أشجار العالم ..
أسقطها أمطاراً تشْفى الأرضَ .. فتنمو الذكرى المنسيةُ
فى شجرِ الصَّفصاف ..
(هل أصغيتم للصَّفصافِ .. وللريحِ .. ولليل الشاحب !)

فى ليلى .. أهمس موالى المجهد :
صـامَ الأحـبـةُ عـن حـديـثـى
نـام الأحـبـةُ عـن حـديـثـى
يـا حـبُ مـالـك لا تجـيـبْ
يـالـيـلُ .. هـل غـيرى حـبـيـبْ
ـعَـنّى تحـدَّثْ لـن أُذكِّـرَهُـم
عـنّى تـسـاءَلْ .. لـن أسـائِـلَهـم
صَـفـصـافـتى تـنـمـو.. أم احـترقتْ
أم صـارعـتـهـا الأرضُ فـانهزمت

أم أنها تاقتْ إلى زمنٍ
خالٍ من التّذكار والمحنِ

. . . .

نام الأحبةُ وانطوى همسى
لكننى ماضٍ إلى غرسى . .
قيل لى : يا صديق انتبه . .

ـ إن جسرَ الحكايا يضيقُ وأنت تغيبُ عن الوعى ـ
(كنت بعثتُ عيونِي إليكم طيوراً . . أعلّق فيها الرسائل كانت تعودُ إلىّ خواءً . .)
يُنبهُنى العابرون . .
(وكنت أغنى . . وأنفخُ ريحَ التودُّدِ . . ثم يعود إلىّ صداها المحاصَرُ . .)
حاصَرنى العابرون : توقف . !
تعثرت الخطواتُ بحلقيَ . . يحمِلُنى العابرونَ
. وما زلتُ فيهم أغيبُ عن الوعى
(صام الأحبةُ
نام الأحبة . . . . . .)
. . . .

قيل لى : يا صديقُ انتبه
ـ إن غرساً يضيعُ مع الأمسِ لا يستحقُّ البكاء ـ
يا صديقُ انتبه . .
حولك الآن كلُ خُطَى العابرين
تخيَّرْ لك الغرسَ . . والماءَ . . والشمسَ
فالحبُ يمضى . . ليأتى . . .
ونومُ الأحبة . .
يُدنى لك الأعينَ النافرة . .

٨ / ٤ / ١٩٨٠

• •

... فقرات من كتاب الحب

ـ أطوى أجنحتى عندَ الأسوارْ . .

جئت أعانقُ ضوءاً شفقيا . . يتقاطرُ من شُباكِكِ . . يتملكنى صمتٌ محرابىٌ . . هذى صلواتى ـ أوُلدُ فيها ـ أنثرُ فى أعتابِكِ أشواقى . . فى دفءِ الليل . .

ـ ذهبىٌ وقتُكِ . . ممدودٌ وقتى . .

هذا عمرى الأولُ والآخِرُ . . هذا قلبى عصفورٌ منفىٌ . . هذا مزمارى ـ أطواقٌ نجاتى ـ أتقدمُ . . ملكوتُكِ فى عينىّ . . من أجلك أختصرُ العالمَ . . أصلُ نهارى بنهارِكِ . . لا تقهرنى الظلمةُ فى أعمدةِ النسيان . .

ـ موكُبنا ياواحدتى . .

نرفعُ أيدينا للصحبةِ . . نُولد فى أعينهم ألقاً وحكاياً . . نحن تلاقينا بعد الزمنِ الغاربِ . . بعد الليلِ الرابضِ فوق

سواعدنا ـ شُلّت كلماتُ الشوقِ سنيناً فى شفتيْنا . . تاهت زمناً
نغماتُ المزمارِ . . امتلأت بالحزنِ حقائبُنا . .

ـ هزمتنا أمسِ القِططُ البرية . .
شرِبَت دمَنا . . صنعت جيلَ القتلى والغرباءِ . . أحالت وجهَ
مدينتنا عبداً . . فُضَّت عذراواتُ الليل . . ارتدَّت من غضبتها
الكِلْمةُ ـ كنا لا نمتلكُ الأجنحةَ . . الحبَّ . . الماضى . .
لا نمتلك الخُطوةَ إثْرَ الخُطوة . . .

ـ أحزانُ الآلهة على جفنىّ . .

ـ (الحمقى من يطويهم حزنُ المهمومين . !) . .

ـ (الطيرُ الواهنُ لا يبرحُ ظلَّ الأرض . !) . .

ـ أطوى ياواحدتى أحزانى . . أهب حياتى . . أتمرد فى وجه
الصمت . . الخوفِ . . القهرِ . . اللونِ الماحلِ . . يهوى فأسى
فوق التربة . . أحصُدُ من أرضى الخضرةَ . . ألوانَ الشمسِ . .
الليلَ الرابعَ عشر . . !

ـ ذاكرتى . . تاريخٌ مطوىٌ لا يُفتحُ قبلَ الموعد . .
محرائى يُفسحُ لى . . يُجرى إيقاعى . . أشعارِى . . أسرارى

ـ نحوَكِ ـ تهرُبُ من طرقاتى الأحجبةُ السوداءُ . .

ــ أمدُّ حواراً لا يهدأ . !
سمُ بالعينينْ الراحلتين بقلبى . .
بالكفين المانحتين اللؤلؤَ والحبْ . .

ــ من أجلك ياواحدتى . .
لن أرشوَ أحداً فى بابِكِ . . أحملُ أوراقى كاملةً . . أحملُ
دِرْعى . . سيفى . . أحمل قدرَ الشعراء . !

ــ كتب علينا السفرُ على أمواجٍ لا تهدأ . . !



...أنت والبلاد البعيدة

البلادُ البعيدةُ تُلقى بأثقالِها فوق صدرك
تستريحُ البلادُ البعيدةُ فوق ضفافك . .
تنمو على سفحِكِ الآن عبادَ شمسٍ
- وحُلْمَ قرنْفُلَةٍ بالنهارِ الجديد . .
اقبضي الآن من وهجِ العمرِ جمرةَ شوقٍ
ووجهاً من الحلم . .
كلُّ البلادِ البعيدةِ تأتي إليكِ
وتدفِنُ كلَّ الهمومِ بصدركِ - يارحبةَ الصدر -
امنحيها مزيداً من العمر
خيطاً من الفجر . .
دفقاً من النهر . .
إنها الآن تُقبلُ من زمنٍ باطلِ الوجهِ والقلب
تقبلُ من زمنٍ مجدبِ الكف - لا يمنحُ العاشقين - . .
. . . .

أىُ ضوءٍ بعينيْك حطّت لديه الحمائمُ
لاذَ به الغرباءُ . .
تبدَّدَ فى موجِه الوجعُ السرمدىُّ
تفجَّرَ فى جوفهِ الوعدُ بالمستحيل . .

ــ لن يهزِمَ القلبَ فى حبك الآنَ شيء
أحبُك . . . . .
(كلُ البلاد البعيدةِ تحملُ أثمنَ أحلامها)
لن تزحزحَ قلبِىَ عنكِ . .
(تحدَّثْ باللغةِ المستريحةِ)
لن تُفلحَ اليومَ فى لغةِ الحب . .

ــ بينى وبينَك . .
كلُ البراكينِ ثارت . . وكلُ الجنون
وفوقَ اللغاتِ التى عرَفَ القلبُ
بينى وبينك فوقَ اللغات
التى عرفَتْها البلادُ البعيدةُ . .

ــ ما عرفَ الشعرُ والعشقُ من قبلنا
أبجديتَنا المستحيلة ــ

١٠ / ٥ / ١٩٨٤

••• الثقوب

رأسِي .. مثقوبٌ من أذنىّ
مثقوبٌ من أنفى .. وفمى
مثقوبٌ من عينىّ ..
تخرجُ من رأسى .. أدخنةُ التبغِ
وتخرجُ منه الكلماتُ الجوفاء
وتخرجُ منه أعتَى النظرات ..
وتراودنى الخطواتُ إلى أقصى أسوارِ العالَم
وتشدُّ القدمينْ إلى الأسواقِ .. إلى الحاراتِ
إلى عُلبِ الليلِ الضيقةِ المثقوبة ..
ـ تتسلَّلُ منها أمطارُ الأحزان إلى قلبى الموجَع ـ
رأسى .. علبةُ ليلٍ مثقوبة ..
تهطلُ منه سحاباتُ الأحزان
تجعلُ قلبى غيْماً

وخطاىَ القادمةَ .. دبيباً
وقصائدَ شعرى .. سأَماً ..
أخرجُ من أذنىَّ .. لعلى أسمعُ صوتاً يأتينى
من خلفِ الغيم
يزلزلُ فى قلبِى الصخر ..
يُخرجنى من جُدرانِ السُقم .. وليلِ السكر
أخرجُ من أنفى .. أوقفُ زحفَ غبارِ الألوان
لعلى أمتصُّ الشفقَ الوردىَّ
لعلى أغزلُ من وهجِ الشمسِ خيوطاً من ضوءٍ وأمان ..
أخرج من عينىَّ ..
أرتادُ شقوقَ الأرضِ المجهولة
أبحثُ عن أسوارِ العالَم .. عن مدنٍ عذراء
أبحث عن ألم يتطهَّرُ فيه القلب
عن حُلم يَنْبُتُ فى أرضِ الخصب
أبحث عنىّ ...
عن موج لا يُلقينى فى شطِّ الخوف
وأغيبُ طويلاً عن رأسىِ المثقوبِ ...
فيتبعُنى .. يبحثُ عنى ..
يرسلُ خلفِى الموجَ .. ويرسلُ خلفى الريحَ ..

ويرسلُ أذرُعةً من لهبٍ .. وصُراخ ..
ـ تتلَقَّفُنى من حارات الليل الضيقةِ
ومن بين شقوقِ الأرض ـ
تقيِّدُنى .. تشطُرُنى قِطَعاً .. قطعاً ..
تعبر بى أسوارَ العالم .. كلُّ بحار العالم
تُدخلنى من رأسى :
بعضى من أذنىَّ
وبعضى الآخرُ من أنفى وفمى
وبقيةُ قِطَعى .. من عينىَّ

١ / ٣ / ١٩٨٣

● ●

... خداع النظر

(إلى أمل دنقل)

(قد يكونُ السواد ..

هو لونُ النجاةِ من الموت

لونُ التميمةِ ضدَّ الزمن ..)

أتُرى .. قد تعرَّتْ جراحُك واغتالَكَ الموتُ قسْراً

أم تُرى ..

لم تصدِّقْ حديثَ (اليمامةِ)

ـ وهى تحذِّر من عادياتِ المحن ـ

هل سئمتَ صراخك : (لا .. لا تصالح)

فغادرت أرضاً تدِبُّ عليها النعالُ الغريبةُ

تُقصَفُ فيها الرقابُ .. يشيخُ الزمن . !

واقفاً ترحل الآن ..

ما صمَتَ القلبُ .. ما شاع فيه الوهن

يَنْبُتُ الآن فوق الضفافِ سنابلَ

فوق التلالِ مشاعلَ
فوق أكفِّ الصحابِ .. عهوداً
ما افتقدت التميمةَ يوماً
وما استعرتْ تحت جلدِكَ نارُ السأم
ما انتحى الحرفُ فوقَ شفاهِكَ
ـ يبحث عن ساحةٍ ناعمة .
صدَق الظَّن : حين غفوتَ قليلاً
تعرّتْ جراحُكَ واغتالك الموتُ
لكنّ هذا السوادَ ـ الجديدَ عليك ـ
رأيناه حولك من زمن ..
كنتَ وحدَك ـ تشهدُه الأمسَ أبيضَ ـ
ياالخداعِ النظر !

٢٢ / ٥ / ١٩٨٣

● ●

...من وصايا الشيخ البدوى

وتوهَّجَ صوتُ الأرض ..
الليلةَ يا غرباءُ لقاء
الليلةَ سَكَنُ القلب .. وضوءُ العين وذاكرةُ الشهداء
الليلة .. حين يحدثنى قلبى عن حزنى .. عن وطنى ..
أتحدث عن ماء مسمومٍ
عن رملٍ محموم
عن صلوات صامتةٍ فى الأرض الدامية الوعْرة
قد أغرسُ فى وهَجِ الأرضِ ــ الليلةَ ــ زَنبقةً
قد أروى نخلةَ طفلى القادم
وتجىء عروسٌ تُلقى بضفائرِها فى النهر
وترجعُ ــ ساحرةً ــ يعشَقُها مثلِى الشعراء
قد أبكى ــ إذ يأتينى الشيخُ البدوىُّ ــ
ــ وفى يده سعْفُ النخلِ ــ

يعانقنى ــ ينسى السنواتِ الجدب ــ
يوادعنى ــ بعد السنواتِ الشوق ــ
يحدثنى ــ بعد السنواتِ الصمت ــ
أشهدُ فى عينيه مُطْوقةً
حَطَّتْ منهكةً فوق المئذنةِ
وجفّتْ فى وهجِ الشمس . .
يقول :
ائذنْ لى يا ولدى أن أتحدثَ باللغةِ المنسيةِ ــ من زمن ــ
قلت : تحدثْ بالقلب . .

فقلبى منذ تركتكَ فى الصحراء ــ بَرِيدِى لك ــ
فتململ قلبُ الشيخ البدوى
تلا شيئاً من سور القرآن
وشيئاً من أورادِ الليل . . وشيئاً من أحلامه . .

ــ يا ولدى . .
هل لى أن أكسِرَ أطواق الخوفِ الآن
ولا أتحسسَ زلزلةً فى أقدامى ــ عند السفح ! ــ

ــ يا شيخى البدوى . . (يقولون)
اخلعْ نعليْك الآن

إنك فى وادى الحب ..
ابدأ يا شيخى بالحب .. وسرْ بالحب ..
واضحكْ وابكِ ــ ولا تخجلْ ــ بالحب ..

ــ يا ولدى .. مهلاً
أتسمّعُ شيئاً فى قلبى ..
لا تأمن وجهَ غريمك
ضع يدَكَ اليمنى فى يده لو شئت
وأمسِكْ بشِمالِك سكيناً

ــ يا شيخى البدوى
أعرف ماذا تعنى ..
تلك جراحى جفَّتْ قشرتُها
فإذا شئتُ .. تلين
وإذا شئتُ .. غدتْ أمضَى من سكين
إنى آتٍ ــ لا تنسى ــ من غضبِ النهر
ومن جذْبِ الأرض
ومن وهجِ الشمس
ومن وجهِ الوطن الصخرى
ومن ذاكرةِ الشهداء . !

ـ يا ولدى .. صبراً
هذا يوم آتٍ من زمنِ الغرباء
هل تحملُ يا ولدى زادَ العشاق
هل تملكُ حُلماً للأطفالِ الآتين مع الغد . !
أعرف يا ولدى ..
أنْ عادت نخْلاتُ الأهل
ونجمُ الليل .. وحُلْمُ الريح وآبارُ الوُد ..
أتُرى .. أعددتَ الغَرْسَ .. وأعدتَ الحَب
وأعددت العينَ الساهرةَ ـ الليلَ القادم ـ
حسبُك يا ولدى غنَّيتَ .. وكبرّتَ .. وفاخرت
ونمَّقتَ كلاماً .. وقصائد ..
الآن صراخُ الأرضِ يهزُّ القلب ويُحيى الموتى ..
ويصكُّ الآذان ..
يبغى أن يتبدلَ وجهُ الصحراء ..
ويحيلَ الغَربةَ شمساً .. وورودا .. وجداول ماء ..
ـ يا شيخى البدوى ..
وصاياك بقلبى منذ سنين
أعرف حين ينازِعُنى عِشْقِى الغُرباء

وحين يقاسِمُنى خُبزى الغُرماء
وحين أكونُ شهيداً فى حبى
أو فى صمْتى أو فى حُزْنى . .

. . . .

رطَّبَ نهرُ الحبِ جبينَ الشيخ البدوى
وفك حصارَ القلب

أعطانى كيساً مختوماً . . قال :

ــ لا تفتحْه ياولدى الآن
حتى تزرعَ فى الأرضِ وصاياىْ
وتصبحَ نخلاً فى الصحراء !

١ / ٦ / ١٩٧٩

● ●

... انتظار بشاطئ النيل

- ما غادرَ الشعراءُ من مصرا
إنا عشِقْنَا الأرضَ والنهرْا
وتعانقتْ أقلامُنا .. غضَباً
وتشابكتْ آلامُنا .. صبْراً

- قادمٌ من دُوار البحار ..
قادم .. من بقايا الحوارِ .. على شفةِ الطير
من زمنٍ الغرباءْ ..
راحلٌ للضفافِ البعيدة
ينكرنى العشبُ والنخلُ ..
تحسُدنى الأعينُ الجامدة ..

راحلٌ ..
قد تهاجرُ شمسُ التراحم
فوق السهولِ

وفوق التلولِ ..
وفوق المدائنِ ..
قد يتغربُ صوتُ الفؤادْ
لكننى حين أسْتبِقُ الخطوَ أعدوُ إلى الأرض ..
أغْسِلُ جُرحى القديمَ
وأكتبُ فوق الضفافِ قصائدَ حب جديدة ...

ـ أنــعِــمْ صــبــاحــاً أيــهــا الــنــهــرُ
وتخــيرِّى مــا شــئــتِ يــا مصرُ
عــيــنىْ .. قــلــبــى .. كــلُّ أوردتى
وقــصــائــداً .. يــغــلــو لهــا المَــهْــرُ

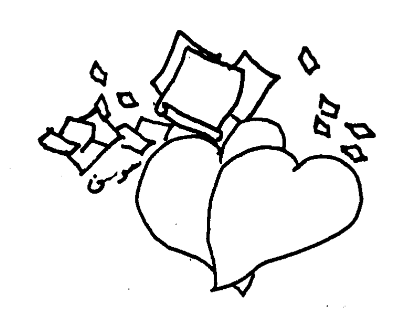
ـ قامةُ الحرف ـ سامقةٌ ـ لا تزال

فمدّوا الأكفَّ النظيفةَ بالحب ـ إخوتىَ الشعراء ـ
احفروا بأسنةِ أقلامِكم وبأسنانِكم .. بأسنّتِكم ..
إن حرفاً توهَّجَ يوماً .. وطالْ ..
لا يمدُّ يديه لذلِ السؤالْ ..
إن وجهاً يهاجرُ بالحبِ عبرَ البحارِ .. وفوق الرمالِ البعيدة
سوف يعدو إلى النهر بالغَرْسِ والسُنبلات الجديدة ..

للشعر أوطانُه ومآذنُه ومسلاتُه
وصداه المعاندُ فى كلِ قلبِ .. وفى كل أرضٍ تعود ..
ـ شعراؤُنا شربوا من النهرِ
وتعاهدوا يوماً .. على خير ..
أن يرفعوا للحبِ قامَتَه
بالصمتِ أحياناً .. وبالجهرِ
. . . .
آن أوانُ الصحو يارفاق
حين حروفُ الشعر تُسقطُ الأسوار
حين تظلُ كالسيوفِ مُشْرَعَة
وكالكئوسِ مُتْرَعَة
وكالأساطير التى تجيءُ من كهوفِ الليلِ بالألق
تحملُ للذين يَقْدِمُون بعدنا .. شهادةَ الرحيل
هل نملكُ الوجهَ الذى يُطلُّ فى الأفق ..
فتهرُبُ البروقُ من أمامه ..
والليلُ .. والأسئلةُ الملعونة
هل نملكُ الحُلمَ الذى يرقبُهُ الأطفالُ فى المساء

هل نملكُ اللسانَ ــ لا تخونُ فوقةَ العبارة ــ
لكى يظلَّ الشعرُ فى قلوبنا الوسامَ . .
والغرسَ وشارةَ الشهادة . .
آن أوانُ الصحوِ والبكارة
آن أوانُ الصحوِ والبكارة . !

٤ / ٥ / ١٩٨١



...أحلام قيس بن الملوح

عنّى ارتدَّتْ عيناكِ . .
ونحوَكِ همَّت عيناى . !

. . . .

هأنتِ تشقّين خباءَكِ حيناً . . وتُطلّين
هأنت تعودين إلى صمتكِ . . تبكين . .
وأنا . . أقبعُ فوق الربوةِ أرصُدُ ما تبغين . .
لعلك تتمنينْ الآن . . فلا ترتدُّ حياءً عيناك
لعلك تسعينْ إلىّ . . كما أهواك
أتعلّم منك الحُبَّ ــ إذا ما ألهبَ قلبَ الليل ــ
أكسير فيك الصمتَ إذا ما أسقطَ من يدنا
سيفَ الكلمات . .
أتعلَّمُ . . أطوى الحزنَ إذا ما صدأ على نافذة الشوق
أتعلم منك بداياتِ الأشياء :

(فإنى لأخشى أن أموتَ فُجاءةً
وفى النفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيَا
وإنى ليُنسينى لقاؤك كلما
لَقِيتُك يوماً أن أبثَّكِ مابِيَا)

. . . .

ليتَ لى العينَ التى تبرقُ فى الليلِ وترتادُ المسافاتِ القصيّة
ليت لى مركَبَ نوحٍ يعبُر الماءَ إلى أرض أمان ..
ليت عينيك تطلّانِ على جُرحى القديم ..
وتعيدان إلى ربوتنا حلمَ الطفولة :

(فوالله ثم اللهِ إنى لدائبٌ
أفكرُ ما ذنبى إليكِ .. فأعجَبُ
ووالله ما أدرى علامَ قتلتِنى
وأىَّ أمورى فيكِ ياليلُ أركبُ
أأقطعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونه
أم اشْربُ رنقاً منكمُو ليس يُشربُ
أم اهرُبُ حتى لا أرى لى مجاوزاً
أم اصنعُ ماذا .. أم أبوحُ فأُغلبُ)

. . . .

صمتاً .. صمتاً .. ليلاً من صمت
فأنا أسألُ بابى ـ حين تدقّين ـ
وأسأله حين تروحين ..

ـ أن يتغيرَ شىء ـ
ألَّا يسكنَنى مدُّ البحرِ .. وزمنٌ شوكىٌ محترقُ الوجه
ألا يغشى عينىَّ غبارُ الألوانِ .. الأصوات

ـ أسأل أن يتغير شىء ..

أن يصحوَ زمنى .. وطنى .. حلمُ طفولتنا الأولى
ألا ترتدَّ عيونُك عنى إذ همَّت عيناى
أسأل أن يتغير شىء !

. . . .

(ألا أيها النوَّام ويحكموا هبُّوا)
حرامٌ علينا أن يحُلَّ بنا الكرْب
بُعثتُ لكم ـ من بعدُ ـ مابىَ جنةٌ
ولكنَّ نارَ الحبِ فى القلبِ لا تخبو
أجىءُ فما ذنبى إذا جئتُ عاشقاً ..
حلفتُ بألا يَقْتُلَ الرجلَ الحبُ !

٩ / ١ / ١٩٨٢

...سيف عنترة .

وكان لكوكبنا فى الحوائط وجهٌ ..
وبين التواريخِ وجهٌ ..
وبين الكهوفِ العتيقةِ وجه ..
ـ وكنا صغاراً ..
أسابقُها فى التلالِ البعيدة
أتركُها فى الظهيرةِ تسبِقُنى
تتعثرُ فى الرمل .. تلهثُ متعبةً
فأحسُّ بدفءِ اللُّهاث .. ودفءِ اليدين .
وأمسحُ جبْهتَها بشفاهىَ
ـ كنا صغاراً ..
ـ تضاحكنا الشمسُ .. نضحكُ
يفجؤُنا الغيمُ .. تلمعُ بسمتنا
تُقبلُ الريح تملؤُنا بالضجيجِ .. نغنى ..

وكان لكوكبِنا فى الحوائطِ وجه ..
تسابِقُنا النجماتُ الصغيرةُ فى الأفق
نزهُو بأنا ــ على الأرضِ ــ نسبقُها
ونراوِغُها فى الدروب ..

ــ كبِرنا ..
وطالبنى العمُّ بالكوكبِ المتخفِّى بأعماقِ ليلٍ بعيد

ــ أيا عم .. رفقاً بأبنائِك الأبرياء

ــ مهرُ المليحةِ عيناى ــ

دمدم : مهرُ ابنتى دمُ تنين
مهرُ ابنتى طبقٌ فوقه الكوكبُ المفتَقَد

ــ ايه يا ابنةَ مالكَ
عيناى فوق التلالِ البعيدةِ تزرعُ نخلاً .. وفُلاًّ .. ووعداً ..
وما كنتُ يوماً بعيداً عن العِشق
يادارةَ الشوقِ إنى مررتُ بكلِ الأزقّة
أحفظُ كلَّ البيوتِ .. وكلَّ الوجوه
.. أحدِّثُ من شئتُ .. أنقشُ وجهى بكلِ جدار
وأكتبُ شعراً تغنّيه أحلى الصبايا

ـ على ضفةِ النهرِ ـ
لا تجعلي الغدَ يهرُب منكِ
سأرحلُ .. لا أعرفُ الآن أين مطافى
متى العوْدُ ..
ياعبلُ .. كونى بعينىّ .. ألمِس كوكبنا المفتقد
(وددتُ أنى صدفٌ .. وأنت فيه جوهرة)
(فى موضع لم يسمعِ الفُلكُ به .. ولم يره)[1]
ـ أفديكَ بالقلب وبالحياةِ .. عنترة
أعطيكَ ضوءَ العينِ .. عنترة ..
ـ غداً أعودُ يا حبيبتى المنتظِرة ..
أسوقُ من أمامىَ الكواكب المزدهِرة ..
ـ غدا تعود يا حبيبى ..
رسمتُ فوق صدرِكَ العلامة
وفوق خدّكَ الرقيق .. شامة
وفى شغافِ القلبِ .. هذه تميمتى الوحيدة ..
غداً تعودُ للتلال .. للصبا ..

---

(١) مسرحية عنترة للشاعر أحمد شوقى

ومن جديدٍ .. يبدأ الميلاد

. . . .

ورحت أسافرُ ..
ترفُقُ بى الريحُ حيناً .. وحيناً تراوغنى
فأهيمُ كسيراً مع الليلِ .. والصحراء
(ياليتَنَا ياعبلُ عصفورتان ..
فى غُصَن ضالٍ أو على فرعِ بانْ)
(على جناحيْك جناحى ..
وفى فمى ـ مكانَ الحب ـ هذا الجُمان)[1]
وتعصفُ بى الريح ..
ـ لن تبلغ الكلماتُ فؤادكِ ياعبل ..
لن تتخطّى رقابَ الوحوشِ .. وحرُّ الظهيرة .. والغيم
ليلَ .. يخلوُ من الحسّ .. يخلوُ من النجَماتِ
كنتِ لى الحسَّ .. كنتِ لىَ النجَماتِ النديةَ ..
لكنَّ مثلى تهونُ عليه الصعاب ...
تهون ...

. . . .

---

(١) مسرحية عنترة للشاعر أحمد شوقى

تنادين . ؟
أين . ؟

كأنى أسمعُ صوتَكِ ـ خلفَ الغيوم
عبرتُ الفيافى إليك . .
أسِرْتُ الوحوشَ . . نزعتُ فراءَ الثعالب
قيدتُ كل الأفاعىَ
لم يبقَ غيرُ بقايا من الليل
مازلتُ أضربُها بالحُسام . !
ـ قادمٌ بعد حين إليك . .
بصدرى العلامة . .
وبالخَدِّ شامة
ـ وبين فؤادى . . التميمة . .

. . . .

ـ أيا عم علّقتُ فى طرفِ السيفِ كوكَبنا
جئتُ يا عم . . مهرُ المليحةِ « نوقُ العصافير »

مهرُ المليحة . . ريحٌ معطلةٌ وغيومٌ ممزقةٌ
ونجومٌ تنوحُ بكفىّ
كُلاًّ أسِرتُ . . وكُلاًّ حملتُ إليك . .
. . . .

صمَتَ العمُ .. حامتْ صقورٌ ..
وغامت بعينىَّ كلُ النجومِ ..
ـ كيف يا عمُّ .. كيف .. ؟
كيف يا عم تنسىَ وعودَك لىِ الأمس
كيف تخونْ .. ؟
وأنا .. فارسٌ .. لا يهون
أتُرى .. خِفتَ ألَّا أعود ..
أتُرى .. خِفتَ أن يصدأ السيفُ
أو يتعثرَ خطوُ الجنود
أم ترى .. خفتَ وجهَ العدو العنيد ..
لست عمى من اليوم ـ قاتَلَكَ الله ! ـ
لكننى أبحثُ الآن عن عبلِ فى كلِ غيل ..
سوف أُرجعها للتلالِ الحبيبة
للضوءِ فوق الحوائط .. بين التواريخ .. بين الكهوف ..
إنها واعدتنى .. ولستُ بمن يُخلفُ الوعدَ أو من يخون
لست عمى من اليوم ـ قاتلك الله ـ
حتى أعيدَ المليحةَ للأرض
للنخلات الحزينة من زمنٍ ..
وأعيدَ النجوم العنيدة !

١٤ / ٨ / ١٩٨١

... الخنساء
توصى أبناءها الأربعة

منتظرٌ أن تنتبهى الليلةَ ياخنساء
منتظرٌ أن يُسمحَ لى . . .
أنفضُ عن قلبى الهم
وأكسرُ صمتَ الفم . .
أذكرُ – فى غُلَواءِ – حين تباركَ وجهُ الوطنِ
وحين انحسرَ الظلُّ وحين أجَدْنا اللُعبة . .
أذكر كيف انطلقتْ عيناكِ وصايا ويداك هدايا
وعصاكِ مشاعلَ فى وسطِ الحَلَبة . .
قالوا عنا : إنا لا طاقةَ نحملُها فى القلب
لا ناقةَ تُزكى فينا وهجَ الحرب
لكنكِ – ساهرةً – كنتِ تُعدين العدة
حتى طَلَعتْ شمسُ الصحراء ولبِسْنا عُدَّتنا . .
أسقَطَ كلُّ منا – كلَّ مواعيدِ العشقِ السرية –

قلتِ حديثا نذكُرهُ فى زمنِ الشِّدَّة :
ـ [يا أبناءَ الموت . . شُدُّوا فى الحلبة
لا أبغى أن ألقاكُمْ أحياءَ . . تضيعُ خُطاكمْ وسطَ الجلَبَة
يا أبناءَ الموت
أربعةٌ أنتم فى زاويةِ الوطنِ الممتد
انصَهِروا فى لهبِ الشمس
انفرِطوا فى الساحةِ أشلاءً وشظايا
لكنْ . . لا تختلفُوا فى القسمةِ ـ حين تفوزون ـ
فيغافلكُم خطوُ الغرباء . .
يتسرَّبُ من بين صفوفِكمُ الملتصقة
يطأُ الخُضرةَ فى أرضى . . ويداهِمُ عينىّ
أربعةٌ أنتم . . لا تأخذُكم فى ساحتِكم رحمة
موتوا . . أو عودُوا بغنائمِكم كاملةَ العد .]
. . . .
عدنا يا أمُّ ببعضِ غنائمنا
داهمَنَا خطوُ الغرباء . .
وطِئُوا الخضرةَ فى أرضِكِ ـ ضاعتْ قِسْمتُنا ـ
كنتِ تودِّين الموتَ لنا . .
أو كلَّ غنائمنا ـ كاملةَ العد ـ

عُدْنا أربعةً ـ لم نخسرْ شيئاً ـ
كنا نحسَبُ بعض غنائمِنا ـ ما تبغين ـ
كنا نحسب :
حين تباركَ فى أعيننا الوطنُ
أن غابتْ عنا المحنُ

أن أسقطَ سنواتِ هزائمِنا الزمنُ
أن ودَّعَنا فى ساحِتنا الوهنُ
أن طُوِيَتْ فى الأرضِ دموعُ الأطفال . .

كنا نحسب :
حين يصيرُ الوجهُ وجوهاً زاحفةً فى الحلَبة
حين يصيرُ القلبُ الواحدُ ألفاً
حين يصيرُ النَفَسُ الواحدُ فى الصدرِ لُهاثا . .

ـ أنا أدركْنا ما تبغين ! ـ
لكنكِ يا خنساءُ أدرتِ لنا ظهرَكِ فوقَ التل
أجريتِ دموعَك أنهاراً . .
أبكيتِ طيورَ الساحة . .
انفرطتْ من أيدينا باقاتُ الغُلَواء . !
كِدْنا . . يبرأُ منا قلبكُ

أنكرتِ العودةَ .. والجلبةَ .. والزهوَ المتخم
وأشرتِ إلى جُرح الوطنِ على ساحلِنا ـ لم يهدأ ـ
أشرتِ إلى قلبٍ مازال يئنْ ..
أنزلتِ الأوسمةَ .. وجردتِ الصدرَ من الشارات
قلتِ حديثاً يُسقطُ جدرانَ القلب :

ـ[يا أبناءَ الموت ..
لم تنصهرُا فى لَهبِ الشمس
لم تنفرطُوا أشلاءً وشظايا
أربعةٌ أنتم فى زاويةِ الوطنِ المهزومة
شجرَاتُ الأرزِ تناديكم .. من فوق التل
وعيونُ الشهداء تراقبكُم من فوق السهل
وكتاباتٌ باهتةٌ تصرخُ فوق الجدران ..
فلماذا أنتم أحياءُ الآن .. ؟
لا وقتَ لديكم أن يتفيأ أحدٌ منكم أحلامَ الظل ..
صارَ الحلمُ الواحدُ .. أن يمتشقَ الوطنُ على ساريةٍ لا تسقط
صارَ الوجهُ الواحدُ ..
أن تطلُعَ شمسُ الأطفالِ بلا غيمة

موتوا .. أوعودُوا بغنائمكم كاملة العد . !]

ـ أماه . . القتْلى فى الساحِة شهداءُ عند الله
ـ [يا أبنائى . . لا يعنينى أن تغدُوا شهداءَ الغد
فالوطنُ شهيدٌ من زمنٍ
آه . . لو يعرف أحد منكم كم قُتِلَ الوطن قديماً
كم يُقْتل . !
كَمْ كان شهيداً . . . كَمْ]
ـ أماه . . لا ناقةَ فى بيروت
ولا جملَ لنا فى الصحراء
ـ [يا أبنائى . . ماذا جَدّ عليكم
ولماذا تُحيُّونى من صمتى . .
كيف تصمُّون الآذان . .
إلا عنِ صوتِ الجلبةِ والزهوِ المُتخم
وصراخُ الأطفالِ قلاعٌ متناثرةٌ بين الأنواء . !
كيف جهلتم حقَّ الوطن الهَرِمِ على الأبناء ؟ !]
. . . .
الآن نحار . .
اختلطتْ فى أعيننا الكلمات
لا نعرفُ من منا ينتبهُ الليلةَ ياخنساءُ

نحنُ .. المهمومون المنكسرون
أم الملاحون المغتالون على أرصفةِ الميناء
يدقُّون التابوتْ ..
ويسوقُون الموتَ قطيعاً فوق تلالِ الصحراءْ ..
ــ الآن نحار ..
لا نعرف من منا ينتبهُ يا خنساء
أنت .. ــ بما يحملُ قلبُك من حب ــ
أم نحن .. الأبناءُ الموتى ؟ !

١٠ / ١٠ / ١٩٨٢

● ●

... الإدمـــان

ـ فى غَسقِ الليل
يتفتحُ وردُكِ فى أحضانى
تنسابُ جداولُكِ الرَّقراقةُ بين حقولى
أسنُدُ رأسى لوسائِد صدرك . .
أحلُمُ بالشوقِ . . وبالملكوت . .

ـ فى غسقِ الليل . .
تتعانقُ أمواجُ الذكرى . . يُولدُ صمْتُ الألوان
يتلاشى الزمنُ . . نغوصُ بأحلامِ الإدمان
نصحو مذْ بدأ العالم
نصنعُ رغبتنا تثمر فى يدِنا اللمسات . .
(فى بدءِ العالَمِ . . كان . . الحب . !)
لا تعلنْ عن جُرمِكَ ياقابيل
والزمْ أوحالَ العصيان ـ وقوفاً أو نوماً دون حراك ـ

أو فانهض خوفاً ــ ألق بنفسِكَ فى بحرِ الغفران ــ
باعوا آلامَك زمناً فى أطباقِ النسيان
شربناها .. أُطعِمْناها : لوماً .. وذنوباً .. وسكوناً
. . . .
غُضَّ الطرفَ الآن
فكلُّ العشاقِ انصرفوا وبأيديهم صكُّ العصيانِ
سألتُ أئمتَهم : ماذا يبقى للعالم
إذ تُجدبُ ساحتُه الآن ! ؟
وقفوا فى وجهى .. ختموا بالصمتِ على كلماتى
شَدُّوا من حولى أحزمةَ الآلام
لم يَقْبَلْ أحدٌ منهم أن يفضَحَ سرَّ جهالتنا
فى وجه الكُهان ..
عفواً .. (فى بدء العالم .. كان العصيان ..)
لكنا الآن ..
نتكسَّرُ فوق الأمواجِ بلا ألوان
نتجمَّدُ أخشاباً ..
لا نملكُ مجدافاً يُلقينا فى شِط الغفران
أخفيْنا وجهَ الشمسِ وراءَ الجدران

ـ أمي تنتظرُ قدومي
لا تُلقوا بين يديها ثوبي أو رائحتي
نسِيَتْ أمي مذ كنتُ وليداً هذا الجسدَ العُريان
أمي .. غابت في حزنٍ قاتم
ـ نسَيت هذا الحبَ النابعَ من صمت القلب ـ
في بدء العالم .. كان .. وكان ..
لا تُكمِلْ ياقابيل

ما كان الحبُّ .. وما كان العصيان
دعنا نبحثْ عن وجه الزمن الغابر بين الألوان ..
إنا مارسْنا الإدمان ..

. . . .

في غسق الليل
أحلُمُ ما شئتُ ببدءِ العالم
أُدمنُ ما شئتُ : الحبَ
الخوفَ .. الوهمَ .. الصمتَ .. النسيان ..
فلعلي أُخرجُ قابيلَ من العصيان
وتبينُ ملامحُ وجهِ الزمنِ ..
وخطوُ الإنسان !

٣٠ / ١ / ١٩٨٣

... التوجس

قد تحاصرنى فى الدروب العيون
قد تشيرُ الاصابعُ لى بالجنون ..
قد تكونُ النوافذُ مطفأةً
والورودُ مشققةً
ووعودُ الرفاقِ .. ظنون ..
قد يباعدُ بينى وبين الوجوهِ ضبابٌ
وبينى وبين الخُطى ألفُ ميلٍ
وبينى وبين النهارِ .. حصون ..
. . . .

قيل : بعدَ قليل .. تكونُ النُبوءةُ
يستعرُ الشوقُ .. يُقبلُ إخوتُنا الغائبون
انتظرْنا طويلاً على أولِ الدرْب ..
ــ كانت عيونُ اليمامةِ ترصُدُ ــ

قالت حديثَ الخرافةِ حيناً
وحيناً . . توشَّحَ وجهُ اليمامة بالصمتِ
واختلف العاشقُون . .
قيل سوفَ يجيء المطر . .
وحملنا الأوانى القديمةَ . . كانت غيومُ السماءِ سراباً
وتغيبُ اليمامةُ ــ نذكرُ ما قيلَ بالأمس ــ
(ــ تلك جبالٌ تسير . !)
تحُدِّثُ أعمدةُ البرقِ ــ أن جبالاً تسير ــ
تحدِّثنا الريحُ ــ أن جبالاً تسير ــ
ونحن نظن الأحاديثَ وهما . .
(ــ وباعد بين الرفاق الطريق ــ)
. . . .
كنتُ فى العاشقين زماناً . . وغبتُ
وكنتُ أصيحُ بما ثارَ فى القلب
كنتُ أصدِّق أعمدةَ البرقِ
أعشقُ وجهَ اليمامةِ . . أعشق مقلتَها الباصرة
أُصبِحُ الآن :
تنكرنى فى الدروبِ العيون
تشيرُ الأصابعُ لى بالجنون

ـ ليكن ما يكون . .
فما عدتُ أحملُ إلا النبوءةَ ـ ذاكرةً ـ
وانتظارَ المطر . .

٤ / ١٠ / ١٩٨٣



... أمام تمثال دون كيشوت

ـ أُلقى تحيةَ الصباحِ .. لا تُجيب
لأن سيفَك النارىَّ مشغولٌ كأنه يُصيب ..
مدربٌ على النضالِ والحُروب
لا يخطىءُ المسار ..
ـ أُلقى تحيةَ الصباح ..
لكنَّكَ الآن تودّ لو تُسقطُنى
تحت حصانِكَ المسكين ..
تصيحُ فى وجهِ الذين يسخَرُون ..
أنك لم تُخفِقْ .. ولن تهون . !
. . . .
وقفتُ ساعةً فى ظلِ شجرة
وأنتَ .. ممسكٌ بقبضةِ السيفِ وعُنُقِ الحصان ..
أنظرُ فى عينيكَ حسرةَ الفرسان

حين يعودُون بلا غنائمٍ .. ولا سِنَان ..

. . . .

هُيىءَ لى أن جوادَك المسكين
يوشِكُ أن يخور . . .
من شدةِ الجوعِ .. ومن ترقُّبِ المصير
وأن ذلك التابعَ ـ خلفَك ـ الآن يسير
مكبَّلاً بالوهمِ والقصور ..
وأن سيفَكَ المسحور
صار بلا جدوى ولا نصير ..

ـ هُيىءَ لى أنك لو تقدمتَ إلى الأمام ـ خُطوةً ـ
لكنتَ هابطاً فى لُجةٍ من الغَرق ..
لكننى .. أدركتُ قبل أن ينالَنى الفَرَق
أنك مصنُوعٌ من الفولاذِ والقَصْدير ..
وأنهم .. حين رَمَوْك هكذا فى الطَلَلِ والعراء
كانوا يودُّون لنا أن نستعيدَ سيرتَكَ
وأن نصِيحَ صيحتَك ..
فى وجه من باعُوا مصيرَنَا
وأوقفوا الخطُى .. وأثخنُوا الجراح ..

حتى إذا أتى الصباحُ ـ ياصديقنا ـ ولا تجيب
نعرفُ كم أحاطنا الهوان . .
وكم رضِينا أن يجيئَنا ألفُ صباحٍ . . وصباح
من غير أن تطْلُعَ شمسُ الحُلمِ والأمان . . .
الآن يا صديق . .
نعلم كيفَ لم تُجبْ سخريةَ العيون
وكيف أن سيفَكَ الناريّ
يشقُّ صدرَ ذلك الفضاءِ . . لا يملُّ لا يخور . .
يصيح بالذين يعبُرون . .
ـ أن اسخروُا مثلى . . وفَتّحُوا العيون
فلن يكونَ الغدُ باسماً جديداً
وكلُّ من يَمُرُّ من هنا . . يهون . .

مدريد ١٢ / ١٢ / ١٩٨٣

● ●

... أحـزان غرناطـة

أستدفىءُ فى شمسِكِ أم فى أبراجِك
أصحَبُ خطوَكِ .. أم أتوقفُ فى محرابِك ..

ـ منِ كل بلادِ الله أتيتُ إليك ـ
عانيتُ السفرِ .. وقاسيتُ مهالكَهُ
واستروحتُ نسيمَكْ !

ـ هل لِك فى العشْقِ الآن ! ؟
أم أنكِ لا تمتلكينَ القُدرة ؟ !

ـ هل لك فى العودةِ .. والصحبةِ .. والليلاتِ العسّلية
أم أن ظلامَ العالمِ نالَكِ فى ليلةِ عُرسك ! ؟

. . . .

ناحت فوق مآذنكِ الغرْبان
وتراختْ فى أبوابكِ أيدى العُشاق

لا تملكُ أن تطرُقَها .. أو تدخُلَ ساحاتِك . !

. . . .

جئتُكِ .. أعشقُ أيامَكِ من زمنٍ
أحمل بين يديَّ بَخُورى ..
ـ أُحرقُه خلفَ الأسوار ـ
لعلى أملك أن أستحضرَ جنيَّ الأسرار
أو أُحْيِيَ شيئاً ـ من زمنٍ ـ مات ..
أو أزرعَ تحت مياهِكِ أحلامَ عرائسِك المفقودة . !

. . . .

لكأنى الآن على موعد ..
وكأن ملوكَكِ باتوا يأتمرون
على من يوقظُهم من أحلىَ نوم
جئتُك والعالمُ من حولى يتمطّى زهْوا
أنخلعُ عيوناً .. وجذوراً .. وقصائد ..
أخلعُ عن وجهى أقنعةَ الصمتِ الباهتةَ اللون
أصرخ فى من يلقانى من حراسِك :
أسأل :

ـ أين تغيبُ سطورُ الزمنِ الساحق
ومتى تأتى أقمارُك ثانيةً
لتراقصَ فى الليل قبابَك . .

ـ أصرخ . . لكنى لا أقبضُ غيرَ الريح
وصدىً يتلقفنى بين الجدران
يذبحُ فى داخلَ العشق
لا أجرؤُ ساعتها أن أتخطى أسوارَك . !

قصر الحمراء ١٤ / ١٢ / ١٩٨٣

● ●

••• اليوم الثامن

[إلى شهداء صابرا وشاتيلا]

فى سبعةِ أيام تُفرغُ كلُّ الأكواب
تُعرضُ ألوانٌ شتى .. كى نختارَ اللون الواحد
تُفتحُ نافذةُ الأشواقِ .. لعل الشمسَ تعود ..

. . . .

صاحوا : لو تتوقَّفُ دوراتُ الأرض
ويأتى اليومُ الثامن . !
ـ يصنعُ أرضاً وسماءً .. ووجوهاً للزمنِ القادم . ! ـ

. . . .

ها نحن مضغْنا الأشواكَ .. وذقنا الأوجاعَ المرّة
وتسابقنا .. فانكسرَ البعضُ .. وشدَّ البعض
ورحَلْنا زمناً .. لم نمكثْ فى أرضٍ خطواتٍ
ـ خشيةَ أن تتجمد فيها الأقدام ـ

ها نحن انفرجتْ أيدينا .. تنثرُ ما ادخرتْهُ من حَبّ

ـ لم يَبْقَ بأيدينا غيرُ الريح ـ

ـ قالوا : لو تتوقفُ دوراتُ الأرض . . .
لكنَّ الساحةَ خاليةٌ إلا من تمثالٍ خشبى
يشكو بردَ الريح .. وقهرَ الجذْب

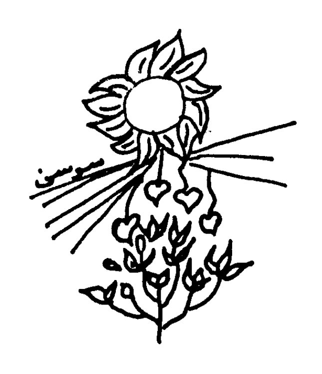
ـ لا خضرةَ تُلبِسُه ثوبَ الحراس ! ـ
هذا مزمارى يصمتُ
يخشى أن يعجِز ـ يوماً ـ حين يُطالبهُ الأطفال ..
أن يشدوَ معهم موالَ الحِنطة ـ
هذى أمُ الأطفال أذابتْ فى الماء الحَصَيَات
ـ تنتظُر عشاءَ اليومِ الثامن ـ
غَمرتْ كفيْها بالحِنّاء
لعلّ العيدَ يجىء ..

. . . .

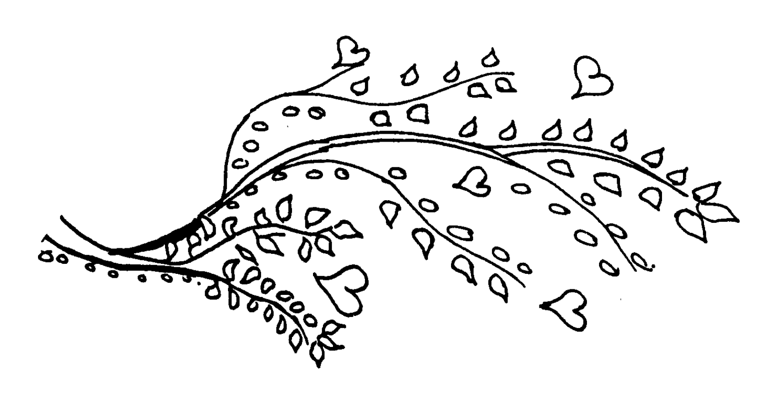
صار الحُلمُ بُراقاً ممدوذَ الخطْو
يحملنا حيثُ ينادى الموتى والشهداء
حيث تطولُ القاماتُ .. تغنى للمطرِ القادم

فمتى يأتي اليومُ الثامن . .
ومتى يمتشقُ على سارية الشمسِ
وجهُ الوطنِ الغائب . !

١٤ / ٣ / ١٩٨٤




العطش الأكبر



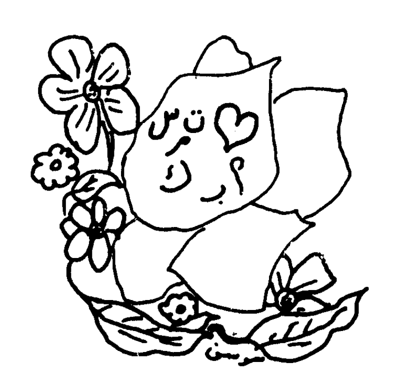
... أبجدية

نِصفى فى ماءِ النهر
ونصفى الآخرُ فى عينيْكِ . .
أتكيءُ على حجرٍ مُلقى فوقَ الرمل
نقشْنَا يوماً أولَ أحرفِنا فوقه
أشهَدْنا الشجرَ . . وأشهَدْنا الطيرَ
وأشهدْنا أهرامَ الحُلمِ الدافىء . .
بادَلَنى حُبُكِ خوفاً وجنُونا
ومسافاتٍ لا يعرفُ أحدُ منا قِبلتَها
بادَلَنى حُبكِ جِسراً ممتداً . . ونخيلاً
وضِفافا . .
شاكسْنا النهرَ . .
وشاكسْنا المطرَ
وهدهَدْنا الليلَ الدافىء . .
ومسحْنا فوق جبينِ العُشاق

وأجبنا أسئلةَ الأعينِ ــ وهى تحاصِرُنا سُخْطا ــ
ــ ترحلُ فى مُدُن نائيةٍ .
ــ وتجىءُ محملةً بالأوحال .
ــ نمدّ إليها نهرَ الحب .
ــ فلا تفتحُ كفيْها للحب .
جيئى يا حوراءَ العينين
أجيبى أسئلَتى
(لا تنتبهى للأسئلةِ الملعونة
وهى تجىءُ محملةً بالأوحال)
أجيبى حُلمى المتوقِّدَ فى عينىَّ
هاتى كفيْكِ الحانيتين
وبسمتَكِ العذبة
قولى للنهرِ السابحِ فى عينىَّ
ــ أن يترفقَ بى . .
وأريحى فوق يديْكِ جبينِى المتعب
وأجيبى :
كيف غدوتِ اليوم :
ــ وأنا فوقَ غصونك ــ
ــ أحرسُ عينيك ــ

ـ أحيا فى عينيك ـ
ـ أرضى أن يغرَقَ نصفِى
فى عينْيك ! ـ

٢٥ / ٣ / ١٩٨٢



... الأوسمة

لحظةً .. وتنادينَ عند الشفَق
لحظةً .. وتلوحُ مع الضوءِ عيناكِ
أصعدُ ....
أقرأ فيها كتابَ الألَق ..
لاحَ وجهُكِ .. يمنحُ وجهى الأمانَ
يعلّمنى لغةَ العشق ..
جاء .. يضاحِكُنى .. يغسلُ الحزنَ فى القلب
يمنحُنى الأوسمة ..
إننى الآن أحفظُ كلَّ ملامحِ وجهكِ
لن تستطيعَ الرياحُ القديمةُ أن تنهَشَ الآنَ سحرَ الملامح
لن تستطيع الجراحُ القديمةُ أن تنزفَ الآنَ
أحرسُ وجهَكِ ــ لا يحتوينى النُعاس ــ
أحرسُ الآن نهرَكِ ..
ــ لا أدع الغيرَ ينهلُه ــ

أحرسُ الآن عشبَكِ .. فَيْءَ نخيلِك
كلُّ مواويلِك الخُضْرِ
ــ يشدو بها ساهرٌ فى الليالى الندية ــ
أحرسُ عينيكِ حين يطلُّ الزمانُ القديم

ــ يحدِّثُ عنكِ .. ويحملُ فى صدرِه الأوسمة ــ
صرتُ وجهَكِ منذ تشربتُ ضوءَكِ
صرت عيونَك منذ اشتعلتُ اتقاداً .. ووجدا
صرتُ صوتَكِ ..
منذ أرحتُ فؤادىَ فوق وسائدِ نهرِكِ
أزرعُ نبضاً .. وحُلماً .. ووعدا ــ
صرتُ منكِ ومنى ..
توحَّدَ قلبى وقلبُكِ ..
أعلمُ حين تغيبين أنكِ ملءَ دَمى تسبحينَ .. وتسْرِين
أعلم حين تعودينَ
أنك جئتِ ــ إلىّ ــ تفرِّينَ
أفتح قلبى ــ جناحينْ
بالشوقِ تشتعلين
أحسُّ بدفءِ الشفقْ

ومعاً نتواعد . .
نغرسُ حلمَ السنابلِ
عرسَ الطفولةِ
لا نفترقْ . !

٨ / ١٢ / ١٩٨١

• •

...وجهى على جبل فى الرياح

لا أكابر . .
أعرف حين تغيبين . .
كيف تطولُ المسافاتُ . .
كيف تجفُّ عروقىَ . . يمتصُّها الليل
ينحسرُ النهرُ . .
يصّاعدُ الحزنُ فوق السنابل . .
لا أكابر
أعرفُ حين تعودين
أىَّ القطارات . . أىَّ القوافل . .
قد أعيدُ الذى قلتُ من قبل . .
عيناك تنطلقان معى : لغةً
وارتعاشاً
وعاصفةً . . وسراجا
تتهادى الحروفُ على صدرِك الرحب

ـ يبحثُ عن نبعِهِ النهرُ ـ
يأخذ مجراه فى طُرُقِ الذاكرة ـ
لا أكابر . .
أعرفُ عنكِ الكثيرَ . .
(وأعرف أنك تأتين عَدْواً لمن يُقبِلُ
وتعتصرين اشتياقاً لمن يرْحَلُ
ويغضَبُ قلبُكِ حين أظلُّ أطيلُ التساؤلَ
عن سر أسفارِكِ الماضيات
ويقفز قلبك حين أجيئك باللفتاتِ وبالضحكات . .)
وأكتبُ كل صباحٍ رسائلَ منهكةً
(ـ مذ عرفتُكِ . .
أقسمُ باسمِكِ . .
أوهمُ كلَّ الرفاقِ بأنى نديمُك ـ وحدىَ ـ بالليل
أنَّ لونُ عيونِك ـ فى الصبح ـ
علّكِ تستمعينَ . . وتقتربين . !)
أكادُ أُجن . .
أكادُ أغيرُ لونَ دمائى . .
أكاد أغيرُ لونَ حروفىَ . .
أنتِ . . ابتعدتِ كثيراً . . وأمعنْتِ

أما أنا . .
فسأبحثُ عن وجهىَ الآن
علِّى أراه على جبلٍ فى الرياح . !

١٢ / ١٢ / ١٩٧٩

● ●

●●● بعيداً عن الحلم

يسكُنُنى وهجٌ ..
لا أعرفُ إن كان بقلبى ..
أو بين شرايينِ دمى ..
لا أدرى .. عُلوياً .. أم شيطانيا
مقذوفاً فى أعماقى من شمسِى
أم آتٍ من جَمْرِ الأرض ..
يسكُننى .. أتبعُه بين خلاياى ..

ـ يهرُبُ منى ـ
أراوغهُ .. يُفلتُ منى
أُخفى نفسى فى ظلِ الرئةِ اليُسرى ..

ـ أحياناً .. يُصبح حبْلَ وريد
أسرعُ للرأسِ الشبكىّ
فأقبضُ كلَّ حبالى بين السَّبابةِ والإبهام

لكنى أُخفقُ أن أخنُقَ هذا الوهجَ برأسى . .

ــ أحياناً أخرى . .

يتلوّنُ فى خلجاتى . .

يتشكّلُ فى وجهى بين البصرِ . . وبين السمع . .

تعِبَ الرأسُ . .

فأوقفتُ الساقيةَ عن الدوران

وحررتُ الثور . .

وتكوّرتُ بكفّى . .

ــ فى أقرب موجٍ ألقيتُ الكومةَ حتى

ينطفىء الوهجُ بهذا البحرــ

لكن الوهجَ أحال البحرَ الساكنَ

ــ عاصفةً هوجاء ــ

ــ وموجاً من جمرــ

فزِعَتْ حيتانُ البحر . .

اصطرعتْ أسرابُ الطير

اهتزتْ طبقاتُ الأرضِ الساكنةُ

تفجّرْتُ . . تناثرْتُ . . توحدْتُ مع الموج

أتحررُ من هذا القيدِ المشدودِ على رئتىْ

. . . .

كلَّ صباحٍ تأتيني أحلامى فوق الأرض
تقفُ على شطِّ البحر
تدعونى أن أنسِجَها ثانيةً فى الليل
وأنا . . غذّانى ملحُ البحر
انتفخت أوردتى بالملحِ . . وباللهبِ . . وبالمد . .
لا حاجة لى أن أحلُم
أو أخرجَ من جسدى . . وأعود !

● ●

... فاتحة للبحر

تمكثُ الطيرُ حولَ الينابيع .. حتى تجفُّ الينابيعُ
أو تتوجعَ تحت العواصف ..
أرحلُ الآن .. تلفحُ وجهى الرمالُ ..
أخبىءُ فى الجلدِ سُنبلةً ظمِئت فوق ضفةِ نهرى القديم
ساءلتنى بكلِ اللغاتِ التى عَرَفَتْ .. فادعيتُ الجهالةَ ..
كنت أقول :
لعلَّ خرائطَ أرضِ الينابيعِ تمنحُنى الماءَ والدفءَ
والأعينَ النُجْلَ
كنت أظنُّ السحائبَ تمطرنى .. فتكفُّ عن الوخز سُنبلَتى
كنت أرقبُ منعطَفَ الليلِ .. علَّ الرياحَ تسوق
المهانينَ مثلى .. المساكينَ مثلى
فنروى السنابلَ بالدمعِ ..
نبحثُ عن وهجٍ لا يضيع ..!
أرحل الآن مثلَ الطيورِ الطريدةِ

أرحل قافلةً لا تكفُّ عن السير . .
حتى يروِّعَنى البحرُ . . مثلَ النبوءةِ :

ـ إني أصدِّقكَ الآن . !
ملحُ أُجاجُ . . وغِمْدُ الحكايا القديمةِ . . والمدنِ الخزفيةِ
والغزواتِ الجريحة . . والحُلمِ بالعاشقين الذين يجيئون
عند الصباح . . وأطفالِنا الأبرياء . .

ـ أصدِّقُكَ الآن . !
كنتَ بقلبىَ منذ الطفولةِ . .
(أخطأتُ خطوى إليكَ ـ زماناً ـ وما كنتُ أعلم
أنك تمنحُ كلَّ الينابيعِ ماءَك)
أصدقك الآن حتى تعانقَنى ـ قادماً من زمانِ الجفاف ـ
أقصُّ جناحىَّ بين يديك . .

. . . .

أطْرَقَ البحرُ أمواجَه . . شمَّ رائحةَ الدمعِ فى القلبِ
همَّ يحاورنى :

ـ تعلم الآن أن البحارَ عميقةْ . .
أن كلَّ اللغاتِ التى سوف تعرفُها . . مالحةْ

أن كل الجراحِ هنا .·. قاتلة .!
قلت : أبغى التعلُّمَ بين يديك . .
أكتب الآن فوقَ مياهِكَ . . أيُّ الوصايا تريد . .
وأى الحكايا التى يتسلى فؤادك فيها . .
وأىُّ القصائدِ . .
أفتح قلبى . . أنظِّفُه الآن . .
تمنحُه الشوقَ
تمنحُه الأحجبة . .
ـ أغرسُ الآن عشبَكَ . .
ـ أعشق واحدةً من صباياكَ . .
ـ أبغى التعلمَ بين يديك . .
قال : سوف أذيبك فى الملحِ . . تُسقِطُ فيه
خطاياكَ فى الأرضْ . .
(أقسمُ أن أُسلِمَ الآن خطوِى إليكَ . . لأبرأ . .)
قال : أسْمحُ أن تتمنَّى علىّ .!
ـ (مابىَ أمنية كالأساطيرْ)
قال : لا تتعجل . . ولا تبخسِ الآن نفسَك .!
. . . .

كنتُ حملتُ بجلدىَ سُنبلةً ظَمِئت
فوق ضِفة نهرِى القديم ..
فجاْةً وخزَتنى ..
تبينتُ .. ماذا تريد ..
تمنيتُ أن تَنْبُتَ الآن ..
عاجلَنى البحرُ .. ضاحَكَنى .. أذهَبَ الخوفَ عنى
بعيدا . !
. . . . . .
تَنبُتُ الآن سُنبلتى
أشهدُ الآن نُوارَها يتوهَّجُ فى القلب
يبدأ فاتحةَ العِشْق ..
يا أيها البحرُ إنى أغنِّيك فى الغد ..
يا أيها البحرُ .. أهواكَ نبعى الجديد . !

١٢ / ٤ / ١٩٨٢

● ●

... الجنون .. والبحر

ساكنٌ في ضلوعى اشتهاؤُك يا بحرُ
إنى تحدّرتُ من سافياتِ الرياح
ومن غضبِ الآلهة ..
أعْيُنى لكَ ياقَدَرِى .. والهة ..
مقلتاىَ تسمَّرتا فى امتدادِ ذراعيْك ..
حيث تكسَّرتِ الشمسُ .. يهزمُها الموج
حيث تغيبُ النوارسُ .. مفعمةَ القلب
حيث تضلُّ عيونُ البشرْ ...

ـ إننى جمرةٌ .. أستعر .
لو تحسَّسْتَ جلدى .. توقَّدت ..
لو تلمَّستَ خفْقَ ضلوعى .. تفجرت ..
لو تسللتُ بين خيوطِ دمى ..
لتغيرَ لونُك ..

وانفرطتْ ذبذباتُ مياهِك . .
وانكسرتْ فى سواحِلِكَ الراسياتُ العنيدة
إن عينَيَّ ياقاتلى الآن . . تستعذبُ الغوص
أصرعُ كلَّ الأساطيرِ . . أستعذبُ الغوص . .
أمتصّ ملحَكَ حيثَ يطهرُ خطْوىَ . .
أستعذبُ الغوص . .
أتخطّى رقابَ الوحوشِ التى تكمن الآن
ترصُدُنى من بعيد . .
تُسدِّدُ للقلبِ سهماً من البُغْضِ
يرتدّ من حيث جاء . . .
وأواصلُ غوْصى إلى حيثُ يحتدِمُ الموجُ
حيث ينفجرُ القلبُ
يخلعُ ظلمَتهُ . . ويُضاء . . .
واعدتنى زماناً . . وما الوصلُ إلا وعودَ اشتهاء
أحملُ الآن لؤلؤةَ القلب . .
حين توهَّجَ حلمُ الزمانِ بعينيّ . . لم أستكِنْ
لم تضعضِعْ جُنُونى . . المحنْ . .
كان وعدِى لها . . قبلةً

واشتهائى صلاةً ..
وسكرُ جنونى .. فناءٌ ...
قلت : لن يَئِدَ البحرُ قلباً تطهَّر بالملحْ ..
أو أعيناً تتضوّءُ بالجرحْ ..
أو قدماً .. لا يضَعضِعُها السفحْ
كنتَ يا بحرُ سُكْرَ عيونَ
تعتصرُ القلبَ
تلطِمُنى ساعةً بالأساطير
حتى كأنىَ خيطٌ عصىٌّ من الموج
تحملُنى ساعة فوق كفْيكَ
تمسحُ عنى جراحى .. تبدِّدُ خوفىَ
تضحكُ .. تسخرُ .. يهتزُّ من صوتِكَ العالَمُ الرحْبُ
تندثرُ الأرضُ .. أُغْمِضُ عينىّ
يحملنى الموجُ فى حلَقَات الدُّوارْ
أحملُ الآنَ لؤلؤةَ القلب ..
أبدأ خطْوَ انتصار ..
داخلى البحْرُ .. والشعرُ .. والليلُ ..
والشمسُ والسكرُ
كلُ الرؤى بين قبضةِ كفى اعتصار ..

يا رُؤى العين إنى خُلِقتُ جديداً من البرقِ . . والرعد . .
والموجِ . . والعصفِ . . والزلزلاتِ العنيدة
راحلٌ بين عينيكِ . . أنظرُ كلَّ الذى سوفَ يأتى مع المد
كلَّ ما قد أود . .
وما لا أود . .
فاقبضينىَ غَرْساً من الوهَجِ المستعر . .
وابدئى الآن عُمْرَ الدُّوار . .
إن بقلبى جنوناً من البحرِ . .
لا ينحسِر .

أسوان : ٢٢ / ١٠ / ١٩٨٢

●●●و .. يولد البحر

يتشكلُ وجهى .. يتكسَّرُ بين الموج ..
أبحث عن أنفى .. عن عينِى .. عن أذنى
أتحسسُ موضعَ أقدامى فوق العشْبِ
وبين المَرجانْ ..
تُولدُ من بين تراتيلى .. الحيتانْ ..
تنمُو أشجارٌ .. أحجارٌ ..
مدنٌ .. بواباتُ
أصواتٌ .. ألوانٌ ..
أنثرُ مِلحاً .. وبَخوراً .. وعرائسَ حلوى للأطفال
تتدانى من أفقِ العالم .. كلُ الأنجمِ والأقمار ..

ـ هذا ميلادُ البحر .. على يابسة الإنسان . ! ـ

. . . .

منقوشٌ فوق اللوحِ المحفوظِ بعمقِ الأرض

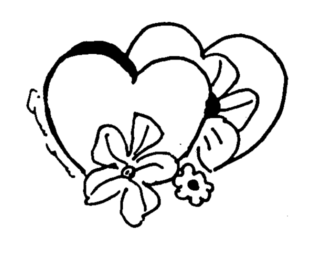
كيف يخاصِرُ نهرٌ نهرا ..
يكبرُ .. يكبرُ
يمتدُّ .. ويمتدْ ..
يسرى فيه مِلحُ المدْ ..
يصبحُ بحراً .. تسكنُه الجنياتُ ..
ويسكنُه قدرُ الإنسان ..
وتظلُّ عصافيرُ الغاباتِ الحائرةُ ..
تقودُ الملاحَ إلى نافذةِ الشوق
حيث يهُم الساحلُ أن يرسُمَ للبحرِ خرائِطَهُ الأولى
يمنحُها للقادِمِ فى أولِ ضوء ..

. . . .

مكتوبٌ فوق عيونى ــ الآن ــ
أن أسبحَ فوق الألواحِ المتكسِّرةِ بقلبِ الأمواج
مسموحٌ لى ..
أن أكتُبَ أصدَقَ ما أملِكُ من أشعار
أن أحكىَ ما خَفِىَ من الأسرار
أن ألْقَى فوق الشاطىءِ قلباً .. يُولَدُ فى البحر
ويُجَنُّ جنونَ البحرِ ..
يتعلمُ كيفَ يخوضُ .. وينبِضُ نَبْضَ البحر

وكيف يُغنِّى للبحر . .
مسموحٌ أن أمنحَ هذا القلبَ
اللغةَ المنسيةَ — من زمن —
أن أجمَع كلَّ ملامِح وجهِى المتكسرةِ
على الأمواج
أن أغسِلَها بمياه القلبِ النابضةِ بلونِ الحب . .
وأقدِّمُها . . فى ميلادِ البحر . .

١٣ / ١١ / ١٩٨٢



••• حين امتد الطوفان

عشاقُ الأرضِ انفلتُوا من زاويةِ القلب
انحدرُوا نحو السفح . .
لجأوا فى ذُعرٍ خلفَ الغابات
وبين كهوفِ الصحراء . .
وامتدَّ الطوفان . .
أغرقَ أرضَ العشقِ الخضراء
أجريتُ سفينةَ إبحارِى . . ودعوتُ العشاقَ الغرباء

ـ من يبغِى طوقَ نجاة .؟

ـ من يحلمُ بالريحِ الحانيةِ وبالأرضِ العذراء .؟
ارتدَّ الصوتُ إلى صدرِى سَهْماً من ألمٍ وعناء
رحتُ وحيداً أبحرُ
يصرعُنى الموجُ . . أفيقُ . . وأبحرُ
أقبضُ بين يدىَّ مياهَ البحرِ . .

ومِلْحَ البحرِ ..
وغيمَ البحرِ ..
أبحثُ عن نوح ـ فى مَرْكبِهِ ـ لا ألقاه
أبحث عن حوتٍ مُنتفخٍ .. لا ألقاه
ضاعت منى كلُ قراءاتِ الأمس
وكلُ تعاويذِ الجن ..
وكلُ وصايَا الشعراء
أبحث عن وجهِ عروسِ الماء ..
ـ ضاعت كلُ ملامحِها من ذاكرتى
حين امتدَّ الطوفان ـ
اختلطتْ عندى الأعينُ والألسُنُ والأفواه
ـ أبحثُ عن نخْلى فى الصحراء
عن خطوِى اللاهثِ زمناً فى شطِ البحر
عن وطنى الغائبِ مثلَ غيابِ العُشاقِ
أنظرُ فى الماء ..
أشهدُ وجهى يشحُبُ .. يشحُب :
مِلحاً فى عينىّ
وجُرْحاً فى شفتىّ
وجوعاً محموماً فى قلبى ..

يتضاءَلُ حجمُ الأرضِ كثيراً بين يدىّ
تذكرتُ أحاديث الجَدّةِ ذات مساءٍ شِتوى غابر :

(حين يجىءُ الطوفانُ يجفُّ الضَّرْعُ
يشيخُ الشجرُ الأخضرُ
يلتهمُ البحرَ.. الأرضَ .. الريحَ .. البشَر
وتنتفخُ الأسماك)

رحتُ وحيداً أسألُ مِلْحَ البحرِ .. وأسماكَ البحر
توهمتُ جِواراً ممتداً .. لا يقطعُه عصفُ المد ..
صنعتُ شراعاً من عِشْقٍ مجنونٍ فى وجهِ الريح
تخذتُ ذراعى سيفاً فى قلبِ الموج

ابتسمتْ بين الطوفانِ عروسُ الماء :

قلت : الغوْثَ الغوث
أخاف على حبات القمح تُنثُّرها الريح

قالت : أُنثُرْ مِلْحَكَ فى أرضى
وانتظر الآن
إنى أقرأ تعويذةَ عرسِ الحبِ أرددُها
ـ كلَّ مساء ـ

. . . .

أنْتظِر الآن . .
سوفَ تَهُمُّ الأرضُ . . وينفَلِقُ الحَبُّ
ويُزهِرُ قمحى فى الشطآن
سوف تُمَدُّ جسورٌ . . وتُفَجَّرُ فى أرضِ الحبِ عيونٌ
وتُقامُ صلاةٌ . . ويعودُ نخيلُ الصحراء
انسَ الطوفان
واسترخِ على صدرى الآن
صدرى . . أرضُكَ . . مهدُك . . ثمرُك
لونُك فى كل الألوان
وأنا سيدةُ الأصوات
وسيدةُ الألوان . .
أمتلكُ البحرَ . . وأمتلكُ الشمسَ وأمتلكُ الليلَ
وأمتلكُ قلوبَ العشاق
قلت : اقتربى . .
إنى أنتزعُكِ من بين الحيتان
وطناً
يتحَّملُ مثلى الموجَ العاتى . .
لا أرغبُ عنه حتى لو ظلَّ الطوفان . !

٦ / ١ / ١٩٨٣

••• العطش الأكبر

منقسِماً أُبحرُ فى صمت :

ترصدُنى أحزانُ الأعينِ فوق الشاطىء

ويناوشُنى خمرُ المجهولَ . .

أُبحر فى صمتٍ . .

أختصرُ العالَم فى ضربةِ مجدَافى

ينفلقُ البحرُ الهائجُ بين يدىّ

تُجنُّ قُلوعى تحتَ الريح . .

أصلُ نهارِى بالشمس المتكاسِلة على أفواهِ الموج

أنفِضُ عن عينىَّ رذاذَ الماء . .

أذوق نعاساً شفقىٌّ الحلم

يدعونى أن أقرأَ فى أوراق الزمنِ المجهول

وصايا الحزنِ الأول . .

أن أقرعَ جُدرانَ الصمت

لعلَّ سطوراً تُفصحُ عن سرِ الغربة
عن أولِ إزميلٍ منكفىء فوق الصخر . .

. . . .

وقفتُ أمام الكلماتِ المبتورةِ ــ من زمن ــ
وجهى شابَ . .
وقلبى مهمومٌ
وخطاى . . تدِبُّ على طرقاتِ الخوف
وذاكرتى . . تنسَى أشياءَ
وتذكر أشياء
وهأنتِ . . الوجهُ الجامدُ مثلَ الآلهة
ــ على أرصفة الميناء ــ
هأنتِ . . الصوتُ المخنوقُ دموعاً . . وغيابا
وأنا . .
منقسماً أبحر فى صمت
أتودَّدُ حينا وأطاردُ حينا
قلبَ الموج
وقلبَ الريح وقلبَ المجهولِ
أُبحرُ فى صمت . .
أثبِّتُ فوق العينين قطاراً

أرسلُه حيث تلُمّين الذكرى والكلمات
أتركُه حيناً .. يحملُ لى من بستانِكِ ألواناً .. وحقائب
يحملُ لى : ماذا يعْنى الحزنُ
وماذا يعْنى الصمتُ
وماذا تُجْدِى الغربة ..
لكنَّ قطارى .. يخطِئُنى ..
يَخرجُ عن جسرِ العودة ..
أبكى فيه العطشَ الأكبر ..
أبكى فيه الصحوَ .. النومَ
وأبكى القمرَ .. الشمسَ
وأبكى الأرضَ إذا تكبرُ .. أو تصغُر ..
لا أملكُ إلا أن أبحرَ – منقسماً –
أن أصرخَ .. أن أشكُو الجوعَ ..
العطشَ الأكبرَ
أشكو حزنَ الأعين .!

. . . .

الآن أُسائلُ نفسى من يعرفُنى إذ تخطئُنى عيناك
من يسمعُنى إذ يتغربُ عنى صوتُك

من يَلقانى .. إذ يجهلُنى عطرُك
وأنا .. أبحرُ ـ منقسماً ـ
لا أملك للبحرَ خرائط ..
أختصرُ العالَم فى ضربة مجداف
أبحثُ عمن يمنحُنى بحراً .. أو ظلاً
أو يمنحنى خمرَ المجهول .!

١٩ / ٤ / ١٩٨٣

● ●

... العودة من جوف الماء

والبحرْ . .
وسواحلِه العشرْ . .
والمدِّ القاسى . . والجزرْ . .
سوف يعودُ النَّجْمُ الغائبُ للفلَكِ الدَّوَّار
ويعودُ سوارُك مِن جوفِ الماء
ويعودُ الخاتَم للأصبُع . .
والطفلُ الشاردُ فى تيهِ الصحراء
سوف تعودين عُيوناً . . وجُنوناً
ولهيباً . . ودُوار . .
ويعودُ شراعُكِ يحملُ لى من مدنِ الحلم
عطوراً . . وبَخوراً . . وتمائمَ
وقدوراً من أسرار . .
وتضيعُ أكاذيبُ العرافين . .
خدعتنى زمناً كلماتُ البحَّارة . .

(لن يطلُع في الليلِ النجمُ الغائب .!)
أنذرني البحارةُ بالموتِ إذا أبحرت
قادوني للعرَّافينِ على أرصفةِ الميناء
كلٌ منهم يقرأُ صفحةَ نجمْيِ الغائب ..
ويحدّقُ في وجهي بالعينين الضيِّقتينْ
وأعودُ .. أقلبُ وجهي في أوراقِ الليلِ ..
وفي زمنِ المومياتِ ..
أسمعُ صوتاً تحملُه الريح :
(شاهت كلماتُ العرافين
وشاهَ الألمُ المنتظِرُ على أرصفةِ الميناء .!)
الآن .. أعانقُ خَطْوِي
أهبطُ من صهواتِ الليل الصخرية
يلهثُ في عينيَّ الموجُ .. الرملُ .. وتستعرُ الألوان
أقرأ بين شقوقٍ يدىّ الرؤيا — صادقةً —
والوشمَ .. وظلَّ الأحرفِ والكلمات ..
يدعوني البحرُ ..
ويدعوني المدُّ .. الجزر
(ألقِ بنفسِكَ لا تخشَ الحيتان
ألقِ بنفسِكَ لا تنتظرِ الموجَ الحاني

والحلمَ الوسنان
بالأمس حَلَمتَ كثيرا
وتريثْتَ كثيرا
وأضعْت العُمْرَ .. أضعتَ رمَالَ الأرض
نعِمتَ بكل قراءاتِ العرافين
فماذا اليوم جنيت :
يديكَ اللينتينْ ..
وعينيْكَ الغافلتين ..
ووجعاً لا يهدأُ فى القلب ..
وأشرعةً تتمزقُ فى الريح
ألقِ بنفسكَ لا تخشَ البحر ..
ولا تخش سواحلَه العشر .!)

. . . .

هأنذا يا نجمى الغائب .. أسبقُ خطوى
وتعانقُنى عيناك الوالهتان
أشْهدُ فيها وهجَ الشوق
ولومَ القلب
وزهوَ الحُلم
تجعلُنى أغرسُ ضوءَكَ أكثرَ فى قلبى

وأثبّتُه فى مجدافى كلَّ صباحٍ زهراً
من عبادِ الشمس
يَتَلَفّتُ حيثُ تُلَوِّحُ أيدى العشاقِ طويلاً
بالأوسمةِ وبالشارات ..
لن يكذِبَنى ضوؤك ..
لن تخطِئَنى عيناك ..
إنى أقسمُ بالبحر ..
وسواحِله العشر ..
بالمدِ القاسى .. بالجزر ..
أنكَ فى خطوى الحبُ .. الوهَجُ .. العمر ..
وأنك حلمُ الشعر ..

١٠ / ٥ / ١٩٨٣

● ●

٠٠٠أ . ب .

ـ ألفٌ . .
هل تألفُنى الآن . .
ألف . . تمتدُ قلاعاً فى وجهِ الريح . .
رمحاً أرشُقُهُ فى قلبِ الحيتان
هل تألفُنى الآن . .
أم أنكَ تأبَى أن يألفَ موجَكَ مثلى
أتراكَ الآن
تمهِلُنى دهراً . . أم ترقبُ خَطْوى
أم أنك تسخَرُ من عبَثِى الأهوجِ فى أمواجك . .
ـ باء . .
هل باءَ القلبُ بغيرِ الحيرة
حين تخذْتُكَ سَكَنى . .
ألقيتُ ورائى أوراقَ العمر
قلبى . . أُلقيه جمرةَ شوقٍ بين يديك

يشعلُ صمْتَ الماءِ . . يقدمُ من كلماتِي قربانَ الشكر
فلعلك ترْضَى الآن . .
ولعلك تكفينى الحيْرةَ والأحزان !
ـ جيم . .
جاعَ القلبُ اللاهثُ فوق الشاطىء
حين أمدُّ يدىًّ إلى ثمَرِ الأشجار
تهرُبُ منى الأشجار . .
أتابِعُها . . تهرُب منى
وأظلُّ أجوعُ إلى ثمراتِك . .
أجِبْنى . .
أطعِمنى الوهَجَ الكامَن فى أسرارِك !
ـ دال . .
لا تسألْنِى من دَلَّ القلبَ عليك
فما كنتُ الأولَ فى ملكوتِك
لا تسألْنى
واسأل من سبقُونى . . لك
ـ هاء . .
هأنا مشدودٌ من أطرافى
مشدودٌ من قلبى . . وخيوطِ دمى

ـ واو . .
واعدنِي قلبُكَ يوماً لا أنساه
وانفرطَ العمرُ على بابِكَ : ألواحاً وقلاعا
هل تتذكرُ وجهَ الأمس
أم أن الموجَ ـ شهودَك ـ رحل بعيدا
عن ساحاتِ العشق . .
. . . .

قطع :

أُقفُ على ساحِلك الآن
أُشهدُ يومى . . وغدِى . . وبقايا الأحزان
أُشهدُ كلَّ خطى العشاقِ المنهزمين
أنكَ تفقدُ ذاكرةَ الأمس
وأن الأيام . .
أنسَتْكَ وعودَك حين أغارَ المدُّ على عشاقِك !

٤ / ٧ / ١٩٨٣

••• أما بعد

(إلى شعراء كل العصور)

عبثا يترقبُنى من شَق فى السور

عبثاً . . يتخفىَّ فى ورقِ الشجرِ . . وبين تلالِ العشب

وتمحُو أثارَ القدميْن ــ خرافُ منكرةٌ . . وكلاب . .

(ما إن يمنَحْها ظهراً . . حتى تتذاءَبَ . . تقتلعَ السورَ

فيبدُو فى هيئته الهمجية)

ــ لا تجهدْ نفسَك يا شيخى فى بثِ الحكمةِ

أو إطلاقِ بَخورٍ فى الريح . .

لا تجهدْ نفسَك فى البحثِ عن الكهفِ المندثرِ

وعن وجهِ الشمسِ الغاربِ فى عينِ حَمِئَة

ــ حَدِّثْنى عن شىء آخر . .

إن العالَم مملوءٌ بالأشياء . !

. . . .

حاولَ شيخى أن يبدىَ ورعاً

ثرثر .. يتعلثمُ فى كلماتٍ ـ كنا نحفَظُها فى الصِغَرِ
فتكبرُ معنا ـ
أوقفَ زحفَ القطراتِ المتصببةِ على خدَّيْه

ـ أدْرَكَ أنى أعرفُ عنه أكثرَ مما يعرف ! ـ
أخرجَ مِسبحةً متوهجة
واجهَنى فى سُخْطٍ ..
حَمْحَمَ .. صلصلَ ..
هدّأ من ثورتِه .. أمَّنَنِي ..
ساءلنى عن شأنى .!

. . . .

ـ معذرةً يا شيخى
كنت أقلّبُ وجهى فى أوراقى مهموماً
حين أشارَ علىّ العرافُون بما يُخرجنى من كهفِى الضيق ..
(أن أطرُقَ أبوابَكَ فى وهجِ الشمس ..)
طلبتُ أماراتٍ أتْبَعُها حين أجىءُ إليك
أجابوا : طُرقاً ملساء
وزيناتٍ متألقةً
وأهازيجَ ..

وعسساً أعينهم خارج أوجههم
وصراخاً منغوما !!
قلت : وماذا بعد . .
أجابوا : نعطيكَ إذا أخلصتَ بطاقاتٍ ممهورة
نعطيك إذا أخلصتَ لنا كلماتِ السر . .
تساءلتُ عن (البَزَّة) فى حضرتِكَ
أجابوا : نعطيكَ إذا أخلصت . .
قلت : فماذا عن لُغتى ؟!
قالوا : لا تعدُو الإنشاء . .
شعراً موزوناً . . ومقفى . .

– من بحر الكامل –
ستين من الأبيات
وقافيةً همزية
مفتتحاً من آيات القرآن
ومختتماً من أقوالِ محمد . .
أمَّا ما بينهما . .
فاذكرْ ما تحتملُ الكلماتُ من الإطراء . !

. . . .

كان بهيئته الهمجيةِ خلفَ السور
كان محاطاً بالبُلَهاءِ العرافين
يبدو فى أعينهم مثلَ مسيحٍ يقْدِمُ فى موعِدِهِ –

. . . .

معذرة يا أصادقَ العرافين

– إنى من فقراءِ القومِ المنكسِرين

– إنى مسكينٌ . . مسكين . .
مالى والشعرِ بساحتِكم . . مالى والشعراء
تعالوْا نشربْ قهوتَنا . . وندخُنْ . .
ونثرثرْ فى عُلَبِ الليل . .
لا تنتبهُوا للصفقاتِ الخاسرةِ
ولا تهتمُّوا بالشعراء .
إن الشعراء (يتّبِعُهمُ الغاوون)
معذرةً . . إن كواكبَكم تخدعُكم
لسنا فرسانَ النظمِ بساحتكم !
لسنا فرسان الصنعةِ والحبكةِ والإنشاء !
نحن – الشعراءَ المنكسرين – !
جهلنا تلك الطرقات . !

سلّمنا بالخيبة فى ساحتكم
والإخفاق .!
أما بعد .!
فقديماً قالوا يا شيخى :
ـ البازى .. لا ينهضُ دون جَناح
وأنا فى كهفى الضيق ..
أرضى أن ينقصنى ألفُ جناح .!

١٢ / ٣ / ١٩٨٠



•••الزمان .. حين لا يجيء

(إلى ذكرى حافظ وشوقي)

يأتي زمانٌ .. ينطقُ الحجر
يقول : من أمامِيَ اللصُّ ..
وخلفَ ذلك الجدارِ يكمُنُ الخطر ..
يأتي زمانٌ .. نستعيدُ لحظةَ الإنشادِ
تصدُقُ النبوءةُ القديمة
ونصحبُ الشمسَ إلى عيونِ الحُلمِ والميلاد
ننتظرُ الزمانَ .. لا يجيء
نستنطقُ الأحجارَ والجدرانَ
لا تبوح ..
اليومَ يارفاقُ ..
همَّتِ الفُلْكُ
تُقل موكبَ العروسِ والمهنِّئينَ
ـ ما احتواها الماء .
ـ وما حداها الحُلْمُ والرجاء ـ

بكتْ بها العروسُ .. مزّقتْ مفاتنَ الفرحةِ
أسدلت ملابسَ الحداد ..
لكنها المهنئون .. يشربون
فى صحةِ الحصارِ .. والزمانِ حين لا يجىء ..

. . . .

ـ خدعُونا بقولِهم حسناءُ
كثُرت فى غرامِها الأسماءُ
عبقرٌ أرضُها .. عريقٌ ثراها
ساحرٌ شطُها .. خلودٌ .. بقاء
سائلُوها عن صمْتِها وتعالوْا
نكسِرُ الصمْتَ أيها الشعراءُ !

. . . .

قلنا عن موتِ الكلماتِ حكاياتٍ وقصائد
أنكرْنا زيفَ الكلماتِ .. وكَذِبَ الألسُن ..
لكنَّ الأقوالَ لها فى الصدقِ مواسم
لا تأتى كلَّ أوان عَفْوَ الخاطر !..
ـ ياوطنى .. الراعشَ فى قلبِ القلب
يا لونَ الحب ..

أتمنى لو نملكُ أن نشدُوَ شعراً

أو نتحدث . .

لنحدِّثَ عن جُرحِكَ فى أيدينا

لنسائلَ : أين ملامحُكَ الأولى

بين خطوطِ العرضِ . . وبين خطوطِ الطول . !

أين يداك القابضتانِ على الشمسِ إذا طَلَعت

وإذا غَربَت فى جوفِ الماء . .

وقلبُك ياوطنى – فى الصحراءِ –

يئنُّ أنينَ الموت . .

تتسرَّبُ منه كلُ نبوءاتِ الأمس . .

. . . .

– لا نعرف ياوطنى لهواكَ مواسم

لكنا نتوعدُك صباحَ مساء . .

نغمسُ وجهَكَ فى نارِ الرغبات

حتى يحلُوَ طعمُك فى أفواهِ الجوعى . . واللقطاء . .

. . . .

– خدعُونا بقولهم وطنُ الحبِ . .

وحلمُ العيونِ . . والأطفالِ

وأدرنا ظهورَنا . . نقضِم الخبز . . ونرضى بطعمة ونكال
هبطَ الليلُ . . دقّ بابَكَ حتى
انهمرَ الملحُ من عيونِ الرجالِ
. . . .
أسأل من قاتِلُنا . .
من يُقتلُ منا قبل الآخر . .
من يُحمى شجراتِ الأرْز . .
ومن يُسقى غرسَ الليمون . .
أسأل . . من يسمعُ صوتاً يصرخُ فى البرية
ـ كان يبايعُ يوماً فيها مَلِكَ الشعر ـ
ـ كان تحدىَّ ليلَ القهْر ـ
أسأل : من يُسقِطُ قطبَ الوطن السالب
والأوراقَ الجوفاء
أسأل عن جُرح الوطنِ النازف فى الصحراء
لا وقتَ لدنيا الآن . .
نحدّقُ فى الشمسِ أو القمرِ أو الألوان
أو ننحتُ كمَداً قلبَ الأرض
ووجهَ الإنسان . .

هذا عصرٌ . . لا يغفُر أن يُلْقَى بالوطن إلى جُبِّ النسيان
لا يغفر أن ينتظرَ الشعراء
حتى يُفْصَلَ فى أمرِ أمير الشعراء
أو نقفَ على ناصية الدرب دراويشَ غناء
والوطنُ النازف فى الصحراء
يشرب فى صحته الغرباء . . .
يقف الخلقُ يسألون جميعاً . . كيف يلْهو فى أرضِنَا غرباءُ
أمنَ العدْلِ أنهم يسلُبون الأرضَ منا . . . وتحتوينا السماءُ
أمنَ العدلِ أنهم يذبحُون الأمسَ واليومَ والمنى كيفَ شاءوا
أى وجهٍ هذا الذى فقدَ الماءَ . .
ولم يسْتَعِرْ عليهِ الحياءُ
لم يقدّر مماتَنا اللهُ حتى
يرثَ الشرقَ بيننا لُقطاءُ . .
أى شعر هذا الذى نكتُبُ اليومَ . . أيرضى بشعرِنا الشُهداءُ
اى شيءٍ نقولُ لو يَسْألُ الآباءُ عنا . . أو يسألُ اليُتَماءُ
فُجِعَ الشعْرُ أم ترُاه سعيدا . .
إذ تولّى قيادَه الأمراءُ
أشظايا الأجسادِ تصلُحُ أن تُهدىَ وِساماً أم أنها جوفاءُ
أرمالٌ حمراءُ تُغدو عقيقاً . . تتثنّى بسحرِها حسناءُ

أم صراخُ الأطفالِ يصلُح لحناً .. يتغنى بحسِنه الندماءُ
نحن نجتازُ موقفاً تعثرُ الآراء فُيه .. وتكثُر الأهواءُ
أسأل ·الآن والسؤالُ قديمٌ
أين أنتم يا أيها الشعراءُ . !

٢٤ / ٩ / ١٩٨٢

● ●

••• غياب الفارس

(إلى صلاح عبد الصبور)

وترجّلَ . . ثم تهاوى
زلزلَ أعماقَ الأرضِ الحجرية
همس بحرفين اثنين :
« كافٌ . . نون »

ــ كن وجهاً متقدا
خطواً ممتدا . .
قصدا . .

ــ كن في بحرِ الأوجاعِ المرّة . .
مدّا
همَس إلينا . . ودَّعَنَا . . غاب . .
ترك بأعيننا وطنَ الشعراء
« سراب »

وطناً تزحَمُه الأرقامُ . .

وتدهَسُهُ الأقدام !

. . . .

ـ أيقِظ يا وطنى حسّكَ . . وأسألْ

عن آلامٍ [illegible]

موتُ الشاعر لا يعنى رَقْماً يسقط من أرقام

موتُ الشاعر يا وطنى :

موتٌ للضوء . .

وموتٌ للحبّ . .

وموتٌ للأحلام . .

أيقِظْ حسَّك يوماً . .

تعرفْ ماذا يُخفِى الشعرُ

وماذا يبغى الشعرِاء !

. . . .

آه . . يا وطناً أبكيه من قلبى المتوقد ـــ

أبكى فيه الأطفال . .

وأبكى فيه الشهداء . .

أبكى فيه الشعراء . . الشعراء

لا تحسبْنا ـ يا وطنى ـ أُلقطاء

لا تحسْبنا بعْنا أحرفَنا يوماً فى
ظلِ رياء
هذا فارسُنا المترجّلُ يسقطُ فى قمتِه
شأنَ الشرفاء . .
من أجلِكَ عاش
ومن أجلك أغْفى
من أجلك يا وطنى . . حلِّ جيدَك
بالكلماتِ ــ الضوء ــ
وبالكلماتِ ــ الشوق ــ
من أجلك كان يصارع فى ساحاتِ العشق
خاتلَهُ المرتزقةُ والبلهاءُ على ناصيةِ الدرب
لم تسمعْ يا وطنى صرختَه حين اغتالوه
فانكسَرَ على بابك . .
عيناه تفيضانِ بأحزان الشعراء
عيناهُ حرفان اثنان . .
همَس إلينا . . ودَّعَنَا . . غاب . .
لكنَّ غيابَ الفارس ــ يا وطنى ــ
لا يعنى رَقْماً يسقُط من أرقام
فتيقّظْ . . واسألْ عن قدَرِ الشعراء !   ١٧ / ٨ / ١٩٨١

•••عن أحزان الشعراء

(إلى روح الصديق فوزى العنتيل)

وجعٌ فى دمائى كحزنِ البحار
صدأٌ فى شفاهِ النهار ..
أترُى .. أنت ترَحلُ مثلَ رحيلكِ بالأمس •
حتى تعود ..
أترُى .. أنت تطلُبُ فى الغيبِ بعضَ القصيد
أم تحلِّقُ .. تبحثُ عن شاردٍ فى السماء
أم تسمَّعتَ صوتاً يناديكَ بين الحقولِ
وعند السواقى
وخلفَ السدود ..

. . . .

أعرف كم خذَلتْنا الكلماتُ طويلا
كم تاهتْ فى أزمانِ الوهمِ الخُطوات
فتناثرنا شِيَعاً وطرائق
وبلوْنا الموتَ القُزَحىَّ الألوان ..

فضاعتْ من يدنِا حيناً أقدارُ الفُرسان
وحينا . . صَدِيءَ السيفُ على أعناقِ الكلمات . !
الساحةُ خاويةٌ من زمن
إلا من صلفِ الجُرذان . .
والشمسُ المخذولةُ تغرُبُ فى عينِ حَمِئَة
لم تمتدَّ إليها الأيدى تقبِسُ وهجا . .
ضاعت من يدنا أحلامُ الأطفال
فتعثَّرنا فى الأوحال
هاجرْنا بالأحرفِ زمنا
نُنبِتُها فى أرضٍ جرداء . .
وتَحاوَرْنا زمناً بالصرخات
فارتدت كلُ حناجرِنا صمتاً . . وهباء
وتوالدتِ الجرُذانُ على الجرذان . !
لا تحزَنْ إذ ترحلُ عنا . .
لا تحزنْ إذ تصمتُ فى وهج الشمس
سوف نُجيبُك فى غدنا
أفْسِحْ للشعراءِ الغرباء . .
اهبطْ ما شئتَ إلينا . . ومتى شئت
لترى أنا مازلنا نحرُثُ فى أرضٍ جرداء .

لا يعرفُها العسَسُ المتعنتُ خلفَ الجدران

. . . .

وجَعٌ فى دمائى كحزن البحار

- أترُى قد مللتَ الحكايا

وودَّعت ليلاتِكَ الألفَ . .

- خانتكَ سيدةُ القصر . .

رحتَ تراودُ شمسَكَ

تكسِرُ عنك قيودَ الظلام . ! ؟

- أترُى قد بدأتَ تُغني وتُومضُ

تذكرنُا من بعيد . .

- أترى سوف تهبِطُ يوماً إلينا

تعانقُنا . .

وتصافحُنا . .

وتواعدُنا من جديد

أم ترى لن تعود . .

أم ترُى . .

أم ترُى . .

قد تعُود . . !

١٤ / ٥ / ١٩٨١

••• من تراتيل النهر القديم

ــ وتحدثُني حتى يخفُتَ صوتُك
ويلفُّ حديثك صمتُ مذبوح . .
ويغطيه الزهر
يرتلُ غربتَه العشاق . .
وتبكيه امرأةٌ تبحثُ عن طفلٍ ضلَّ
وعن جسدٍ تتوزعُ أضلعُه فى الأرضِ الجدب
ويحترقُ الحب . .
فلا يبقى غيرُ رمادٍ مبتلٍ فى الأحداق

ــ أعرفُ أحزانَكَ من أين تجىء . .
وأعرفُ كم ودَّعكَ الأحبابُ بلا كلمة
كَسروا فى ضفتك جراراً . . وعرائسَ من فخّار
وانطلقوا . . بغصونِ الغار . .
تركوكَ وحيّداً تنتظرُ القادمَ فى ثوب العراف . .

(صمتَ النهرُ قليلا .
كوّرَ فى مَنْبَعِهِ ماءَهْ
وانطبقت دلتاهُ على أضراسه
جهِش يبكى أوجاعَه)

ـ يا ولدى .. لا تحزنْ مثلى .. لا تتكدر
خُذْ منى الصبرَ
وخذْ من جوفى وهجَ الجمر
هذا عمرى الأخضرُ .. ما عاد العمرَ الأخضر !
دوراتُ الثمَرِ اختلفت فى مَقدمها
ـ عادت للخلف ـ
أذرُعتى .. تُقطَعُ من كتفىَّ لتُمنحَ غيرك ..
قلت : وماذا عنى الآن ..
وأنا أنتظر مواسمَك الخصبة

ـ ألبَسُ فيها أبهى الأثواب ـ

ـ ويصنعُ أطفالى من حُمرة طميك أكواخاً وعرائس ـ
إنى مقطوعُ الكفينْ .. ومقطوعُ الساقين
ومذبوحُ من حُلقومى
وأراكَ أبى .. وغدى .. وشرايينَ دمى ..

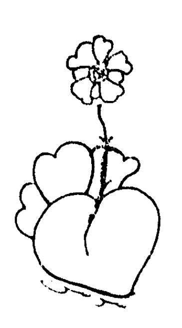
فلماذا تُبكى أطفالى المنتظرين . ؟
ولماذا تمتدُّ لغيرى . ؟

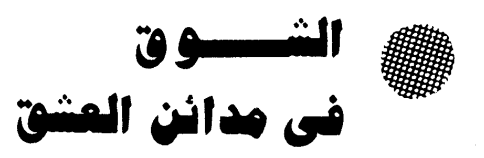
. . . .

أنَّ النهرُ حزينا :
ـ لا حيلةَ لى :
لم ترفعْ صوتكَ يوماً فى وجهِ الأيدِى السوداء
لم تتوعدْ . . لم تنذر . .
لم تُخرِجْ أطفالَك يوماً من خلف الجدران
ـ يصيحون على حُمرةِ طمْيِى ـ !
قلت : ائذنْ لى أن أعترفَ الآن
أن زمانِى . . زمنُ الصوتِ الأعلى
هل تمنحُنِى صوتَ هديرك
ـ يتسعَّرُ فى حُلقومى ـ
يمتد جسوراً من لهب فى وجهِ الأيدى السوداء ؟ !
قال : أمسِكْ بخناقى يا ولدى
واحبسْ أنفاسى الباقية إذا شئت
لعلك تكفينى الصبرَ . .
وتكفينى لومَ الأطفالِ . .

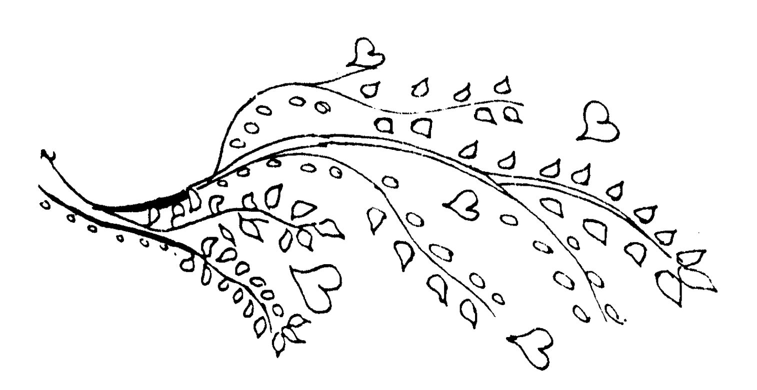
وتكفيني النظرَ إلى أنهار العالم . .
نظرتُ بكفيَّ . . لمحتُ شقوقَ الضعف
ورأيتُ خرائطَ نهرى باهتةً من غيرِ ملامح
فقبضتُ خِناق الريح !

٢٥ / ١١ /١٩٨٠





الشـــوق
فى مدائن العشق





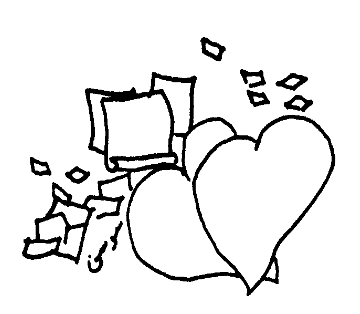
••• ملاحظة

ما بيننا مسافةُ الهمسِ
ويقظةُ النظرِ . .
ما بيننا مسافةٌ . . شديدةُ القِصَر
ما بيننا ابتدأْ . .
ولن يكون ياأميرتى . . له انتهاء . .

— خاصرتُ كلّ همسةٍ همستِ
جعلتُها الحِوارَ . . والحكايا
جعلتُها الخطى التى تقرِّبُ البعيد
وتلتقى فى قمةِ العالمِ . . فى الليلِ وفى النهار .
لا تعرفُ انكسار . .

— ما بيننا ابتدأْ
لكنه لن ينطفىءْ
لأن كلَّ ما نحملُه . .

وكلُّ ما نهمسُه
لا يعرفُ السآمة
لكنه يفيضُ بالحب . .
وبالدفء . .
وبالسلامة . .



●●● أبواب العشق

يَغْتالُنى البَريقُ فى عينيك
يقذفُ لى رسالةَ الجمرِ .. وعصْفَ الريح
والسقوطَ فى مهاوى السُكر ..
أطرُق بابَ العشقِ باليدين ..

— لعلّه يُفتحُ لى .. !
أقطعُ أذْنى — راضيا —
ألصَقُها فى سورِكِ المنيع
أسمعُ من خلالها غناءَكِ الوديع
أحلُم أنّا طائرانِ فى حدائقِ القَرَنْفُلِ الملونة
نغرقُ ما شئنا خلالَ مَدِّ العشقِ والأحلام
أدخلُ بين النَّصْلِ والغِمد ..
وبين النارِ والرماد .
أسقطُ بين الماءِ والظمى

وبين الموتِ والميلاد
أستعذبُ القتلَ بهدْبَيْكِ .. وأستعرْ
أستعذبُ البريقَ فى عينيك .. أنصهرْ
أصبحُ موجَ النارِ ..
واحتواءَ المدْ ..
وكلَّ ما أودْ ..

... ...

كتبتُ أشعارى لعلَّ عالمى العنيدَ يستجيب
لكنَّ عالمى العنيدَ كان جامدَ الوجه
عصىَّ السمع ..
وجئتِ لى وفى يديكِ ألفُ باقةٍ من الألَق
وبين عينيكِ البريقْ ..
وفى خلاياك الحنينُ يندفق ..
وفى خطاك الخصبُ ينفلق ..
تعانقى ياقُبلةَ السماءِ فوق الأرض
تعانقى مع النَّماءِ والخصوبة
مدّى من العينين جدولاً يحملُنى للمرفإِ الموعود
ما عدتُ أستطيعُ العيشَ فى المسافةِ البعيدة
ما عدتُ أستطيع ..

أصبحتِ لى العالَمَ . . واحتواءَ القلب . . والبريق
وكلَّ ما أودُ . . كل ما يشبعُ
كل ما يَروِى
وما يطيب . !

١١ / ٨ / ١٩٨٥

● ●

●●● لا ارتواء

عطشٌ فى دمى . .
وأنا أبحثُ الآنَ عن بَلْسمِى
ساءلتنى (الطواويُس) عن مرفأى
كنتِ أنتِ الضِّفافَ التى تُمْنعُ الشمس
كنتِ الرمالَ التى تَهَبُ الدفءَ
كنتِ الشّفاهَ التى تنطقُ الشعر
كنتِ الينابيعَ . . كنتِ صباحَ العيون . . !

— هل لمن يملكُ البحرَ أن يرهَبَ الموج ؟
حين توسَّلْتُ
كانت عيونُكِ موْجىَ . .
كانت عيونُك تحملُنى . . وتُحَدِّثُنى
وتجيب جنونى . .

— حَمَلتنى العيونُ . . احتوتْنى

وفوقى النوارسُ .. تحرُسُنى
ورذاذٌ من الشمسِ يسقطُ فوقى .. يبلّلُنى
وعناقُ الرياحِ مع الموجِ .. يأسِرُنى ..

— لم يكن فى وداعى رفيق ..
(الطواويس) — كانوا يثيرون حوْلِى العواصف —
حملوا الرايةَ القاتمة
غرسُوها بقلبى .. فلم أخشَ .. لم أنقبض ..
واحتوانى العباب ..
فنزعتُ من القلبِ رايتَهم ..
وغرستُ استعارَ الخُطى

— هل لمن يملكُ القلبَ أن يعقِلا
هل لمن يأخذُ البحرَ مفترَشاً ..
والصخورَ وسائد ..
أن يذوقَ انكسارَ الخطى ؟

— لاهثاً أبحرُ الآن نحو استعارِ العيون
ونحو التوحدِ بالهمس
نحو الينابيعِ حين تفجِّرُ فى القلبِ نهرَ الجنون

— لاهثاً لا أهون

عطشٌ فى دمى ..

للذى أحتويه .. والذى أجهله

لا ارتواءٌ من الماءِ يطفؤه

لا احتواءٌ من الموجِ يوقفه

لا انحسارُ الرياح ..

إنما .. عطَشى الآن يسبقُ كلَّ الينابيع

مزجَ الموتَ بالبعثِ .. والسكرَ بالطهرِ ..

والنارَ بالطينِ

قاسمَنى الموجَ والرملَ ..

— لا يرتوِى —

٢١ / ١٠ / ١٩٨٥

● ●

...عناق في الغربة

— ودِدتُ لو أنى استرحتُ ساعةً
وأوثقتُ جواد الشعرِ فى شجرة
أو أننى قبضتُ من ترابِ الأرض قبضةً
ثم مزجتُها بالماءِ حتى تستحيلَ طمْيا ..
فأسدُّ فجوةً ما بين حائطِ النيلِ وبابِ القلب . !
لكننى .. ما حيلتى .. والنأر تسترقّنى
تُغْرى خطاى ..
تجذبُ خيطَ الليلِ من أعماقه
تشحَذُه .. تمدُّه .. تغلّفُه
تحمله بين حقولٍ تُنبتُ الصبَّارَ والنخيل
تمدّ كفاً للفرات .. وعناقاً مثمراً للنيل
— ودِدتُ لو مررتُ بالضفافِ الخضرِ مرةً .. ولا أميل
وددتُ لو أصْغَيتُ مرةً لضحكةٍ صبيةٍ ..
ولا أقبِّلُ الشّفاه

وددتُ لو شمَمْتَ عِطْرَ السحر
ولا أدسُّ أنفِى فى بحارِه العميقة . !

— ما حيلتى
والسَّفَرُ الموحشُ يسترِقُّنى
يبيعنى للوحدةِ الخرساءِ مرةً
ومرةً يأسِرنى بين قيودِ البشرِ السوداء

— حين التقينا . .
كان كلُ ما أكنُّهُ . . شيئاً بقدْر الكفِ مُغلَقاً
لكنَّهُ فُضَّ بأولِ انتباهة . .
وكان كلُ ما أظُنُه . . لم يَعْدُ كِلْمتين
فصارَ ألفَ ليلةٍ من الحكايا . .
وكان كلُ ما أشُنُّهُ زوبعةً قصيرةَ العمرِ
على جدارِ كوبِ ماء
لكنها غَافلنى القلبُ . . ففجَّرِ البحرَ القديمَ
يُغرقُ الألويةَ السوداءَ فى الضِّفاف
ينقشُ فوق الصخرِ أحرفَ اللهب . .

— ما حيلتى . .
سلَّمتُ أوراقى لهذا الوجه راضياً

أيقظتُ جفنيَّ .. استحلتُ جمرةً من الشوقِ
وموجةً من الجنون
نسيتُ ما أوصى به الليل
وما لقَّنَنِي المجهولُ فوق التل ..
ألقيتُ نفسى فى جحيمِ عينيْها
أغيِّرُ الجلدَ الذى يضيقُ بى
وأُدخِلُ العالَم فى جسدى ..

— الآن ياوحيدتى المنتظَرة ..
إن كنتُ قد سافرتُ عنك
— ألفَ رحلةٍ ورحلة —
فأنتِ تعلمين أن أكثرَ العشاق
يولدُون فى الغربة
حتى إذا ما التقتِ العيونُ والقلوب ..
تعانقتْ شموسُهم
وأثمرتْ حدائقُ الخصبِ على أكفهم
وكان للحروفِ وجهُها الجديد .. !

بغداد : ٢٧ / ١١ / ١٩٨٥

••• الزلزال

فى مرآتى .. ألوانٌ أخرى .. وملامح
فى مرآتى .. دفءٌ لا فح ..
أغمِضُ عينِي لحظاتٍ عن مرآتىَ
أحفِرُ جسدى .. أتبعُ دفْقَ خيوطِ دمى
حتى أصلَ إلى عُمْقِ تراتيلِ القلب ..
أشعُر وهجاً .. يلفَحُنِي
أسمعُ صوتاً ينذرنى :
(اخلعْ قشرتَكَ الآنَ
وذُبْ فى ألقِ الألوان ..)
همَسْتُ لنفسى : كيف ؟
جاء الصوتُ .. يقودُ الخطْوَ .. يُعرِّفُنى
يمسكُ بى .. يُلقينى فى نار ..
أوقفتُ الرِعْشَةَ فى أوْصالى
كانت نارى برداً وسلاما ..

حين استُلَّتْ من أعماقِى أذرُعةُ الخوف
وحين انحسرتُ أمواجُ الضعف
تجلّت فى عينىَّ يواقيتُ ثمار
وفراشاتٌ من نور
وعيونٌ تنثُرُ ورداً
ذبتُ .. تلاشيتُ بهذا الألقِ
أحاطتْنى موسيقَى الطير
وأحلام العشق ..
فُتِحتْ طرقاتُ العالم لى ..
قيل : (اطرقْ أىَّ الأبواب تشاء !)
تحيرتُ .. تلاحِقنى الأصداء ...
تحيرتُ .. أجبت :
— ما أنا بالطارِق بابا
لكنْ لقَّنَنى عصْرى أن أقتحمَ الأبواب ..
ضحِكَتْ من حولى الأشجار

أجابتْنى :
(لا حاجةَ للغزو الآن ..
يكفى أن تَحلُم حتى يتجسَّدَ حلمُك

أو تهمِسَ حتى يُسمَعَ لحنُك
أو تتلاشى .. حتى تتوحَّد ..)

قلت : أنا ما زلتُ أعيشُ بدنيا الباحثِ عن ظلِه
فهل هذا الملكوتُ جزيرةَ حُلم فوقَ الأرض ؟

قيل : (نراكَ نسيت
أنك تُغمض عينيْك الآن عن المرآة
وأنك تتَبعُ دفْقَ خيوطِ دمك
لو شئتَ الآنَ بقيْتَ بعالمنا ..
تتطهرُ من دَنس الألوان ..
أو فافتحْ عينيك الآن
فتلقيك الأمواجُ على شَط الأوجاع !)

صحتُ : الرحمةَ .. أنا لا أبغى أيَّهما
لكنى أبغى أن يلتقى الوجهان
وأن يتصلَ البحران ..

قالوا : (لن يتحقَّق حلْمُكَ إلا حين يجيئكَ قصفٌ أو
زلزال ..)

فَتَّحتُ عيونى .. حطَّمتُ المرآة ..

أسقطتُ العالَم من حولى فى قبضهِ كفِّى
أعلنتُ جنونى .. أدخلتُ الشمسَ بقلبى
زلزلتُ موازيَن الريح ..
انفجَر البرقُ .. انهمَرَ المطرُ
وقعتُ على وجهىِ فوقَ الرمل ..
.... حين أفقت ..
رأيتُك ياصاعقةَ العينين :
القدمانِ على موجِ البحرين
والعينانِ على الوجهين
لم أسألْ لحظتها :
من أنتِ !
وكيف أتيت ؟
ولا أمضى معك
إلى أين؟

١٤ / ١٢ / ١٩٨٥

سحقاً للعالم إن لم تسْرِ إليه رياحُ الحب
سحقاً للأرض إذا لم تَتفجرْ بالظمأ وبالأشواق
سحقاً للشمسِ إذا غابت يوماً
عن حُلمِ العشاق . .

ـ يا صيفَ العشق المتوقد
مدَّ سيوفَكَ ما شئتَ على الأعناق
لن تقطَعَ إلا أعناقَ الخوفِ الكامن فى الأعماق

ـ يا هذا الطوفانُ القادمُ من أقصى البحر
طهِّرنا فى أمواجك . .
لن يخشى زحفَك إلا من يَبْغُضُ صفوَ الماء
علَّمنا العشقُ الدامى أن نقتاتَ الجمر
وأن نسبَحَ فوقَ الأشواك
علَّمنا ألا نُهْزَمَ أبدا

أن نقتحمَ الغابات . .
وأن نتخذَ الشجرَ بيوتاً
ودروبَ الليل حقولا
ـ نثمرُ فيها . . نرقصُ فيها . .
نحكى فيها حتى خيطِ الفجر ـ

. . . .

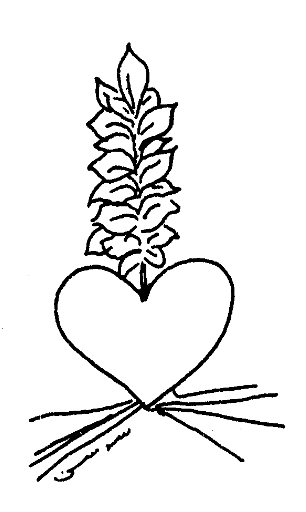
ـ فى هذا الزمنِ المعصوبِ العينين
تخرج من بين صخورِ الليلِ عرائسُ مجنونة
إذ يجتمعُ العشاقُ على الأبواب
كلُّ منهم يَلْقَى محبوبَته . . ويغيب
يُسْقِطُ أشباحَ الظلمة .

ـ الحبُ بهذا الزمنِ المعصوب
لؤلؤةٌ فى حَدِّ السيف
وشهاب يلمعُ فى العينين
لا يشكو الدورانَ . . ولا يشكوُ الجهد . .

ـ يا هذا الليل الممتد . .
أمسِكْ بخناقِ الظلمةِ لحظات

إنا ما ذُقْنا طعمَ النوم
وما خطرتْ فى العينينِ الأحلام
وسِّدْنا ياليلُ على كفيكَ
إنا عشاقُكَ من زمن . .
لاتَبْعُدْ عنا . .

٢٩ / ١٠ / ١٩٨٠



•••حين أغزو عيونك

أسقطتنى القصيدةُ فى خَندق القتلِ
حتى انتهيتُ لعينيك . .

ـ هل للذى استُشهِدَ الآن
عودٌ إلى الرملِ . . والطينِ . . والخطوةِ الشاردة ؟
منتهى الحبِ . . أن نصلَ الغِمْدَ بالنصلِ
والنصلَ بالغِمدِ
والقمرَ ـ الدفءَ ـ بالليلةِ الباردة . .
منتهى العقل . .
أن تتخلفَ حِكْمتُنا الآن . .
تُرفَعَ جلستنا
ونكفَ المراوغةَ الهامدة . .

ـ أنظرُ الآن بين عيونك
كلُّ الخرائطِ حين تبدِّدُها الأبجديةُ

ترسمُ فى البدءِ بحرا . .
وفى الانتهاء صحارى . .

– وبينها القصفُ . . والرعدُ . . والمدنُ الوثنيةُ –

– بينها الغِمدُ . . والنصلُ . . والغزواتُ الجريحةُ –

– بينها الطينُ والطُهرُ –
(كل الذى لم تقلْهُ الخرائطُ من قبلُ
أنظرهُ الآن بين عيونك . .)
قيل لى : دمعةُ القلبِ أدفأُ من دمعةِ العين . .

– قلبى غريبٌ عن الدمع . .

– والشهقاتُ تعربدُ فى ساحةِ القتل –

– والشعرُ حارسُها المترصِّدُ ! . .
لا أعرفُ الآن كيف أفجِّرُ دمعاً من القلب
أو أرشُوَ الشعرَ فى بابه المتجمد . .
لا أملكُ الآن إلا الحجارة . .
لكننى طامِعٌ فى الإمارة
أخشى الوقوعَ على حافةِ البئرِ
أخشى الخَسارة . .

أكوابنُا مقلوبةٌ على ضفافِ النهر
تُحرقها شمسُ القلق . .
. . .   . . .
مِشنقتى . .
أن الذى ما بيننا لا يستقيمُ كسطورِ النثر
لا يتوازى مثل ضِفتين تحضنانِ النهر
لكنه . . مثلُ الذى أَكتُبهُ فى الشعر
تارةً . . يطولُ باعا . .
وتارةً . . نقطعُهُ . . ذراعا
ومرةً يحيطُ أرضَ الله . . والسماء
ومرةً يضيقُ . . مثلَ طوقِ ساعة . !
. . .   . . .
مِشنقتى . .
أن الذى ما بيننا مثلُ وليدٍ ناقصٍ رضاعة

نحقِنُه بالماء — مرةً — فينتفخ . .
وبالسُّمومِ — مرةً . . فينعرج . .
لكنّ وجَهه البرىءَ . . غائمٌ فى سحبِ المجاعة
ماذا استوى — بعد — على الجواد . . وانطلق
والحبُ مثلُ ذلك الفتى النّزِق

— حيناً يدورُ حول نفسه
ومرةً أخرى . . يلفُّه الغبارُ حتى ينسحق . .

. . .   . . .

مِشنقتى . .
إنى أبَيْتُ أن أعيشَ كالهُوام
(آكلُ أو أنام
أمارسُ الطقوسَ ما بين التصاقِ الجسَدَينْ
أو أرتوى كشهريارِ من فراغ القصِّ
واختلافِ الليلِ والنهارِ . . والمابينْ . .
أو أنظرُ العالمَ من ثقْبٍ صغير بين أصبعينْ . .
وأكتفى بخيطِ ضوءٍ نافذٍ من خَلَل الجدار
يلتف حولى خانِقاً . . يشنقُ فى الأعماقِ صرختى
وفى الأكفِ . . لهفةَ اليدينْ . !)

مِشنقتى . .

إنى حملتُ فى يدىَّ موتى . . وانطلقت

أعشَق وجهَكِ الذى استوى على ساريةِ الجراح

لم يقبل السقوطَ مرةً . . فى ألمِ النُواح

لم أتكىءْ على جَناحِ موجةٍ معربدة . .

ولم أصِدْ محارةً فارغةً من شاطىء الأوجاع

ولم أذبْ كالملح فى أى مياهٍ راكدة . .

لكننى . . يسوقُنى الجنونُ . . والعشقُ . . وخُطوةُ القلق

أغرسُ فى خضرتكِ استواءَ عودى

وارتشافَ النحلِ زهرةَ الألق

يُحرقنى فى داخلى التوقُ إليك . . لا أملٌ . . أنطلق

انسحقت بين يدىِ هزائمُ العالم

واستراحتْ عند غيْرى من قديم . .

وانفضَّت القوافُل التى تجمَّعت من زمنٍ بعيد

من أجل أن تغتالَ رشفةً . . من خمْرتى المعتقة

— فكيف تنسينْ الذى حملتُ طولَ العمر !

وحينما رسوتُ فى هدبيك

أطرِّز الشموسَ والأيامَ . . واختلافَ الليلِ والنهار :

قلادةً فى تاجِك القديم . !

— كيف ترين ما أُكِنُّه .. وكيف تشعرين بعد رحلةِ
العيون !
الآن .. لا أعرفُ ما الذى ترضين
وما الذى إلىّ تحملين ..
وأنت تشهدَين ألفَ طوقٍ ضيقٍ ومَشنقة
يصدأُ فوقها العمرُ .. وينطوى فى شهقة الزحام ..

— أكانَ كلُّ ما مضى ضرباً من الأوهام
أم أننى قُدِّر لى فى حبك القديم
أن يستقيمَ عودى
فوق حبالِ مِشنقة . !

٢٨ / ١٢ / ١٩٨٥

● ●

●●● ثرثرة ...

من قديم يقولُون عنكِ الكثيَر
وأدفعُ عنك . . ولا أستجيب
يقولون : إنكِ كنتِ مساءً على التلِ تنتحبين
تخلعين سوارَكِ . . تُلقينَه للنجوم . .
تصلّين . !
نهرُك كان الجفاف
وكنا نخاف . .
على فلذاتِ القلوبِ الضعاف . .
وما كان دمعُكِ يفتحُ بابَ المطر
وما كانت الصلواتُ . . تُجاب
وما كان نهرُك يمنحُ وجهَ الصبايَا ابتساماً
(ويرسُم للغدِ بيتاً سعيداً . . وحلماً . .
وطفلا !)

والله .. لن أهـدأ حتى أُشعـلاَ
أرضَـكِ جمـراً .. وسمـاكِ مُقَـلا
ويكتسى العـراةُ فيـك .. حُـللا
وتُخصِبُ الضفـافُ مـاءً .. وكَـلاَ
والله .. لن أصمتَ حتى أُكمـلا
كتـابىَ الـذى بـدأتُ .. غـزَلا
فى وجهـكِ الـذى أبيْتُ بـدَلا
واشتغـلَ القلبُ بـه .. فـاشتعَـلا
فلم أعـدْ أطيقُ عنـه .. حِـوَلا
رغم بـريقِ البذلِ .. حـين بُذلا

يقولون عنك الكثير
وأدفعُ عنك .. ولا أستجيب

يقولون : أقفرتِ الكفّ ..
أجدبت العينُ والقلبُ فيك

يقولون :تلك الشجيراتُ جفّت
لنصنعَ منها السقوفَ السقيمة
علَّ المطر ..
يتسلّلُ منها .. فيغسلُ فينا القلوبَ

ويملأ أعيننا بالسنَا .. والبصر
ويظلُ الأحبةُ ليلاً طويلاً ..
يبحثُون عن الكلماتِ التى نقشُوها قديماً
على الشجراتِ النديةِ ..
حتى إذا كبرتْ .. أعشبَ الحبُ فى القلب
والضوءُ فى العين
والعقلُ فى وسوساتِ الذِّكَر ..

والله .. لن أعقـلَ حتى تَنْـزلاَ
كلُّ النجومِ من سمَاها شُعَـلا
بهـا أحـرِّقُ الأسىَ .. والكلَلا
والجدلَ الذى يصيبُ .. مقْتـلاَ
وأُطلقُ الصرخـةَ تهـوى مِعْـولا
يجـرى بوجهـك الدَّمَـا والسُّبـلا

ساءلتنى التى كنتُ أعشقُها عن نقوشِ الطفولة
عن نقوشِ الصبا
عن ورودِ الحنين ..
التى كنت أعشقُ .. تجهلُ أنى نسِيتُ ابتهاجَ العيون
منذ كان التسابقُ .

(من يتيقظُ قبلَ انفتاحِ الجفون
يفوزُ بخيطٍ من الشمس ..
بعضِ حليبٍ شهى
وقضمةِ خبزٍ ندى ..)
نسيتُ ابتهاجَ العيون ..
منذ كان التسابقُ .
(من يتيقظُ قبل انفتاحِ الجفون
ويعلنُ فى السوقِ بعض بضائعِه الخاسرة
قبل أن يتنبهَ سوطُ العسَس ..)
نسيتُ ابتهاجَ العيون
(منذ كان الصباح ..
تطالبُنَى وهى فى المهدِ طفلتىَ الباكية
أن أجىءَ إليها بدُميتِها .. تتحاورُ
تغمضُ أعينَها .. وتفتّحُها
وتُسِرُّ إليهاّ الأحاديث)
لم نكنْ ياصديقةُ نحيا الطفولةَ
أم زمنُ الأمسِ مختلف !؟
ما سمِعنا الدّمَى تتكلم

— حتى التى امتلكتْ شَفةً ولساناً . .
كان عالَمُنا ياصديقةُ . . كفُّ الشحيح
وجفنَ القريح
وقلباً من الضيقِ . . لا يستريح
تعالىْ . . نراودُ هذا الزمانَ العليل . .
لعلِ الذين يقولُون . . ينكسرُون
يكفُون عن ثرثرات اللسان
تعالىْ : نراودُ هذا الزمان
ونصنعُ أرضاً . . وسقفاً من الضوء
نحفر . . نهراً عتياً من البوحِ والخصب . .
زمانُنا — أعرفُ — ليس الأمثَلاَ
ولا هــو الخــلاصُ يُنهى العِللاَ
فـكيـف للقـلبِ إذا مـا أُثقــلا
أن يرتضى الصمتَ ويغُدو طَلَلاَ
نبكى عليه آخِراً . . وأولاً . . .
وبــين قــطبْيــه — نبثُ العــذَلاَ
واللهِ . . لن أهـدأ حتى أُشعِلا
أرضَك جمراً . . وسماكِ مقلا . !
٢٧ / / ١١ / ١٩٨٤

...وجها لوجه

للنهارِ خُطى تتزاحمُ
لليلِ وجهُ التوجّسِ والخوف
تغتالُ خطوى المسافاتُ نحَوكِ
تُشهرُ فى وجهىَ الآن سيفَ العنادِ

— العواصفُ والرعدُ —
كلُ الثياب مغبرةٌ
والجباهُ .. مشوهةٌ
والأكفُّ .. خواء ..

— بأى الوجوهِ أُفيق ..

— وأعبرُ جسرَ الهزيمةِ نحوَكِ —
أَلبَسُ ثوباً يُروق
ودرعاً .. يشُوق
وتاجاً .. بلونِ الشروق

أعانى المسير . .
أعانى القتالَ المريرَ
انظرى . . الآن . . جوبى تضاريسَ جسمى ِ النحيلِ
ادخلى فى كهوفى . . اصعَدِى قمةَ المستحيلِ . .
ألمسى الجلدَ — لا يشبهُ الجلدَ —
ليس به غيرُ طعنةِ سيفٍ
ووخزةِ رمحٍ . .
وشوكةِ ذكرى توسوسُ فى القلب . .
أنت لى العينُ . .
أنتِ بعينى امتدادُ الوطن . .
(أم أراكِ تخليتِ عن عاشقٍ كادَ فيك يُجن . .)
أنت ليلُ المهانين . .
سترُ العرايا . .
طعامُ الجياع . .
(أم أراك تخليتِ عنا بأدْنى ثمَن)
أنتِ فى الصدرِ أوجاعُه السرمديةُ
فى القلب هسْهَسَةُ الدفء
بين نحيب الصغارِ — الدُّمى واللُّعب —

(أم أراك تحينتَ أن تَقْصِمَ الظهرَ فينا المحن !)

هل كبِرنا .. وشاب علينا الزمن

أم بعُدنا قليلا .. فساءلتِ رملكِ

حتى ارتميتِ بأحضانِ أولِ من يبتسم . ؟

من له نحتكمْ ؟

والنهار خُطى تزدحم ..

والظلامُ يشدّ علينا الوساوسَ

يحملِ أعتى الوصايَا .. بأن ينتقم ..

من تُرانا له نحَتكم

وجعٌ فى العروق

وفصلٌ منِ الحزن .. يمتدّ فى وطنِ الريح والموجِ والليل

هذا زمانُ البلاء ..

فبماذا إذن نَعتصَم

بماذا إذن نعتصم . !

٢٦ / ٨ / ١٩٨٤

قال الراوى ...

فى جِلستهِ اعتدلَ .. وأسنَدَ جنبيْه
وتربّع فى ساقيْه
أشار بيده — تحملُ مسبحةً من ياقوت —
فجلسنا .. وصمَتْنا بين يديه :

— أسمِعْنا ياسيدنَا طرفاً مما تذكُرُه
من أمثالِ الحكمة —
أشرق سيدنُا فى ليلِ الصمت
لمعت عيناه نجْمَينَ ..
تنقّلَتاَ قطراتٍ من ضوءٍ فى صفحةِ كل جبين
أطلقَ من جَعبتِه الطيرَ توقف فوق رؤوسِ
المنتظرين ..

— قال الراوى ياأصحاب
(والرواى لا يعرفُ زمناً لحكاياته

الراوى قد نحسَبه رجلاً أو طفلاً
نحسبه أمرأةً . .
حيواناً أو طيراً
شمساً أو قمراً
لكنَّ الراوى ياأصحابى ما يتخفّى بين جلودِ
الناسِ ونهْرُبُ منه
فلينبُش كلٌّ منكم جسدَه
ولينظر كيف صنعتُ لسانِى من جلدِه !)

— قال الراوى :
حدّثَنى جَدّى . . عن أسلافِى
عن أمثال القدماء .

— أنى (لو أدخلُ يوماً قرية
أحلِفُ بالصنمِ المعبودِ بها . !)
قلت : وماذا لو لم أسجُدْ . .
قيل : انهالَ عليك شهابُ العصيان
وأُلقِمتَ الجمراتِ السبع . . !
أوْهمتُ الحراسَ بأنى منجذبٌ من أعماقى
سمَحُوا لى . .

خيرّنى مولاهُم
أن أَقْتُلَ أو أُقتَل
خيرنى أن أُقسِمَ بالحبِ له والطاعةِ
أو أُقسَمَ شطريْن
أمهَلَنى يوماً .. يوميّن ..
وأنا فوق لسانِى جَمَراتُ
أبغى أن أُسقِطَها فى غفلِة حرُاسِه
قطعوا نصفَ لسانى
قذفوا ما جمعُوه من جمراتٍ فى ماءِ البحر
أطفأَ ماءُ البحرِ الجمرات ..
سألونى .. من أنت ؟
أميٌر أم صُعلوك ؟
قلت لكاتبهم (وهو يُقَطِّرُ أنفاسى)
هبْنى كنتُ أميراً أو صُعلوكاً
ماذا يُغنينى الآن ؟
سألُونى عن وطنى ..
هبنى أسكنُ مثلَ الجنياتِ .. البحر
أو أقطنُ عُشاً فوقَ الأغصان
أو أطوى أجنحتى فى شرنقةٍ خانقة

أو تنذرُنى الأعينُ ألا أبرحَ دارى . .
ماذا يُغنينى الآن ؟
سألونى عن كلماتى من قبل . .
قلت : كثيراً ما أتكَلم
قالوا : لا نفهمْ . .
قلت :تلقَّت كلماتى من زمنٍ أطباقُ الغرباء
صاحت فى صرخاتِ الجوعى
فى لُعبةِ طفلٍ حطَّمَها رعديدٌ أخرق
فى مفترق الطرق اليوميةِ حين تحارُ الأعينُ
أى الألوانِ تقودُ الخطو
وأى الألوانِ تكف . ؟
كلماتى فى ألواحِ جنينٍ لم يُولد بعد
سُلّوها لو أمكنكم من قلبِ الأحجار !
قالوا :اخْرج من جلدك
قلت :الدفءُ بقلبى منذ خلعتُ الجلدَ
وأشعلتُ به ناراً
وتوحّدْتُ مع العالم . .
لا أعرف شيئاً عن نفسى . .

ضحكوا .. حتى شرّقوا

صاحوا : مجنونٌ أنت
أم تلعبُ دورَ الساحِرِ فى حَلْبةِ سيرك
أومأتُ برأسى ..
حسبونى مجنوناً .. تركونى
ذهبوا للصنمِ المعبودِ بقريتهم
سكِروا معه .. سامرهم طولَ الليل
ساءلهم عنى ..

قالوا : يامولانا
(لا خوفَ عليك من المجنون
(يسخر منه الناسُ إذا قالَ وحدّث)
ولعلك تبغى يامولانا
أن يتلهّى عُبّادُك فى كل الساحات
حتى تصدأ كلُ الألسنةِ المسنونة !
قهْقَهَ مولاهُم حتى مالَ على ظهره
شقّت جمراتى المحمومةُ قلبَ الليل
نزلت صاعقةٌ فوق رءوسِ الصنمِ الأكبرِ
والحراس

— ياأصحابى . .
يكفينا دهراً أحيينا كلَّ صباحٍ صنَما
خبأنا تحت الجلد . .
أصناماً . . ومعابدَ وطقوساً كاملةَ العد
وتراتيلَ نغيّر فيها الأقنعةَ . . الأسماءَ . . الأثواب
قال الراوى ياأصحاب
والراوى لا يعرف زمناً لحكاياته . .
فلينبُشْ كلُ منا زمَنَه
وليُسقط كلَّ الأصنِام المعبودة . !

٣ / ١ / ١٩٨٥

● ●

...من يحكم هذا العالم

حين انخسَفَ القمرُ
وزاغَ البصرُ . .
صاحت فتياتُ الحور
أشعلْن بأدمعهنَّ قناديلَ النور
طُفْنَ على صبيانِ الحى . . انتفضوا
أقبلنا . . أمسكْنا الأيدى وذيولَ جلابيبِ الليل
توسلْنا للّيلِ الصامِت . . لم ينصفْنا
أزهق بين يدينا الألوانَ . . تسابقْنا
حطَّمنا أسوارَ الأحزان . .
ودخلنا ساحاتِ العتمة . .

وهتفنا (يامن خنَقُوا وجهَ القمرِ الليلة
يكفيكم أعميتُم أعيننا
وتجولتم دهراً بين دمانا)

— من أى زمانٍ يأتينا هذا الزمُن الخائن
من أى بحارٍ تتدفقُ أنهارُ الأرض
من .. يحكُم .. هذا .. العالم ؟

قالوا : يحكُمه سفهاء

قلنا : نعرفُ أن السَّفَه قصيُر اليد
ومنقطُع الأنفاس

قالوا : يحكمُه سفاحون

قلنا : السفاحُ الأكبر مهما تاه
يهزمُه الأقوى

قالوا : جهلاء

قلنا : لا شيء جديدٌ
فالجهل أصيل فينا
حتى أصبحَ كالسُّمِ المستعذَب
لا يقتلُ أحدا ..

قالوا : لا نملكُ بعدُ إجاباتٍ أخرى

صحتُ : كفاكم ..
العالُم ياأصحابى يحكمُه الأشرار

خلفَ جدارِك أشرار
فى بيتك . . فى كل طريقٍ . . أشرار
فتحسَّسْ جِلدَك
واسكبْ فى المخبار شرايينَك
هذاالعالم داخلُنا الآن
حاذر أن تتسرّب منه . . أو يتسربَ منك !

— ها نحن تفجَّرنا غيظاً . . حتى انحبسَ الصوت
وتغذت صحراءُ الأرضِ بأجساد الشهداء
وانخسفَ القمر بساحتنا
لا يسمعنا . .
فمتى . . ينحسرُ الليل . !

٢٣/ ١٢ / ١٩٨٥

● ●

••• سندباد

ـ يحدُثُ أن تتوقَّدَ عيني بالجمر
وأسقطُ في هاويةِ الشِعر
وتحدِّثُني امرأتي .. لا أسمعُ
تسألُني عن شأني .. لا أسمعُ
تحسَبُ أن امرأةً أُخرى تجذِبُني عنها
فأنا مأخوذٌ من أطرافي .. مشدودٌ من أنفاسي
ثَمِلٌ في كلماتي .. أستسلِمُ للسكر .!

ـ يحدثُ أن يخمُدَ في داخلِيَ الشعر ..
أحسُّ العالمَ في قلبي صحراء
لا يتجدّدُ فيه الضوءُ
ولا يهطلُ فيه المطرُ
ولا تصطرعُ وحوشٌ جائعةٌ
أشعرُ أن امرأتي راضيةٌ ـ لا تسألُني عن شأني

لكأنى بين يديْها دميتهُا القُطنيَّةُ
لا أتمردُ .. لا أتلعثمُ
لا يجذبُنى عنها شىء .!

... ...

تتلبَّسُنِي أوجاعى .. أهربُ منها
أقفُ على شاطئها ..
تحملنى أولُ باخرةٍ تُقبلُ لا أعرفُ وجهتَها

ـ يا ملاحَ الشوقِ الراحلَ فى أرضِ الله
أنا أهرُبُ من نفسى
فاحمِلْنى أين تسير
شرِّقنى .. أو غرِّبنى
مزِّقنى ـ لو شئتَ ـ وأطعمْنى الحيتان
فأنا الآن
تتقاذفُنى الأحزان
وتحاصرُنى الألوان
فامنحْنى الهمَّ الواحد ..
واللونَ الواحد
والقدَرَ الواحد ..

قال : البَسْ درعَ الأسفار
وانْسَ الوحشةَ والتّذكار
واصنعْ من جلدِ الذئب قناعَك
ثَبِّتْ أظفارَ النمرِ بكفيْك
وكشِّرْ عن أنيابِ الليث
فالبحرُ عميقٌ .. والسفرُ طويل
وقرصنةُ الموتِ على ناصيةِ الليل ..

ـ يرتعدُ القلبُ .. فأطرقُ بابَ الليل .. ويُفْتَحُ لى
ألصقُ وجهى بالقمرِ المتساقِطِ بين أكفِ العشاق
أنتظرُ الساحَلَ .. لا يأتى
أنتظرُ القادمَ فى صمتِ الليل ..
لا يأتى ..
أنتظِرُ النومَ .. ولا يأتينى النوم ..
أرانى أتسلَّقُ عرشاً من لهبٍ فى آفاقِ العشقِ
ولا أحترقُ
يُحدِّثنى صوتُ الغيب .. ولا يهزِمُنى الفرَقُ ..
يلقّننى كلماتٍ من نور ..
ويُعلّق فى صدرى أحجبةً وتمائم ..

أنظر حولى :

ـ من يصحبُنى فى هذا الملكوت
لا أحدَ يجيب . .

من يأسرُنى فى هذا الملكوت
لا أحدَ يُجيب . .
أُغمضُ عينىَّ الظامئتيْن
أحسُّ جفافَ الحلق
تتوقفُ أنفاسى . . أهبطُ من عرشى
أفتحُ عينىّ . .
فإذا وجهى ملتصقاً ـ مازال ـ بوجهِ القمرِ الساقطِ
بين أكفِ العشاق . .

ـ للشوقِ مذاق

ولنبض القلبِ مذاق
ولإبحار الليلِ مذاق
وبعيداً عن نفسى ـ أعرفُها أو أجهلُها ـ
تتدفقُ أمواجُ العالَمِ فى عينىّ

ـ للبحرِ عواصفُه

ـ للرمِل عواصفه
أتخذُ كهوفَ العالمِ وطنا
إذ أشعرُ أن الوطنَ بقلبِى شرنقةٌ
تعصِــرُنى . .
وتفتّتنى يرقاتٍ . . يرقات . .
تُحرقُها الشمس
وتُزرّيها الريحُ العاتيةُ
على قممِ الأحزان
لكنى . . أتوقّدُ جمراً
أحاولُ أن أُمسكَ بين يدِى إنسانَ العين
فيفلتُ منى . .
يجعلُنى . . ألهثُ محموماً
خلفَ الشعرِ
وخلفَ المجهول
وخلف بحارٍ ليس لها شطآن !

١٤ / ١١ / ١٩٨٤

...الشوق فى مدائن العشق

(حاشية على منطق الطير لقطب التصوف الإسلامى فريد الدين العطار ..) .

أيقظَنى من نومى ..
قال : انهضْ .. ينتظرُك خلف الباب
ملَكانِ كريمان ..
جاءا من خلفِ الليلِ يشقَّان
جوهرةَ الصدرِ المطفأةَ الألوان ..
قال : تقدم يا ولدى ..
أوصيكَ بما يفتحُ فى وجهِك كل الأبواب
ـ ما أنتَ سوى طائر ..
ينتقَّلُ فى سقف العالم .. يهبطُ فى جُب الشوق
حتى يَفْنىَ فى مدن العشق ..
قلت : وماذا أملك من أجنحتى يامولاى الطيب
قال : الريحُ جناحُك ..
والعشقُ وشاحُك

جرب أن تتركَ أقدامَك تحبُو فوق الأرض
تنتقلْ مخترقاً فى طرفةِ عين . .

قلت : وماذا بعد . .

قال : كن سربَ الطيرِ السابح
والصحراءَ الممتدَة
والليلَ الصامت
والمطرَ الساقطَ بالطلع
وحباتِ الشمسِ على جفنِ الفقراء . .
كن فى عربات الشوقِ جواداً
فى غاباتِ الروْعِ فؤادا
وابعث فى الليلِ إلى المهمومين . . وداداً

– يا مولاى الطيب
هل تلمِسُ فى قلبى نوراً
حتى توصيَنى أن أتجرّدَ من نطفتىَ السوداء
أو أنزعَ من وجهى عينىَّ المطفأتين . .

قال : أراك . . شققتَ الصدر
فروَّاك البحر . .

وطهّرك الملح . .
وأطعمك العشقُ الأسرار
الآن برئتَ من الأرض . . ومزقتَ الأستار
لا أذنٌ تسمع إلا همسَ حوار
لا عينٌ تتملّى إلا ما تهواه الأبصار
انسَ الآن تُرابَكَ . . فوق الأرض . .

يا مولاى . .
هل تنظرُ ما أنظره الآن
أو تسمعُ ما أسمع . .
أنظر جبلاً من نورٍ . . ودعاءً يتوهجُ فى الليل
يصعدُ مثلَ البرق الخاطِف . . أو مثل النصل .
ويكاد يشطّر منى ما بقىَ من القلب

صاح : تأدّب . . يا مقرور القلب
إنك فى جبلِ الحب . .
أزرعْ فى قمتِه كلماتِك
وتحدّث بلسانٍ لا يُخطىء

صحتُ : أجرنى . . تتملّكنى الرِعدةُ والخوف
أخشى أن أسقُطَ من عليائى . .

ربّت فوق الصدر :

لا يسقطُ من يصعَدُ في النور

لا يهبطُ من بالعشقِ يمُور

يامولاى الطبيب :

ضاقَ الصدرُ بمدّ البحر . .

حتى نفِدَ الصبر

تبسم مولاى :

يا ولدى . . . هذا بحرٌ لا تسكُنه الحيتان

فالزم يا ولدى الكِتهان

من باحَ بما تشهَدُهُ العينان . . .

ـ لا تكمل يا مولاى

فأنا يُرضينى أن أتحاور

لا أن أستسلم

لا تهزمْ فى عينىّ الشوق

ولا تغرقْنى فى ليل الخوف

قال : أنا عبدٌ مثلُكَ يا ولدى

لا قوةَ لى أو سلطان

لكنى أدركُ أن الإنسان

يسكنُ فى بئرِ النور . .
حتى يطلقَ فى الماءِ لسانَه
فيعكرَ صفوهَ . .

يا مولاى الطيب :
ما كنتُ عصيا
لكنى . . علَّمنِي عصرِى أن أدفعَ عُنقى
من أجلِ الكلمات
لو أنى أُبطىءُ فى قصدِ النور
فأنا بالحب . . كفور
أشعرُ يا مولاى الآن . .
أنى إذ أتحاورُ أو أتجادلُ . . أو أفْنِيَ فى كلماتى
فأنا أغتسلُ بهذا النور
وورائى بحرُ الديجور . .
أشعر أنى أفْنِيَ فى مدنِ العشق
حين أبوحُ بما لا رأت العين
وما لا تسمعُه الآذان . .
وحين أقصّ جناحىّ على شط الأوجاع
ناد على طائرِك المرسلِ يا مولاى الطيب

واسمع ما شئتَ جوابه . .
لن تلقى غدَنا خلفَ سحابة
يخشى وجهَ الكلمات . . .
أو يفقدُ فى الخوفِ صوابه . .
الكونُ طريدٌ يا مولانا يصعقُ من يتوقف
أما نحن ـ العشاقَ المهمومين ـ
فطيورٌ فقدت من زمنٍ فوق الأرضِ
العشَّ الدافىء . .
من أجل خلاصِ القلب . .

٢١ / ١٠/ ١٩٨٤



...شكوى شهريار الفصيح

(ولما كانت الليلة الثانية بعد الألف .. نظر شهريارُ الملك إلى الخلف وليته ما نظر .. فقد فقد من يده كل شيء ولم يعد يملك إلا الشكوى .. والخوف . !)

ـ عنكم باعدَنى زمنى
وانكسر الضوءُ على نافذتى
يوهمنى أن الشمسَ اختارت مرفأَها
أن حكاياتِ العشاقِ استعرت فى قلبِ القلب
أن ذراعَ الليل انكسرتْ لن تلوِىَ حُلمَ الغرباء
عنكم أسكتَنى الخفراء
سلبُوا خُبزى وشعيرى .. ولياليَّ الألف
قلبوا أكوابى .. نسَجُوا من أحلامِى المقهورةِ
ألوانَ الطيف

[كتبت هذه القصيدة بعد أن صدر الحكم المبدئى بإحراق كتاب ألف ليلة وليلة]

جعلوا دمعِى مطَر الصيف
رحت أجادلُهم بالشكوى . . والسلْوى . . والكلمات
لكنْ منطقُهم كان السيف . .
مَدوا خطَّ العمر . . وخطَّ القلبِ . . وخطَّ الخوف
خنقوا أيامى فى كفىْ
أعترف الآن
أنى أتقادمُ منذ أغارَ الزمنْ على فودىْ
أن لسانى يتلعثم فى لغةِ العصر
لا أملكُ إلا خبزى وشعيرى بين يدىْ
وشكاياتٍ صدِئت فوق جدارِ الليل
كنت قديماً سلطانَ الندماء . . وزيْنَ الفُرسان
أتنقلُ بين الأذرع والسيقان
في ديوانى . .
يلقون على وجهى كلَّ مساءٍ قُمصانَ الإثم
أبحثُ فيها عن دمها الكاذبِ . . عن رائحةِ العِطر
أذبح بين تثاؤبِها الحانى ديكَ الفجر
يظل الليلُ جواداً فى أعماقى . . يضرِبُ بحوافِره البحر
(كانت ليلةَ أمس
تخلع أرديَةَ الحكمِة فى حضنِ العبدِ الأسود

كانت رغبتُها تصرخُ خلفَ الجدران
واخضوضرَ تحت جلودِ رعاياها الكتان)

ــ فى ديوانى . .
قالوا ما قالُوا عن غزواتِك
عن قُرصان يُقبل من أقصَى العالم
يعرض أثمنَ ما يملكُ من أجل شعيراتٍ من رأسِك

ــ كنا نملكُ أن ندفعَ عنك التهمة . .
كنا نشهدُ زوراً . . نشهدُ صدقاً
ونغيِّر من أجلكِ كلَّ الأوجهِ . . كل الألسنةِ . .
وكل الأثواب

ــ كنا ندفع عنكِ التهمة
حتى سلبوُا خبزِى وشعيرى وليالىَّ الألف
حتى قلبوا أكوابىَ فوق الرمل
لأراك بلا رأسٍ وبلا سيقان
وأرى جسدَكِ فى الصحراءِ وحيداً
تتنازعُ ملكيتَهُ الأفعى والصقر . .
الآن . . شكاتى صدِئَت فَوق الجدران

لا أملك إلا أن أسألكم يا ندماء الليل

ـ هل حلّ علينا الزمنُ الشاهرُ سيفَه
أم حطّ علينا الصمتُ .. وعادَ القهر
أسألكم عن مصباحِ علاءِ الدين
حين انكسرَ على شطِ النهر

أسألكم عن أوراقى الألف
حين انصهرت فوق الجمر
أسألكم عن تاجِى الذهَبى
عن سيفى العاتى
عن عشقى الليلىْ
عن هذا الشيبِ الراحلِ فى فودىْ

ـ ماذا يبقى .. لو نفقدُ فى غدِنا طَعمَ الكلمات
لو يعلو سيفٌ فوقَ الزمن .. وفوقَ الأوراق
وتهوى فى الريحِ الأعناق ..

هل نملك أن ندفع عن أنفسِنا التهمة
أو نبحثَ بين رمادِ الجمرات
عن دمِنا الكاذب

ماذا عن غدِنا القادم
ماذا عن غدنا القادم !

٢٥ / ٥ / ١٩٨٥

● ●

صادفَنى مرتعشَ الكفَّينِ
خائرَ الساقين
قال : احتمِلْنى يا صديقىِ خُطوتين
فإننى أملكُ أحرفاً بلا عينين
وأنت تملكُ العيونَ . . والحروف
والماءَ . . والشطينْ . .
ساءَلتُهُ : لأين ؟
أشار فى المدى بأُصبعين . .
قلت له : بالَغْتَ فى ظنِّكَ يا صديق
فكل ما أكنهُ فى داخِلى
يجعلنى أعيشُ . . بينَ بين !
بكىَ صاحبى لما رأى الدربَ دونَه
وأيقن أنا لاحقانِ بقيصرا

فقلت لـه لاتبـكِ عينُـكَ ، إنمـا
نحـاولُ مُلكـاً أو نمـوتُ فنعـذرا[1]

. . . .

حَلَمت أنى حارسٌ بوابَة السلطان
أفحصُ للذين يُقبلون . .

بطاقةَ الدّخُول للإيوان :

ـ من أين جئتَ . .
ما اسمُكَ القديم
ما اسمُكَ الجديد
عجالةٌ موجزةٌ عن كل ما جَنيْت . .

حين صحوتُ :
كنت أشهدُ الذين يخرجُون
تبدّلَتْ جلودُهم
فبعضُهم مغبَّرُ الملامح
وبعضهم مفضّضٌ . . وبعضُهم مُذَهَّب
وغيرُهم مشرِّق . . وغيرهم مغرِّب اللسان

---

(١) البيتان لامرىء القيس

وآخـــرون . .

مقطعُو اليدينِ والسيقان

لكنهم . . لا يجرءون

أن يطلقُوا اللسانَ . .

في سياسةِ السلطان . .

. . . .

وقفت ساعةً في ظل شجرة

دنت غصونُها عليّ . . مثمرة . .

وأمطرتْني أسئلة

أمسكتُ رأسي بيديّ

ـ لا أريد . . لا أريد هذه الأسئلةَ المكررة ـ

تحولت زخَّاتُها إلى بحارٍ عكرة . .

وأغرقت دفاتري . .

كان عليّ ـ في حصاري ـ أن أُجيب

إجابة تجفّ فيها الأرضُ والسماءُ

والعيونُ . . والأكف

ويجدبُ القلبُ . . فيُلقي وتره !

وقـال أصيْحـابي الفِـرارُ أو الـرَّدى

فقلت هـمـا أمـرانِ أحـلاهُمـا مــرُّ

ولكننى أمضى لما لا يَعيبُنى
وحسبُك من أمرين خيرُهما الأسرُ[1]

. . . .

قالت لطفلها الذى لم يبلغ الفطام

ـ أثمرتَ بعد جدبٍ داخلى . .
أعذبُ من رحيقِ زهرةٍ . . عيناك
أرقُ نسمةٍ مع الصباحِ . . بسمتُك
لم تطإِ الأرضَ . . ولم تظلّلِ السماءُ
مثل خطوتك . .
وحينما تمدُّ لى أَنَامِلَك
كأننى فى قبةِ الفضاء ألمِسُ النجومَ والقمر . .
بكى الصغير . . كان ثدىُ أمهِ يجف
والشموسُ حولَه تغيمُ . .
مسّحتْ بدمعها عليه . .
قبّلَتْه قُبلتَين . .
انتزَعت وريقةً بيضاء . .

---

(١) البيتان لأبى فراس الحمدانى .

أمسكَتْ برأسِ دبوسٍ صغيرٍ . .
فقأَتْ كلَّ العيونِ الحاسدة
لكنَّ طفلَها المسكين
لم ينتظرْ أن تُفقأَ العيون
كان استحالَ قطعةً من الجمود !

. . . .

ترجّلَ الدرويش
أسقطَهُ الليلُ بلا عينين
من صهوةِ القوتِ . . ودفئِه القديم
أمسكَ فى يديه سيفَهُ

أشهره فى وجهِ من يمتلكُ الأعناق
صاح بأعلى صوته :

– يا سيفىَ البتار . .
ظمئتُ دهراً للدمِ المُراق
وراءك الآن إلى حيثُ تقودُنى
ولن تكون فى فمى . . ولن تكونَ فى يدى . .
حتى لو استحلتَ فى نهايةِ الخُطى
قطعةَ خبزٍ أو سوار . .

من قبل أن أغمِسَ حدَّك المسنون
فى قلب من باعُوا خطانا مرةً .. ومرة ..
وأزهقُوا الحروفَ .. والوجوَه .. والعيون ..

مـا عـلى ظـنّيَ بـاسُ
يجـرحُ الـدهـرُ ويـاسُـو
والمـحـاذيـرُ سـهـامٌ
والمـقـاديـرُ قـيـاسُ
وكـذا الـدهـرُ إذا مـا
عـزَّ ذلّ نـاسُ[1]

. . . .

تشبثت صديقتى بوصلىَ القديم
تقول : كن لى وحدىَ القلبَ الذى يدوم
معذرةً .. صديقتى ..
فنحن أبناءُ زمانٍ ساخطٍ على ترفّقِ الخُطى
ولهفةِ العيون ..
زمانُنا يطرح عجزَ القلبِ .. يجعلُ السكون
محدِّثاً .. بأثقلِ الأقوال

---

(١) الأبيات لابن زيدون

فأنجزى ـ يا هندُ ـ وعدَ ذلك الزمان
وفتّحى عينيك من جديد ..
من قبل أن يُغرِقَك المدُّ
وترحلى فى شهقةِ الدُّوار !

حكايةُ أخيرة يرويها أبو الطيب المتنبى :

أذمّ إلى هــذا الــزمــانِ أُهــيْــلَهُ
فــأعلمُهم فَــدْمٌ وأحــزمُهم وغــدُ
وأكــرمُهم كلبٌ .. وأبصرُهم عَمٍ
وأسهــدُهم فهــدٌ وأشجعهم قــردُ
ومن نكدِ الدنيا على الحرّ أن يَرى
عَدُواً له .. ما من صَداقَتِهِ بُدُّ !

١٩٨٥ / ١ / ٣٠

● ●

... نقوش البدء والنهاية

[ولى وطنٌ آليتُ ألا أبيعهُ
وألا أرى غيرى له ـ الدهرَ ـ مالكاً ـ]

بالمفردات فى دفاترى
وباستعار الدمع فى محاجرى
وبانصهار الخطو فى نهار العاشق

أهواكِ .. أستريح فوق عشبكِ الندىّ
تسرين فى دمى .. وتسبحين
أدور فى سماك دورةَ الفلَك :

ـ شاغِلَتى .. لن أسألكْ
من الذى قد بدّلَكْ
فى القلب أنت فى العيون
قد عرفْتِ منزلَكْ
أميرةٌ أنت على
كلِّ أميراتِ الفلك

ملكتِ كلَّ أحرفى
وخاطرِى .. وما ملَكْ
فان أعِشْ لا أرتضى
فى الحبِ قلباً .. بَدَلَك
وإن أمت متُّ شهيدَ
العشقِ .. يحيا .. إن هلَك . !
. . . .

قلتُ لها : كونى غمامَ الغيث فى سنينِ القحط
لكنّ صوتِى نقَلتْهُ الريحُ والخناجرَ
فانقضَّ فوق روضِها الصقورُ والبومُ
ونقّرت بياضَ وجهها ..
وأزهقت لحنَ العصافير على غصونها
ـ تحمّلت شاغلتى انحسارَ ماءِ النهر
واحتراقَ الزهرِ ..
وانكسارَ عنقِ الفقيرِ فوق الجمر ..

قلتُ لها : لنْ تُقْتلى .. ولن تموتى
لن تشهدى البغضَ الذى يفتّتُ الكبد

ولا الخُطى التى تخون ..
ولن تنالى من بنيك العاشقين من تناسى وطنه :

ـ أقبلُ ياشاغلتى .. طيراً يناجى فنَنَه
زماننا فيك .. تغارُ منه كل الأزمنَة
فأنتِ مأوى القلبِ .. حين القلبُ يرجُو سكنَه
وأنت حلمُ العينِ .. حين الليلُ يُبدى وسَنَه
وأنتِ أنتِ الشوقَ .. يابحراً ألِفْنا سفُنه
لو مسجدٌ أقيمَ للعشِق لكنتِ المئذنه
يومك ممدودُ السنا .. كأنه ألف سَنَه
كل الأكف ها هنا على الهوى .. مؤتمَنَه

. . . .

وقيل لى : تبيعُها ..
فقلت : ما أنا ببائعٍ دمى ..
وقيل : يكفى وحشة وصبراً
فقلت : وجهُها يضىءُ فى دمى
ومشدودٌ غدى إلى مدارِها
وقيل : لو تبدأُ مرةً تخون
تكسيرُ القيودَ للأبد

قلت : أرى حريتى فى لوحِها المحفوظ
عشقتُ فى نقوشِه البدءَ
عشقت فى نقوشِه الرحلةَ والنهاية
عشقتُها حتى تفتُّتَ الجسد :
ــ لا تقسمُوا علىّ بالحبِ .. وذلك البلدْ
ولا تَزيدوا حيْرتى .. بوالدٍ .. وما ولدْ ..
فلن أخونَ خَطوىَ القديمَ .. أو ما أقتصِدْ
حتى يظلَّ وجهُها .. ممتشقاً على جَلَدْ
حتى تظلَّ بسمةٌ على شفاهِها ــ الأبدْ ــ
وإن أُريدَ الروحُ قدّمتُ ولن أخشَى البدَدْ
لاتقسموا فليس من يُعطِى .. يخافُ يفتقدْ
فالخوف موت وانصهارُ الخطوِ موصولُ المددْ ..
.. ..
[ولى وطن آليتُ ألا أبيعه
وألا أرى غيرى له الدهر مالكاً]

٢٨ / ١٢ / ١٩٨٥

...صرخات فى الوقت الضائع

ـ قد صَمَتُوا ـ !
يبدُو أن سَئِمَ الناسُ الرقصَ
وسئمُوا الثرثرةَ
وسئمُوا الضحكات
أَنطلقُ إذن .. فى إطلاقِ رَصَاصِ الشعر

ـ يتسلَّلُ صوتى المفردُ
يخترقُ حصونَ الليل ..
ينثرُ فى الأضواءِ الخافتةِ حُبَيْبَاتِ الجمر

انتبه السادةُ .. بُهِتُوا . !
أفتحُ ثَقباً فى أسوار الصمت
تُهرعُ منه . قُطعانى المتوحشةُ
أتابعها .. أتْبعها ..
أعرفُ وجهتها :

(.. من فكّرَ أن يصرعَهَا .. تصرعُه
من جاء يخاتلُها .. تصعقُه . !)

ـ السادةُ فوقَ موائِدهم جَمُدوا فى الخوف
ينتظرون تغيُّرَ ألوانِ الطيف
وأنا أُطلقُ مازلتُ رَصاصَ الشعر
أتسللُ بين شرايين الليل
أقطعُ حبلَ الأنفاسِ المشنوقة
أسكبُ فوق مرايا الزمن ذُنوبى ..

ـ أنصافُ البشر تباهوْا بالأقنعةِ وبالأذيال
شمَخوُا بأنوفٍ لم تعرفْ إلا عفَنَ الأقوال
نصبُوا الفاعلَ فى ساحاتِ الإطراء .
ومسخوا الأفعال ..
ماذا ننتظرُ الآن ..

يتسللُ صوتى المفردُ .. مازال ..
ضاق السادةُ بالشعرِ وبالأمثال ..

قفزوا من فوقِ مقاعدِهم
فرُّوا من كلِ ثقوبِ الجُدران
داسُوا ما بقىَ من الأنفاس ..

وما بقىَ من الصرخات
وما بقىَ من الكلمات
شدوُا فى الليلِ شِبّاكَ الصمت . .
. . . .

فى اليوم التالى . .
علّق أحدُ السادةِ فى أحدِ الأعمدِة اليومية :

(مسكينٌ صوت الشعر . .
أخفقَ أن يُشعلَ ناراً فى أحلامِ اليقظة
أو ينفخَ ثانيةً بين رمادِ قضية
مسكينٌ هذا الشعر
أهدرَ فى الوقتِ الضائع
كلَّ الأعيرة النارية !)

٣ / ١٠ / ١٩٨٥

● ●

الفهرس

• • •

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم إيداع بدار الكتب ٩٠٢٥/١٩٩١

ISBN 977- 01- 2878- 3